الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية
قسم الكتاب والسنة

رقم التسجيل :...../.....

الرقم التسلسلي :.....

التفسير قبل التدوين؛
خصائصه وقيمته العلمية

مذكرة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة

إعداد الطالب :
أتيك فكري إلياس الإندونيسي

إشراف:
الدكتور رمضان يخلف

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د. رابح دوب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	رئيسا
د. رمضان يخلف	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	مشرفا ومقرّرا
د. حسن موهوبي	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	عضوا
د. هلال خزاري	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	عضوا

السنة الجامعية: 1426- 1427هـ/ 2005- 2006 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

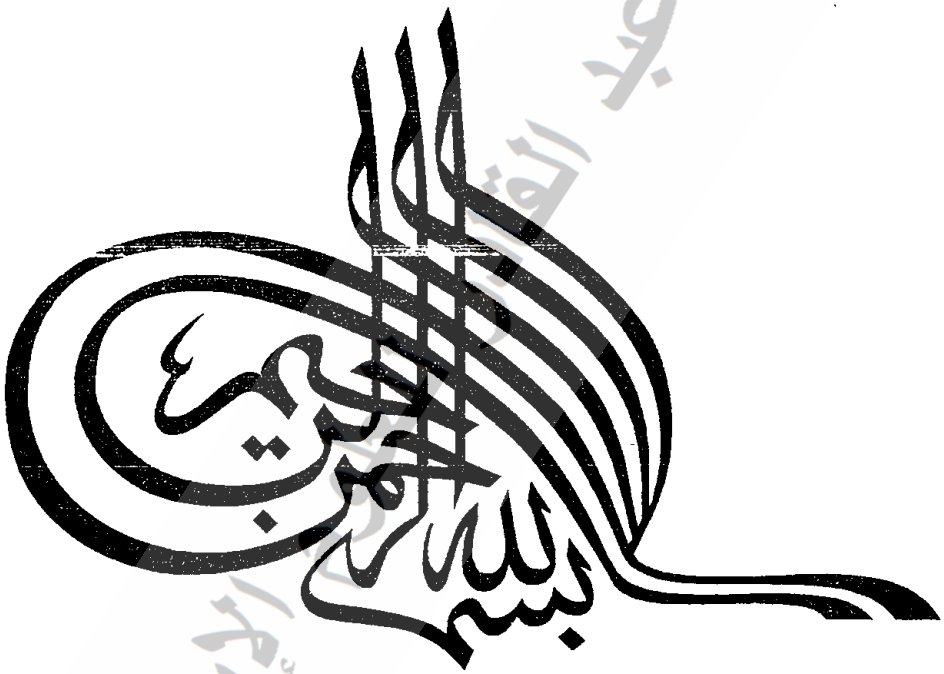

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى أحب الناس إلى قلبي ...

إلى من أعطاني بلا حدود ...

إلى أبي الكريم الذي رباني ووجهني إلى خطواتي على طريق العلم والفقه والدين

إلى أمي الحنون التي طالما سهرت على رعايتي في مراحل حياتي المختلفة

في الطفولة حتى الفراغ من هذا العمل المتواضع

إلى جدي وجدتي وإخواني وأخواتي وأعمامي وعماتي وأخوالي وخالاتي

إلى كل من مد إليّ يد العون والمساعدة

أهدي هذا البحث المتواضع، سائلا الله ﷻ أن يجزيهم عني خير الجزاء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشكر والتقدير

أتقدم بوافر الشكر والتقدير والعرفان على أستاذي الدكتور رمضان يخلف على تفضله بقبول الإشراف على هذه المذكرة رغم كثرة مشاغله وكثرة الرسائل المعروضة عليه، وعلى توجيهاته وارشاداته وهو الذى أعطاني من جهده وفكره ووقته ورأيه.

وأتقدم الشكر الخالص من قلبي العميق إلى الأساتذة الفضلاء بقسم الكتاب والسنة وكل الأساتذة بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة.

وأشكر كذلك السيد مدير الجامعة الأستاذ الدكتور عبد الله بوخلخال وجميع الموظفين فيها.

وكما أخص بالشكر الجزيل كل الموظفين في السفارة الإندونيسية بالجزائر.

وأشكر أصدقائي الطلبة الإندونيسيين بجامعة الأزهر الشريف بالقاهرة على مساعدتهم القيمة لحصولي على المراجع.

وأشكر كل أصدقائي الإندونيسيين والجزائريين بقسنطينة.

وأسأل الله ﷻ أن يتقبل أعمالنا وأن يجازينا بأحسن خير الجزاء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرا، وهو القائل ﷻ في كتابه العزيز: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[1]، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وجميع أصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ﷺ، وبعد:

لا ندعي جديدا إذا قلنا إن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي نال من العناية والاهتمام والدراسة مالم ينله كتاب آخر، سواء أكان كتاباً سماوياً أم مما كتب الناس، وهو المعجزة الخالدة التي ستظل تخاطب جميع البشرية إلى يوم القيامة، ليرشدهم إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

فإنه من المعلوم أن الوصول إلى الفهم والمعرفة لما يتضمنه القرآن الكريم من الأحكام، والشريعة، والمعاملات وغيرها استدعى تفسيره، وذلك بغية الكشف عن معانيه ومراميه، وبيان مقاصده وأحكامه، ومن ثم تظل الحاجة القائمة إلى تفسير القرآن الكريم بوصفه دستورا لسعادة البشرية في الدنيا والأخرة، وبوصفه دستور الإسلام الرفيع ومعجزة رسول الله ﷺ الخالدة.

إن النبي ﷺ هو أول من تولى تفسير القرآن الكريم وأحسن تفسيره، وهو التفسير الذي علّمه ربهُ ﷻ، ليعلّم الناس ماأُنزل إليه وليكون للعالمين نذيرا، وتلقى الصحابة ﷺ تفسيره ﷺ بإيمانهم الكامل والامتثال لتعاليمه في حياتهم، فلهذا كان لتفسير النبي ﷺ له مكانة رفيعة في قلوبهم وامتثلوا به في أعمالهم.

وبعد وفاة النبي ﷺ فإن الصحابة ﷺ -الذين قد تخرجوا من المدرسة النبوية الشريفة- هم من تولى هذه المهمة، فتمسكوا بتفسير النبي ﷺ للقرآن الكريم ، و لم يتحدثوا عن التفسير إلا للضرورة أو عند الحاجة إليه، فكان توسع مجال التفسير في ذلك

[1] ص:29.

العهد محتشما، وقد ظهرت بعض المناهج الجديدة فيه، مبنية على مراعاة حاجات الناس إلى التفسير.

وهكذا انتقل التراث الثمين لتفسير القرآن الكريم من الصحابة ﷺ إلى الجيل الذي يليهم من التابعين ﷺ، وهم الذين تتلمذوا على يد الصحابة، فغالبا ماكانوا يتلقون كل المعلومات عنهم، وخاصة تفسير القرآن الكريم، إذ كانت المدارس التفسيرية المشهورة في عهد الصحابة ﷺ.

أما في عهد التابعين ﷺ فقد إزدادت الحاجة إلى التفسير أكثر، وذلك بسبب البعد الزمني عن زمن نزول الوحي وتغير أحوال الناس، وكذلك بسبب اتساع الفتوحات الإسلامية وظهور مسائل علمية ودينية جديدة لم تكن موجودة من قبل،بالإضافة إلى ظهور الخلاف المذهبي والفرق السياسية آنذاك، ومن هنا توسع التابعون في التفسير، مما أدى إلى ظهور المناهج الجديدة فيه.

فإذا كان الرأي السائد في الوسط العلمي يقوم على أن بداية تدوين التفسير تأخرت حتى القرن الثاني، فإننا نجد أن القرن الأول قد شهد ظهور تدوين التفسير كاملا، وهو تفسير مجاهد بن جبر (ت.104هـ)، وتفسير سعيد بن جبير(ت.95هـ)، ومن ثم فإن التفسير قد ظهر قبل عصر التدوين، أي في عصر النبي ﷺ، وعصر الصحابة ﷺ، وكبار التابعين ﷺ، وهي العصور التي شهد لها النبي ﷺ بالخيرية في قوله:﴿خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم﴾[1]، وكذلك هم خير الأمة التي أخرجت للناس، كما وصفهم الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[2].

ومن هنا، فإن البحث في التفسير قبل التدوين من الأهمية بمكان، لأن دراسته والاعتناء به سوف ينقلنا إلى خير القرون، إلى أحسن مرحلة من مراحل التفسير، والتي تعد المرجع الأساس لما بعدها من المراحل إلى يومنا هذا.

---

[1] رواه مسلم، رقم الحديث: 2533، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم،ج4،ص1963.

[2] آل عمران:110.

أسباب اختيار الموضوع:

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع جملة من الأسباب الذاتية والموضوعية وهي:

1. الأسباب الذاتية:

أ- خدمة كتاب الله تعالى، وذلك بإبراز مراحل التفسير قبل التدوين وبيان خصائصه وقيمته العلمية.

ب- هذا البحث له علاقة بدراستي في مرحلة التدرج، إذ كنت أدرس بقسم الحديث في جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة، وهذا الموضوع له ارتباط بعلوم الحديث والسيرة النبوية.

ج- رغبتي الذاتية في الإطلاع على قبس من السيرة النبوية الشريفة، وتاريخ الصحابة والتابعين ﷺ، من خلال الجانب التفسيري لكل مرحلة.

2. الأسباب الموضوعية:

أ- إثبات مدى أهمية مرحلة التفسير قبل التدوين للمراحل التي تليها حتى عصرنا هذا.

ب- حاجة الدارسين للقرآن الكريم في شتى مجالاته البيانية وخاصة المهتمين بتفسيره إلى المناهج المتبعة في مرحلة ما قبل التدوين.

ج- ظهور انحراف على مستوى التصور لمرحلة التفسير قبل التدوين.

أهداف البحث:

ومن خلال هذه الدراسة أهدف إلى :

1. تحديد مراحل التفسير قبل التدوين.
2. التصفح القريب لتفسير النبيﷺ، ومعرفة منهج الصحابة والتابعينﷺ في تفسيرهم للقرآن الكريم.
3. التعرّف على أبرز المفسرين في مرحلة ما قبل التدوين، والاقتداء بهم في تعاملهم مع القرآن الكريم.
4. معرفة مدى تناولهم للاجتهاد بالرأي في التفسير.
5. إبراز خصائص التفسير في هذه الرحلة وقيمته العلمية.
6. معرفة ما مدى تأثير هذه المرحلة على مراحل التفسير بعد التدوين.
7. تقويم هذه المرحلة ومعرفة المآخذ على التفسير فيها.

8. المساهمة في إثراء الدراسات التي تهتم بعلوم التفسير.

الدراسات السابقة:

لقد تتبعت -على قدر اطلاعي المتواضع- المؤلفات والبحوث والدراسات في القرآن وعلومه، فلم أجد دراسة موسومة بالتفسير قبل التدوين وخصائصه وقيمته العلمية، قد أفردت ببحث خاص، إلا أن بعض جوانبه قد تناثرت في بعض كتب علوم القرآن كـ"الاتقان" للسيوطي، و"البرهان" للزركشي، وبعض الدراسات في التفسير ككتاب "تفسير الصحابة" للدكتور عبد الله أبو السعود بدر، وهذا الكتاب لم يتناول مراحل التفسير الثلاثة، وإنما خصه صاحبه بدراسة يسيرة لتفسير الصحابة، وكذلك لم يتحدث فيه عن خصائص هذا التفسير ولا قيمته، وإنما تحدث كثيرا عن مصادر التفسير وبعض اتجاهاته في هذا العهد.

وكتاب "تفسير الصحابة" للدكتور محمد عبد الرحيم، وهذا الكتيب فيه إشارة طفيفة جدا عن تفسير الصحابة، ولكن المؤسف في الأمر،أن المؤلف نقل كثيرا عن كتاب "التفسير والمفسرون" لمحمد حسين الذهبي، وقد ينقله حرفيا، إلا أنه خصص أكثر من نصف صفحاته لذكر أمثلة من تفاسير الصحابة.

بالإضافة إلى ما سبق، فإن هناك كتبا اعتبرها كدراسة سابقة متعلقة بالموضوع ، وقد رجعت إليها في بعض الأحيان لإثراء مادة البحث، وهي:

1. "التفسير والمفسرون" للدكتور محمد حسين الذهبي، وهذا الكتاب أجعله كمنطلق أول لبحثي، ولكن المؤلّف لم يجعل موضوع تفسير القرآن الكريم قبل التدوين كموضوع أساسي، وإنما أشار إليه إشارة موجزة، ولم يتحدث كثيرا عنه، وخاصة أنه لم يتحدث بالتفصيل عن خصائص تفسير القرآن الكريم قبل التدوين وقيمته العلمية.

2. "تفسير التابعين: عرض ودراسة مقارنة" للدكتور محمد بن عبد الله علي الخضيري، وأصل هذه الكتاب رسالة دكتوراه من قسم القرآن وعلوم من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وهذا الكتاب أجعله كمرجع أساسي للتفسير في مرحلة التابعين.

3. "مجاهد؛ المفسر والتفسير"، للدكتور أحمد إسماعيل نوفل، وأصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف بالقاهرة، وهذا الكتاب يتحدث عن أشهر المفسرين من التابعين ألا وهو مجاهد بن جبر، و لم أعتمد كثيرا على هذا الكتاب إلا في بعض الجوانب الخاصة بالتفسير عند التابعين.

المنهج المتبع في الدراسة

في هذا البحث سأعتمد على المنهج التاريخى، لأن هذا البحث يتناول الجانب التاريخي للتفسير في عصر النبي ﷺ وفي عصر الصحابة والتابعين ﷺ، بحيث أقسم هذا البحث حسب المراحل الزمنية، كذلك أحاول أن أعرّف بأشهر المفسرين في كل مرحلة.

وكذلك سأعتمد على المنهج التحليلي، وذلك بتحليل المرويات التي تتحدث عن التفسير قبل التدوين وآراء علماء التفسير فيه، وسأحاول عرض نماذج منها، وكذلك سأوظّف هذا المنهج عند ذكر أقوال العلماء لمعرفة الخصائص والقيمة العلمية التي تضمنتها هذه المرحلة في التفسير.

إشكالية الموضوع

أما إشكالية هذا الموضوع فقد وضعتها في تساؤلات، وأذكرمنها:

1. ماذا تعني مرحلة التفسير قبل التدوين؟
2. كيف كانت مراحل التفسير قبل التدوين؟
3. من هم المفسرون البارزون في مرحلة التفسير قبل التدوين، و ما هي مكانتهم في التفسير؟
4. كيف كان دور الرأي والاجتهاد في مرحلة التفسير قبل التدوين؟
5. هل تعد مرحلة التفسير قبل التدوين من مراحل التفسير بالمأثور؟
6. ماهي خصائص التفسير قبل التدوين؟
7. ماهي القيمة العلمية للتفسير قبل التدوين ؟
8. باعتبار مرحلة التفسير قبل التدوين مرجع لما بعدها من المراحل، فما هي الآثار التي خلفها بعد تدوينه؟

9. ماهي النتائج المتحصل عليها من الدراسة التقييمية للتفسير قبل التدوين؟

الصعوبات والمعوّقات

1. سعة مجال هذه الدراسة، وتناثر مادتها العلمية هنا وهناك، مما أدى إلى صعوبة الإلمام بجميع جوانبها.

2. كثرة الأحاديث والآثار، مما جعلني أراجع كثيرا كتب السنة النبوية.

3. ضعفي في اللغة العربية وخاصة عند التعبير اللغوي كتابةً.

4. قلة المصادر والمراجع، وخاصة المتعلق بالموضوع "خصائص التفسير قبل التدوين وقيمته العلمية".

خطة البحث

قد سرتُ في البحث على الخطة المرسومة والمكونة من فصل تمهيدي وأربعة فصول وكل فصل منها يضم مباحث ومطالب وفروعا عدة، ثم الخاتمة التي تحتوي علي أهم نتائج البحث.

والجدير بالذكر، ربما قد يُلاحظ اختلاف عدد الصفحات بين الفصول في هـذا البحث، وذلك يرجع إلى تفاوت مباحث كل فصل، إذ البحث عن التفسير في عهد الصحابة والتابعين أكثر من التفسير في عهد النبيﷺ من حيث التكلم عن المفسرين فيهما ومناهجهم في التفسير وغيرها، كما يرجع إلى تفاوت المادة العلمية الموجودة والمستخدمة لكل فصل.

وأما تفصيل الخطة فهو النحو التالي:

خصصت الفصل التمهيدي بالبيان مفهوم موضوع البحث وهي في النقاط الآتية:

-مفهوم التفسير

-نشأة التفسير

-مفهوم التفسير قبل التدوين

وخصصت الفصل الأول للبحث عن التفسير في عهد النبي ﷺ، وفيه خمسة مباحث:

1. التفسير المكتوب في عهد النبي ﷺ.

2. التفسير المأثور من النبي ﷺ. وفيه مطلبان:

أ. حجم المأثور من تفسير النبي ﷺ

ب. الأسباب الداعية لعدم تفسير النبي ﷺ للقرآن كله

3. مصادر التفسير في عهد النبي ﷺ. وفيه مطلبان:

أ. القرآن الكريم

ب. النبي ﷺ

4. خصائص التفسير في هذه المرحلة. وفيه مطلبان:

أ. التفسير عند الحاجة إليه والسؤال عنه

ب. الايجاز والوضوح

5. القيمة العلمية للتفسير في هذه المرحلة. وفيه مطلبان:

أ. التفسير بالوحي من عند الله ﷻ

ب. المرجع الأساسي في التفسير

وأما الفصل الثاني كان حول التفسير في عهد الصحابةﷺ، وقسمته إلى خمسة مباحث:

1. المفسرون من الصحابةﷺ. وفيه ثلاثة مطالب:

أ. عبد الله بن عباس ومكانته في التفسير

ب. أبيّ بن كعب ومكانته في التفسير

ج. عبد الله بن مسعود ومكانته في التفسير

2. هل دوّن التفسير في هذه المرحلة؟

3. مصادرالتفسير في عهد الصحابة. وفيه أربعة مطالب:

أ. القرآن الكريم

ب. السنة النبوية

ج. أسباب النزول

د. الاجتهاد

4. خصائص التفسير في هذه المرحلة. وفيه ثلاثة مطالب:

أ. قلة الاختلاف في تفسير الصحابةﷺ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ب. خلوصه من التفسير بالرأي المذموم

ج. صيانته من الإسرائيليات الواهية

5. القيمة العلمية للتفسير في هذه المرحلة. وفيه ثلاثة مطالب:

أ. الحفاظ على السنة النبوية الصحيحة

ب. التفسير المأثور عن الصحابة له حكم بالمرفوع

ج. قيمته في استنباط الأحكام الفقهية

وخصصت الفصل الثالث لبحث التفسير في عهد التابعين، وقسمته إلى خمسة مباحث:

1. مدارس التفسير في عهد التابعين وأشهر المفسرين منها. وفيه ثلاثة مطالب:

أ. مدرسة التفسير بمكة وأشهر المفسرين فيها

ب. مدرسة التفسير بالمدينة وأشهر المفسرين فيها

ج. مدرسة التفسير بالكوفة وأشهر المفسرين فيها

2. هل دون التفسير في هذه المرحلة؟

3. مصادر التفسير في عهد التابعين. وفيه خمسة مطالب:

أ. تفسير القرآن بالقرآن

ب. السنة النبوية

ج. أقوال الصحابة

د. الرأي كمصدر من مصادر التفسير

هـ. أهل الكتاب من اليهود والنصارى

ي. مراجعة اللغة في صميمها

4. خصائص التفسير في هذه المرحلة. وفيه ثلاثة مطالب:

أ. التوسع في التفسير

ب. دخول كثير من الإسرائيليات في تفسير التابعين

ج. ظهور نواة الخلاف المذهبي

5. القيمة العلمية لتفسير في هذه المرحلة. وفيه ثلاثة مطالب:

أ. الحفاظ على أقوال الصحابة ﷺ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ب. حكم التفسير المأثور عن التابعين

ج. أثره القيم في لمرحلة التفسير بعد التدوين

وأما الفصل الرابع فخصصت البحث في تقويم التفسير قبل التدوين، وفيه ثلاثة مباحث:

1. دخول الإسرائيليات
2. الوضع في التفسير
3. سقوط وانقطاع مسانيد في التفسير

وخصصت الخاتمة لأبرز نتائج هذا البحث.

وفي الختام، أقول بأن هذا العمل الذى سأقف به في هذا البحث ما هو إلا إسهام متواضع مني —أنا الفقير إلى رحمة الله–في خدمة كتاب الله تعالى وقيام ببعض الواجب نحو هذا الكتاب العزيز الذي يحمل في آياته ومعاني الدعوة إلى الحق والخير، ويحقق للناس السعادة فى دنياهم وأخراهم، وأسأل المولى ﷻ أن يوفقنا جميعا لفهم كتابه والعمل به وتطبيقه في حياتنا، وأن يجعل خلقنا القرآن كما كان النبي ﷺ والصحابة والتابعون رضي الله عنهم من بعده، كما أسأله ﷻ أن يوفق القائمين على خدمة القرآن وعلومه وأن يجعل عملهم خالصا لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل التمهيدي:

- مفهوم التفسير
- التفسير لغة
- التفسير في الاصطلاح
- نشأة التفسير
- مفهوم التفسير قبل التدوين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

– مفهوم التفسير

_التفسير لغة:

مصدر على وزن "تفعيل" وفعله الثلاثي "فسر"، ورد في لسان العرب: «فسر، يفسر، الفسر: البيان، فَسَرَ الشيءَ يفسره بالكسر ويفسره بالضم فسرا وفسره أبانه والتفسير مثله»[1]، أي الإبانة.

وفي نفس المعنى، يقول صاحب "القاموس المحيط": «والفَسْرَ هو الإبانة وكشف المراد عن اللفظ المشكل، وكشف المغطى كالتفسير، والفعل كضَرَبَ ونَصَرَ»[2].

وقال ابن فارس: «"فسر" الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وايضاحه، من ذلك الفَسْرُ، يقال فسرت الشيء، وفسّرتُه، والفَسر، والفسر والتفسرة: نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه»[3].

وهذه المعاني كما أيّدها الإمام بدر الدين الزكشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن": "التفسير" يرجع إلى معنى الإظهار والكشف، وأما أصله في اللغة مأخوذ من "التفسرة"، وهي بمعنى «القليل من الماء الذى ينظر فيه الأطباء فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصصها ومعناها والسبب الذى أنزلت فيه»[4].

ومن هذه الأقوال يتضح لنا أن مادة التفسير في اللغة تدور على معنى: البيان والكشف والتوضيح والإظهار.

وهناك رأي ثاني أن التفسير في اللغة من "تفعيل"، مقلوب من الاشتقاق من مادة فسر وهو بمشاركة مادة أخرى، يعنى السفر، فمثلا يُقال: "سفرت المرأة سفورا" أي إذا أَلْقَتْ خمارها

---

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، القاهرة–مصر : دار المعارف، د.ط، د.ت، ج5، ص110، مادة "فسر".

[2] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، بيروت–لبنان : دار الكتاب العربي،د.ط، 1983،ج2، ص110.

[3] أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، بيروت : دار الفكر،1411هـ–1991م، ط3،ج4، ص504 مادة "فسر".

[4] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت : دار الفكر، ط3، 1980،ج2، ص 147.

عن وجهها فهي سافرة[1]، وهذا كما يُذكر في "دائرة المعارف الإسلامية": «أن التفسير يلقي في مادة–(ف س ر) و(س ف ر) في معنى الكشف؛ ثم نرى السفر الكشف الظاهر: والفسر الكشف المادى والظاهر، والتفعيل منه التفسير: كشف المعنى وإبانته»[2]، أي أنه يرى أن المادتين تلتقيان في المعنى الكشف.

والكلمتان يتقاربان في المعنى واللفظ «"الفسر" لإظهار المعنى المعقول، ومنه قيل لما ينبئ عنه البول تفسرة وسمي بها قارورة الماء (...) وقيل سفرت المرأة عن وجهها وأسفر الصبح»[3]، وفي نفس المراد ذُكر في معجم متن اللغة: «فسر: فسر الشيء: فسره، فسر أياته وكشف معناه واللفظ والمشكل: كشف المغطيّ: كشف المراد»[4]، والاشتقاق لكلمة "التفسير" في اللغة كثير كما يقال : «جذب وجذب وصب وبص، وغير ذلك»[5].

ومن هنا يتبين لنا أن بين "الفَسر" و "السَّفر" تقارباً في المعنى ودلالته واحدة تعنى كشف المغلق، تسهيل البيان، «لأن أساس معنى الفَسْر هو: البيان والتوضيح، وأساس معنى السّفر هو: الانكشاف والظهور»[6].

وفي القرآن الكريم وجدنا كلمة "التفسير" تأتى بمعنى البيان والتفصيل، قال ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[7] ، أي بيانا وتفصيلا، وقال ابن عباسﷺ في قوله ﷻ :﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾، أي تفصيلا[8].

ومن هنا يبدو لي أن اللغة أرادت بالتفسير: كشف عن المغطّى الحسي والمعنوي، وأضاف الجرجاني: أنه يستعمل في الكشف الحسي، وفي الكشف عن المعاني المعقولة، وأما بنائه

---

[1] المرجع نفسه،ج 2، ص147، وانظر أرثر جيفري :مقدمتان في علوم القرآن؛ مقدمة كتاب المباني ومقدمة إبن عطية، تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة : مكتبة الخانجي، ط2، 1972،ص173.

[2] أحمد الشنتاوي: دائرة المعارف الإسلامية، بيروت : دار المعرفة، د.ط، د.ت، ج5، ص 348.

[3] الزركشي: البرهان في علوم القرآن،ج2، ص 148.

[4] أحمد رضا: معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، بيروت : دار مكتبة الحياة، د.ط، 1958،ج4، ص410.

[5] أرثر جيفري : مقدمتان في علوم القرآن، ص173.

[6] صلاح عبد الفتاح الخالدي : التفسير والتأويل في القرآن، الأردن : دار النفائس، د.ط، 1996،ص26.

[7] الفرقان: 33.

[8] الزركشي: البرهان في علوم القرآن،ج2،ص 148.

على وزن "التفعيل" لأنه للتكثير، وهذا كقوله ﷻ: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾[1]، وقوله ﷻ: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾[2]، فكأنه «يتبع سورة بعد سورة وآية بعد أخرى»[3]، ولكن نرى سواء كان مأخوذا من "الفسر" و"السفر" فهما يلتقين في معنى: يدور حول معنى الكشف، البيان والإبانة.

ونلاحظ في هذا الصدد، أن لفظ التفسير معناه تدور حول المعاني التي ذكرها سابقة، ولكنه اشتهر مقرونا بالقرآن حتى أصبح التفسير علما وفنا إذا أُطلق، كأن نقول مثلا : "أقرأ في التفسير"، فيفهم من هذا القول "أنا أقرأ كتابا الذي يكشف لمعاني الكلمات أو التراكب القرآنية[4].

_التفسير في الاصطلاح:

أما التفسير في الاصطلاح فقد تعدد تعاريفه،كما ذُكر ذلك في كتب علوم القرآن وكتب التفسير، وبعد متابعة بعضها وجدتُ أن تعريف علماء التفسير المتأخرين غالبا مايكون شاملا يحتوي آداب المفسر وشروطه، وشاملا لجملة من علوم القرآن وأحكام الشريعة[5] وغيرها من الأمور التي تتعلق بالتفسير وعلوم القرآن، فمثال ذلك عند العلماء في علوم القرآن، وعندي أبرزهم :

-يقول الزركشي: «علم نزول الآية وسورها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها»[6].

-ويقول السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن": «علم نزول الآيات، وشؤونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها وناسخها

---

[1] البقرة:49.

[2] يوسف:23.

[3] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص 147.

[4] عبد القادر محمد صالح: التفسير والمفسرون في العصر الحديث، بيروت : دار المعرفة، ط1، 2004، ص81.

[5] انظر محمد حسين علي الصغير: المبادء العامة لتفسير القرآن الكريم، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1993،ص17.

[6] الزركشي: البرهان في علوم القرآن،ص 148.

ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها»[1].

وعند متابعة وجهة نظر المتقدمين، وجدت تحديد المعنى الإصطلاحي للتفسير، مثل ما قاله صاحب تفسير "التحرير والتنوير": «اسم العلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أوتوسع»[2]، وكذلك ما عرّفه الزرقاني في كتابه "مناهل العرفان": «علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية»[3].

ومع أن هناك خلاف بين العلماء فيه، سواء كان من المتقدمين أو المتأخرين، وكثرة تعاريف "التفسير" اصطلاحا، إلا أن الحق عندي أن تعارفه مشتركة متداخلة، أي مهما اختلفت هذه التعريفات من جهة اللفظ، فإنها تتحد من جهة المعنى والهدف، ولذا يتضح لنا مما سبق أن التفسير يدور حول معنى علم يبحث عن مراد الله ﷻ في القرآن الكريم بقدر الطاقة البشرية، وهو شامل لكل مايتوقف عليه فهم المعنى وبيان المراد، وما عرفه الزرقاني وهو من المتقدمين أقرب إلى نفسي، لأنه يحدد المصطلح العلمي للتفسير وكذلك تعريفه يلتقى فيه المعنى الاصطلاحي للتفسير بالمعنى اللغوي وهو ارادة الكشف والبيان.

-نشأة التفسير

إن الله ﷻ خاطب كل قوم بما يفهمونه، ولذلك أرسل كل رسول عليهم السلام في هذه الدنيا بلسان قومه، وأنزل كتابه بلغتهم، ليتم تخاطبه معهم، فأنزل اللهﷻ القرآن على رسول اللهﷺ بلغة العرب[4]، قال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[5]،

---

[1] السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، بيروت : دار احياء العلوم، ط1، 1987،ج2، ص 491، وانظر محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، القاهرة: مكتبة مصعب بن عمير الإسلامية، ط2، 2004، ج1، ص13.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، تونس : دار التونسية، د.ط، 1984، ج1، ص 11.

[3] محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان، بيروت : دار الفكر، ط1، 2004،ج2، ص4-5.

[4] انظر مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، بيروت : مؤسسة الرسالة، د.ط، 1985،ص 333، وانظر محمد حسين الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث، القاهرة : مكتبة وهبة، ط4، 1990، ص 44، وانظر خالد عبد الرحمن العك: أصول التفسير وقواعده، بيروت : دار النفائس، ط2، 1986، ص34.

[5] يوسف : 2.

وهكذا نزل القرآن بلغة العرب وعلى أساليبهم وبكلامهم، وهذا جاري على سنة اللهﷻ في إرسال الرسل كلهم[1]، قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾[2].

وفي عصر نزول الوحي كان العرب في ذروة الفهم للغة العربية؛ وهم أصحاب الفصاحة، والقرآن نزل إليهم ويخاطبهم جميعا، ويحثهم لما يدعوهم إليه، فلهذا من الطبيعي، أغلبية ماتضمنه القرآن ألا يكون غامضا أو مشكلا عليهم، ولأنهم من أفصح العرب فهم أقرب الناس إلى فهمه وإدراك معانيه وتقدير قيمة بلاغته[3].

ولكن القرآن ليس كتابا اللغويا أوكتاب شعر أو كلام بشر، وكما علمنا ففيه الغريب والمتشابه وغيرها من الأمور التي تجعله مختلفا عن سائر كتب، وبجانب ذلك، أن الصحابة ﷺ لم يكونوا في مستوى واحد في الفصاحة والبلاغة، ولذا فهم تفاوتوا في الفهم والإدراك له، وإذا وجدوا من مبهمات التعابير أو ماغمض عليهم فهمها، لدقتها وقوة معانيها، فإن هذه الوقفة لم تكن تطول بهم، حيث الرسول ﷺ بين أيدهم، فكان يبين ويوضح لهم ماخفي على فهمهم أو دق عن أذهانهم، إذ كان عليه ﷺ البيان، كما كان عليه البلاغ، مصدقا لقوله ﷻ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾[4].

ومن ثم، فقد كان الصحابة ﷺ إذا التبس عليهم فهم آية من الآيات سألوا رسول اللهﷺ عنها، فيوضح لهم ما أشكل عليهم فهمه وإدراكه، روي عن ابن مسعود ﷺ: «لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[5]، شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا أينا لا يظلم نفسه!

---

[1] الذهبي :التفسروالمفسرون،ج1، ص 28.

[2] إبراهيم: 4.

[3] عبد المنعم النمر: علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر، بيروت : دار الكتاب اللبناني ،د.ط، 1985،ص23.

[4] النحل :16.

[5] الأنعام :22.

فقال رسول الله ﷺ : ﴿إنه ليس بذاك ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه:﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ [1]﴾[2]، وإن شاء الله تعالى سوف أذكر نماذج من التفاسير المأثورة عن النبى ﷺ غيرها عند البحث عن التفسير في عهد النبي ﷺ.

وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون : «وكان النبي ﷺ يبين المجمل، ويميز الناسخ والمنسوخ، ويعرفه أصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الأية ومقتضى الحال منها منقولا عنه»[3]، ومن هنا يتبين لنا أن نشأة التفسير ترجع إلى عهد النبي ﷺ، فكان يبين لأصحابه معاني القرآن الكريم كما يبين لهم ألفاظه، بل «شرح الرسول ﷺ لهم القرآن بقوله وبعمله وبتقريره وبخلقه أي بسنته الجامعة لأقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته مصداقا لقوله ﷻ:﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [4]﴾[5]، وسيأتى البحث عن هذا تفصيليا في فصل التفسير في عهد النبي ﷺ، بإذن الله ﷻ.

والجدير بالذكر، ماقاله ابن عاشور في بيان كيف نشأت الحاجة إلى التفسير، يرى أن القرآن لا يحتاج إلى التفسير إحتياجا أصليا، إنما هي حاجة عارضة، وذلك ترجع إلى سببين:

1. أن القرآن لم يترل دفعة واحدة، وإنما في ظرف زمني متسع في 22 سنة، وبجانب ذلك كان نزوله منظورا فيه إلي مناسبة الظروف والأحوال والوقائع ولذلك علم أسباب الترول هو أحد العناصر الأساسي في التفسير.

2. «دلالة القرآن الأصلية الواضحة تتبعها معان تكون دلالة التركيب عليها محل إجمال أوإبهام»، ومن ثم كان الصحابة ﷺ إذا وجدوا ما أشكل على فهم رجعوا إلى النبي ﷺ، ولهذا كان بيان أو تفسير النبي ﷺ مصدرا ثانيا من مصادر التفسير في ذلك العهد[6].

---

[1] لقمان :13.

[2] رواه البخاري، رقم الحديث 4458، محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، بشرح الكرماني، بيروت : دار إحياء التراث العربي، ط2، 1981، ج18، ص41.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون : المقدمة، القاهرة : دار الكتب العلمية، ط1، 1993،ص348.

[4] النحل:44.

[5] الزرقاني: مناهل العرفان،ج1،ص22.

[6] أحمد اسماعيل نوفل: مجاهد المفسر والفسير، القاهرة : دار الصفوة، ط.1، 1990، ص258.

وهكذا نشأ التفسير في عهد النبي ﷺ، وهو زمان نزول الوحي، ثم تولى الصحابة ﷺ هذه المهمة، فتمسكوا بتفسير القرآن من النبي ﷺ، و لم يتكلموا عنه إلا لضرورة أو عند الحاجة إليه، فتوسع مجال التفسير في ذلك العهد بوجود بعض المناهج الجديدة فيه.

وبعدهم جاء عهد التابعين، فهم تلاميذ المدارس التي أقامها الصحابة ﷺ، ومن أشهرها مدرسة التفسير بمكة ومدرسة التفسير بالمدينة ومدرسة التفسير بالكوفة، وكان فيها تلقوا علوم شتى أهمها تفسير القرآن، فجمعوا ماروى عن الرسول ﷺ من الحديث، وما تلقي عنهم من تفسير للآيات القرآنية[1].

وهكذا علم التفسير للقرآن الكريم تنقل جيلا بعد جيل من هذه الأمة، وتطور حسب حاجة الناس في كل عصر حتى عصرنا، فجيل بعد جيل خير القرون -أي الذين يعيشون في عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين- أشد حاجة إلى تفسير القرآن وإلى المفتاح أو الوسيلة للفهمه وإدراكه، وذلك لضعف ذوقهم للغة العربية ولبعدهم عن زمن نزول الوحي.

-مفهوم التفسير قبل التدوين

التدوين لغة :«دوّن الديوان: أنشأه وجمعه، ودوّن الكُتُب: جمعها ورتبها»[2]، أي في اللغة يعني «تقييد المتفرق وجمع المشتت في ديوان؛ ومنه جمع الصحف فى كتاب»[3]، ويُذكر في تاج العروس: «التدوين هو جمع الصحف المشتتة فى ديوان ليحفظها»[4]، وقُصد بالتدوين في التفسير فهو جمع كلام المفسر وتنظيمه بحيث يكون مرتبا على سور القرآن، ولكن دون أن يقصد المفسر استيعاب كل جزئيات التفسير[5].

---

[1] انظر خالد العك: أصول التفسير وقواعده، ص 32- 34 بتصرف.

[2] إبراهيم أنيس، وعبد الحليم منتصر، وعطية الصوالحي، ومحمد خلف الله أحمد: المعجم الوسيط، بيروت : دار الفكر، ط3،د.ت،ج1،ص305.

[3] انظر محمد بن مطر الزهراني : تدوين السنة النبوية؛ نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، الرياض- السعودية :دار الهجرة ، د.ط، 1996،ص13.

[4] محمد مرتضى الحسيني الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، بيروت: دار الفكر، د.ط، 1994،ج9،ص204.

[5] عبد الرزاق إسماعيل هرماس: لمحات عن المدونات الأولى في التفسير خلال النصف الثاني من القرن الهجري، الكويت: مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة العاشرة، العدد السابع والعشرون، شعبان 1416، ديسمبر، 1990م ،ص23.

وكما ذكرت من قبل، عند الحديث عن نشأة التفسير، أنه مرّ بمراحل عديدة قبل أن يتمثل كما في يومنا الآن، وفي عهد النبي ﷺ والصحابة ﷺ لم يكن هناك تدوين التفسير، صحيح هناك عملية كتابة التفسير، أي «تسجيل مرويات تفسير القرآن، حتى لا تضيع»[1]، كانت بصحائف خاصة لديهم.

صاحب "التفسير والمفسرون" قد فصل خطوات التفسير قبل تدوينه بثلاثة خطوات، وهي: الأولى بطريق الرواية بين الصحابة والتابعين؛ والثانية مرّ مع ابتداء التدوين للحديث، والتفسير يكون باب من أبوابه؛ ثم تأتي الخطوة الثالثة بانفصالها عن الحديث[2]، وسأتطرق للبحث عن علاقة نشأة التفسير بتدوين الحديث في المباحث اللاحقة-إن شاء الله-، لكن في هذا الفصل أبغي تحديد الفترة الزمنية لبداية التفسير قبل تدوينه، وبالجملة بعد مانظرت إلى مفهوم "التدوين" لغويا واصطلاحيا، أعني "التفسير قبل التدوين" قبل إفراء في كتاب مستقل مرتب حسب السور في المصحف دون المباحث الحديثية والفقهية.

أما تحقيق متى بدأ هذا الأمر، أي تدوين التفسير في كتاب مستقل وأول من قام بذلك، ليس أمر سهلا[3]، كما صرح الدكتور عبد الرزاق هرماس في دراسة له حول هذا الموضوع: حيث قال: «رغم كثرة ماكتب عن تاريخ التفسير فلا نكاد نظفر في أغلب الكتابات بما يساعد على ضبط الفترة التي شهدت جمع أول تفسير كامل للقرآن»[4]، وبجانب ذلك فإننا لم نحصل على كل ماكتب من التفسير منذ بدأ حركة كتابه[5]، ويجدر بنا أن نسمع رأي الدكتور هرماس في أسباب هذه الحالة، يقول: «ربما ترجع صعوبة تحديد زمن ظهور أول تفسير إلى:

1. تباين واختلاف آراء القدامى في هذا الموضوع، ثم اكتفاء جل الدارسين والباحثين في العصر الراهن بتغليب رأي منها.

---

[1] المرجع نفسه، ص22.

[2] انظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص104-105.

[3] وأيّد الذهبي على ذلك، انظر المصدر نفسه، ص 106.

[4] عبد الرزاق هرماس: لمحات عن المدونات الأولى في التفسير، ص21.

[5] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص107.

2.تفرق الأخبار المتعلقة بتاريخ التفسير وأوائل مدونيه في كتب تاريخ الرواة، ومصنفات الجرح والتعديل، فجاءت هذه الأخبار موزعة بين المصنفات وبين مختلف التراجم»[1].

ولقد أُشرت من قبل أن تحديد أول من ألف في التفسير ليس أمرا سهلا ويصعب تحقيقه، وهذا يرجع إلى أن كثيرا من كتب التفسير لم تصل إلينا، وصعوبة في تحديد أول من ألفه أو من يمكن اعتباره صاحب أول مدونة في التفسير، ولهذا عندي لابد أن يفرق بين أول كتاب في التفسير وأول كتاب في التفسير الذي يصل إلينا على وجه التحديد، بيد تحديد مفهوم "تدوين التفسير"، فلعلي يسهل في تحديد ذلك.

وهناك آراء العلماء في تحديد أول من كتب في التفسير، فمنهم من يرى أن صاحب أول مدونة هو: ابن جريج (ت.149 هـ)، ومنهم من يرى سعيد بن جبير (ت.95هـ)، ومنهم من يرى مجاهد بن جبر المخزومي (ت.104هـ)، ومنهم من يرى عبد الرزاق الصنعاني (ت.211هـ)، ومنهم من يرى ابن جرير الطبري (ت.310هـ) وغيرهم، وقد ذكر الدكتور عبد الرزاق هرماس هذه الآراء بزيادة غيرها من أقوال العلماء المتخصصين في الدراسات القرآنية وكذلك آراء المستشرقين في ذلك بكامله في مقالته: "لمحات عن المدونات الاولى في التفسير خلال النصف الثاني من القرن الهجري"[2].

فهنا لا أتكلم عن تفاصيل أول من كتب في التفسير لأن تحقيق ذلك سيأتي ذكره في الفصول المقبلة بإذن الله تعالى، وإنما أود فقط أن أشير إلى الفترة الزمنية للتفسير قبل تدوينه في كتاب مستقل.

وبعد متابعة الآراء في "من هو صاحب المدونة الأولى في التفسير"، فإنني مع رأي الدكتور عبد الرزاق هرماس أن بداية تدوين التفسير لم تتأخر حتى القرن الثاني، بل قد شهد القرن الأول ظهور تدوين التفسير كاملا، وذلك أن تفسير مجاهد بن جبر وتفسير سعيد بن جبير هما أقدم التفاسير ظهورا[3]، فمن هنا نستطيع أن نقول أن بداية تدوين التفسير هو في عهد التابعين، والله أعلم.

---

[1] عبد الرزاق هرماس: لمحات عن المدونات الأولى في التفسير، ص21.

[2] انظر آراء العلماء في هذا الموضوع بكمالها في المقالة لعبد الرزاق إسماعيل هرماس: لمحات عن المدونات الأولى في التفسير، ص25-42.

[3] المصدر نفسه ص42، وانظر يوسف خليف:دراسات في القرآن والحديث، القاهرة : مكتبة الغريب، د.ط، د.ت، ص120.

ومن ثم فمفهوم الزمنية للتفسير قبل التدوين هي عند مراحل التفسير: في عهد النبيﷺ، والصحابة والتابعين ﷺ، فبحثي هذا –إن شاء الله تعالى– سوف يدور حول تلك مراحل، وبتحديد دراسة التفسير فيها، وخصائصه وقيمته العلمية في تلك مراحل.

❁❁❁

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول:

التفسير في عهد النبي ﷺ

وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول : التفسير المكتوب في عهد النبي ﷺ
- المبحث الثاني : التفسير المأثور من النبي ﷺ
- المبحث الثالث : مصادر التفسير في عهد النبي ﷺ
- المبحث الرابع : خصائص التفسير في عهد النبي ﷺ
- المبحث الخامس : القيمة العلمية للتفسير في هذه المرحلة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

❁❁❁

التمهيد:

إن الله أنزل القرآن الكريم على النبي ﷺ بلغة العرب وعلى مقتضى سننهم في القول، وأساليبهم في البيان حتى يفهم الناس ماجاء به، ويعملوا بما فهموا، وتلك سنة من سنن الله ﷻ في رسالاته إلى البشر، قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾[1]، يهدى به من اتبع رضوانه إلى الصراط المستقيم، وبه يخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذنه ﷻ ويرشدهم إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

كما أن من سننه أنه ﷻ ما وضع كتابا للبشر ليفهم بذاته من غير شرح أوبيان، وإنما احتيج إلى الشروح والتفسير، فـﷻ لا يتركه بمعانيه القيمة فحسب بل أنزل علي النبيﷺ البيان أو التفسير له، كما قال ﷻ: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[2]، أي أن يبينه له ويفسره ويوضحه[3]، وكان عليه ﷺ البيان كما كان عليه البلاغ.

ولأنه ﷺ المنزل عليه القرآن هو المفسر الأول له، قال ﷻ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[4]، لذلك فخير من يمكن أن يفسر القرآن ومن ينبغى أن يطلب منه تفسيره بعد الله ﷻ هو رسوله ﷺ الذى وصفه ربه ﷻ فى القرآن الكريم أنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[5].

هذه هي المرحلة الأولى في التفسير وأبرزها وأحسنها، وسوف نتحدث عنها في هذا الفصل –بإذن الله تعالى–، وهذه المرحلة تعد المرحلة ما قبل التدوين.

❁❁❁

[1] إبراهيم: 4.

[2] القيامة: 19.

[3] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، بيروت : دار الأندلس، د.ط، د.ت، ج7، ص167-168.

[4] النحل: 44.

[5] إبراهيم عبد الرحمن خليفة: دراسات في مناهج المفسرين، د.ن،د.م،د.ط، د.ت،ص213.

المبحث الأول : التفسير المكتوب في عهد النبي ﷺ

من المعلوم، أن هذا العهد هو عصر نزول القرآن الكريم، وبين يدى نزوله كان النبيﷺ بيّن وفسّر ما أنزل إليه كل ما يحتاج إلى ذلك، وكان الصحابة ﷺ إذا غمض عليهم لفظ أو أشكلت عليهم آية لجأوا إلى رسول الله ﷺ، فيوضحه ﷺ ويبين ما خفي عليهم.

وفي هذا العهد لم يكن فيه تدوين التفسير، وكما أشرت في الفصل التهيدي أن بداية تدوينه ترجع إلى أواخر القرن الأول، لكن ماجرى في هذا العهد هو كتابة بعض تفاسير القرآن وذلك في صحائف لدى بعض الصحابة ﷺ.

وذلك مع أن مهمة الرسول ﷺ هي ابلاغ القرآن إلى المسلمين في ذلك الوقت وجمعه في قلوبهم بحفظه واستظهاره، فقد كان للنبي ﷺ كتّابا للوحي، وهم من خيرة الصحابةﷺ وقد بلغ عددهم بضعة عشرين شخصا، وكلما نزل شيء من القرآن الكريم أمرهم بكتابته، فهم يسجلون بين يديه ﷺ ويحررون وسائله مما يسهل عليهم من العشب، والجريد، واللحاف، والرقاع وغير ذلك، ثم يوضع المكتوب فى بيت رسول الله ﷺ[1].

ويؤكد ذلك من حديث ابن عباس ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ يأتى عليه الزمان وهو يترل عليه السور دوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ﷺ: ﴿ضعوا هذه الآيات في السورة التى يذكر فيها كذا وكذا﴾[2].

والشيء الذي أود أن ألفت النظر إليه هو، مع أن هناك كتاب مخصوصين للنبي ﷺ، كان غيرهم من الصحابة ﷺ يكتبون ما سمعوا من القرآن من عند الرسولﷺ في مصحف أومصاحف خاصة بهم[3] ويضعون في بيوتهم.

ومن هذه الظاهرة تبين لنا أن غيرة بعض الصحابة ﷺ وإيمانهم الصادق وحبهم لإسلام ولحافظ على ماسمعوا من النبيﷺ هي الأسباب التى دفعتهم إلى كتابة الوحي من النبي ﷺ.

وكانت ظاهرة الكتابة في هذا العهد ليس فقط للقرآن، فقد كتبوا بعض الصحابة ﷺ ماليس من القرآن، إذ في بعض الأحيان وأثناء ابلاغه ﷺ للوحي إلى أصحابه ﷺ فقد تحدث

---

[1] انظر الزرقاني: مناهل العرفان، ج1، 171-172، وانظر أرثر جيفري: مقدماتان في علوم القرآن، ص 273.

[2] رواه الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي : سنن الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، بيروت: دار الفكر،د.ط،1983،رقم الحديث: 3086، كتاب التفسير، باب من سورة التوبة،ص 272، وقال: هذا حديث حسن.

[3] الزرقاني: مناهل العرفان، ج1، 172و189، وانظر أرثر جيفري: مقدماتان في علوم القرآن، ص 273.

النبي ﷺ مما يكون تأويلا أو تفسيرا للقرآن، وذلك ما أشكل عليهم من معاني القرآن، إما بسؤال منهم أو بيانه ﷺ للأحكام المأخوذ من القرآن أو مقاصدها، وكان الصحابة يكتبونها في مصاحفهم مع القرآن الكريم[1].

ويبدو لي أن ما فعل الصحابة ﷺ ليس إلاّ لحبهم للإسلام والقرآن والنبي ﷺ وخشية أن يضيع ما فسره النبي ﷺ مع أهميته العظيمة، فجمع كتابته مع القرآن[2].

ويؤكد على ذلك ما قال الزرقاني عندما علق على من قال أن أبي بن كعب ﷺ حذف من القرآن ما كان يرويه ولا نجده اليوم في المصحف، وهي آية :«اللهم إنا نستعينك ونستهديك إلى قوله إن عذابك الجد بالكفر ملحق»[3]، وهنا يقول صاحب "مناهل العرفان": «إنما روي عنه أنه أثبته في مصحفه، وقد أثبت في مصحفه ماليس من القرآن من الدعاء أوالتأويل»[4]، ومن ذلك كما روى الإمام البخاري رحمه الله، في صحيحه عن أبي جحيفة قال: قلت لعليّ: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلاّ كتاب الله أو فهم أُعطيه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة، قال قلت فما في هذه الصحيفة؟ قال العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر[5].

وكان من حب الصحابة للنبي ﷺ أنهم اهتموا بما قال وفعل وقرره ﷺ، ومن ذلك أن بعضهم كان يكتب أقوال النبي ﷺ، ويجمعها في صحيفتها الخاصة مع القرآن وتفسيره، فربما هذا يعتبر بدور الرواية لأقوال النبي ﷺ.

ومثال ذلك ما جاء في الحديث الذي ذكرته آنفا، وقال ابن حجر في "الفتح"، يقول ابن المنير: «فيه دليل على أنه كان عنده أشياء مكتوبة من الفقه المستنبط من كتاب الله، وهي المراد بقوله «أو فهم أعطيه رجل» (...) وقوله (الصحيفة) أي الورقة المكتوبة»[6].

---

[1] انظر المرجع نفسه، ج1، 172و189.

[2] انظر عبد الرزاق إسماعيل هرماس: لمحات عن المدونات الأول في التفسير، ص22.

[3] الزرقاني: مناهل العرفان،ج1، ص 184.

[4] المرجع نفسه،ج1، ص189.

[5] رواه البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، الرياض: دار السلام، ودمشق : دار الفحياء، ط3، 2001، كتاب العلم، باب كتابة العلم، رقم الحديث: 111، ج1، ص269.

[6] المصدر نفسه، ص269-270.

وبعد هذا العرض، أقول أن في عهد النبي ﷺ كان بعض التفاسير المكتوبة مع القرآن أو مع أحاديث النبي ﷺ، وذلك في مصحف خاص لدى بعض الصحابةﷺ، وليس بأمر من النبي ﷺ، وكذلك لايشمل من تفاسيره ﷺ.

ومما يجدر التنبيه هنا، أن كون الصحابة ﷺ يكتبون القرآن مع بعض التفاسير لآيات القرآن أو غيره مع بعض بسبب قلة أداوات ووسائل الكتابة في ذلك الوقت، وكذلك لأنهم كتبوا لأنفسهم وليس لغيرهم، هون عليهم ذلك؛ لأنهم أمنوا على أنفسهم اللبس واشتباه القرآن بغيره، وكان في بداية الأمر سكت النبي ﷺ،ولكن مخافة اللبس والخلط والإشتباه في القرآن الكريم فقد صدر الأمر منهﷺ بالنهى عن كتابة غير القرآن معه، إذ يقول فيما يرويه عن الإمام مسلم رحمه الله عن أبي سعيد الخدري:﴿لا تكتبوا عني ومن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحه[1]، وذلك مخافة اللبس والخلط والإشتباه في القرآن[2].

❁❁❁

[1] رواه مسلم، رقم الحديث: 3004، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، بيروت : دار الفكر، د.ط، د.ت، كتاب الزهد والرقائق: باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، ج4، ص2298.

[2] انظر الزرقاني: مناهل العرفان،ج1، ص189.

المبحث الثاني: التفسير المأثور من النبيﷺ

كما قد اتضح لنا سابقا أن الرسول ﷺ هو المفسر الأول للقرآن الكريم، بمعنى أنه ﷺ قد فسّر القرآن الكريم، ولكن هل فسره كله أو بعضه؟

المطلب الأول : حجم المأثور من تفسير النبي ﷺ

اختلف العلماء قديما وحديثا حول هذا الموضوع؛ هل النبي ﷺ فسر القرآن كله أم لا إلى فريقين.

الفريق الأول ذهب إلى أن النبي ﷺ قد بيّن وفسّر لأصحابه ﷺ معاني القرآن كله، ويترأس هذا الفريق أحمد بن تيمية رحمه الله، وكان يرى أن النبي ﷺ بيّن جميع معاني القرآن كمابيّن ألفاظه، واستدل هذا الفريق بالنقل والعقل والواقع[1].

والفريق الثاني يرى أن الرسول ﷺ لم يبين سوى البعض القليل من معاني القرآن، وسكت عن البعض الآخر، ويترأسهم القاضي شمس الدين الخوبي والسيوطي، يقول الخوبي :«أما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم إلا بأن يسمع من الرسول ﷺ، وذلك متعذر إلا في آيات قلائل»[2]، ويذكر السيوطي: الصحيح من تفسير النبيﷺ قليل جداً، بل أصل المرفوع منه غاية القلة[3].

وفي هذا الصدد، لا أذكر أدلة كل فريقين ومناقشتها، وذلك خشية الإطالة ليس موضوع بحثي، وقد ذكرها الدكتور حسين الذهبي كلها في كتابه "التفسير والمفسرون"[4]، وذكر ذلك في بعض كتب الدراسات القرآنية[5].

---

[1] انظر ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير،ط1، الجزائر : دار الفجر،2001، ص 14-16، وانظر التفسير والمفسرون،ج1،ص49، وانظر سعود بن عبد الله الفنيسان: اختلاف المفسرين؛ أسبابه وآثاره، ط1، السعودية: دار إشبيليا، 1418هـ، ص 17، وانظر صبرى متولي: منهج ابن تيمية في تفسير القرآن الكريم، القاهرة: عالم الكتب، 1980، ص20-21.

[2] الزركشي، البرهان في علوم القرآن،ج1،ص16.

[3] السيوطي: الإتقان،ج2، ص494.

[4] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص38-42.

[5] انظر منها سعود الفنيسان: اختلاف المفسرين، ص17 -22، وانظر ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير،ص 14-16.

وأما رأيي في هذه المسألة كرأي الدكتور الذهبي[1]، فهو وسط بين الـــرأيـــين، أي أن الرسول ﷺ قد بين كثير من معاني القرآن لأصحابه ﷺ وقد بيَّن كل ما يحتاج الناس إلى بيانه، ولم يبين كل معاني القرآن، وهذا لأسباب التالية:

1. أن كتب الصحاح تشهد الكثير من تفسير النبي ﷺ للقرآن الكريم وليس كله[2].

2. لأن من القرآن مااستأثر الله ﷻ بعلمه، ومنه مايعلمه العلماء وهي المعاني الخفية التي لايفقهها عامة الناس، ومنه ماتعلمه العرب من لغاتهم أي فإذا قرئ عليهم فإنهم يفهمونه، ومنه ما لايعذر أحد في جهالته[3]، فمن غير المعقول أن يبين رسول الله ﷺ ألفاظ القرآن مما تفهمه العرب كالناقة والشجرة والكهف والكتاب، مما كان معلوما لهم بالفطرة والبديهة، لأن بيان مثل هذا تحصيل حاصل، وصرف الوقت بدون طائل، وفيه تكرار مما يرتفع عنه البليغ من العرب، فمثالا لوسمعوا تاليا يتلو: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾[4]، لم يجهل أن معنى الإفساد هو ترك ما ينبغى تركه أي بالمعصية مما هو مضرة، وأن الإصلاح هو ماينبغى فعله مما فعله أي بالطاعة وهو منفعة[5].

3. أن الرسول ﷺ لم يبين أو يفسر لهم الأمور الغيبية كحقائق يوم القيامة، والجنة والنار، مما لم يطلعه الله عليه، لأنه لو فعل—وحاشاه عن ذلك—لكان ادعاء بالباطل، وقولا على الله بغير حق، ولأنزل الله به بأسه، قال ﷻ :﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦﴾[6].

---

[1] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص42.

[2] كما ورد باب خاص لتفسير النبوي في كتب السنة، وقد جمع يوسف عمر مبيض: الأحاديث الصحيحة من التفسير النبـــوي في كتابه "صحيح التفسير النبوي"، د.ط، دمسق: منار للنشر والتوزيع ومؤسسة علوم القرآن، د.ت.

[3] انظر الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1، ص42.

[4] البقرة:11-12.

[5] انظر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آى القرآن،: بيروت: دار الفكـــر، د.ط، 1978، ج1،ص97-98.

[6] الحاقة:44-46.

4. ليس هناك دليل معتمد يثبت أن النبي ﷺ قد بين كل الآيات القرآنية، وكذلك حجم الذى وصل إلينا من تفسيره ﷺ لا يشمل كل القرآن، وإنما كان ﷺ بين ما سئل عنه أو ما وجده في حاجة إلى بيان[1].

5. قد وقع الخلاف بين الصحابة ﷺ في تفسير بعض الآيات كما شهده كتب السنة والتاريخ، فبطيعة الحال لو كان عندهم فيه نص عن رسول الله ﷺ ما وقع هذا الاختلاف، أو لارتفع بعد الوقوف على النص[2].

6. ولو كان النبي ﷺ فسر كل القرآن لقاله الصحابة والتابعين ﷺ في رواياتهم.

وخلاصة القول أن الرسول ﷺ قد بيَّن كل ما يحتاج الناس إلى بيانه من القرآن الكريم في سننه، ويشهد ذلك كتب الصحيح، وبشكل عام فإن السنة النبوية تفسير للقرآن الكريم، وفي البخارى كتبان هما : كتاب تفسير القرآن وكتاب فضائل القرآن يشغلان حيزا واضحا من الكتاب وربما كان نحو الثمن منه[3]، ويورد المحدثون التفسير النبوي والتفسير بالسنة في كتبهم تحت كتاب يعنونونه بـ"كتاب التفسير"، وممن كتب في هذا الباب: الإمام البخاري في صحيحه، والنسائي في سننه الكبرى، والترمذي في سننه، والحاكم في مستدركه، يقول الدكتور محمد بن لطفي الصباغ، «والحق في الوسط فليس ما فسره النبي ﷺ قليل، فهذه أبواب التفسير في كتب السنة حافلة، كما أنه لم يستوعب القرآن كله»[4]، ومن ثم فلم يبقى مما يصلح للتفسير إلا القسم الثالث مما ذكره ابن عباس ﷺ وهو مما يعلمه العلماء ويتفاوتون في فهمه، ولو كان فيه نص مااختلفوا فيه، لا سيما أن القرآن نزل للناس كافة ليستفيد منه أهل كل زمان في زمنهم[5].

المطلب الثاني :الأسباب الداعية لعدم تفسير النبي ﷺ للقرآن كله

كما تبين لنا في المطلب الأول أن النبي ﷺ لم يفسر كل القرآن، والقول الراجح يقول أن النبي ﷺ قد فسر كثير من آيات القرآن بمراعاة لحاجة اليه، ذكرت عدة أسباب داعية لعدم

---

[1] صبرى متولي: منهج ابن تيمية في تفسير القرآن الكريم، ص26، محمد إبراهيم عبد الرحمن : التفسير النبوي للقرآن الكريم وموقف المفسرين منه، مصر : مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، 1995، ص53.

[2] الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1، ص.42.

[3] أحمد الشنتناوي: دائرة المعارف الإسلامية، ج5، ص349، مادة "التفسير".

[4] محمد بن لطفي الصباغ: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، بيروت: مكتبة الاسلامي، ط3، 1990،ص201.

[5] سعود الفنيسان: اختلاف المفسرين، ص23.

تفسير النبيﷺ للقرآن كله، وهنا أود أن أظيف مما قد ذكرت سابقا سببان بنظـريتين، وهمـا النظرية الماضوية والمستقبلية:

أولا : أقصد بالنظرية الماضوية هي النظرية المسببة لعدم تفسير النبي ﷺكل القرآن، ومن الجدير بالذكر أن مضمون الآيات القرآنية منها ماوقف العرب جميعا على معناها[1]، وهـذه الحقيقـة لاجدل فيها، فالصحابة ﷺ كانوا يفهمون ماتضمنه القرآن بمجرد قراءته، ومثال ذلك ماذكرت من قبل، وبجانبه كانت حاجة أصحاب النبيﷺ الذين يعيشون معه لبيان أوتفسير القرآن منه ﷺ قليلة، لأنهم كانوا عربًا، يعرفون بالسليقة معاني الكلام العربي الذي نزل به القرآن[2]، و لم يتـسلل إلى عرقهم الامتزاج بغيره، كما أن العجمة لم تكن قد إندست إلى ألسنتهم، هـذا فـضلا علـى حضورهم التنزيل ومعرفة أسبابه، والمواقف المختلفة لأهل الكتاب والمشركين مما أشـار إليـه القرآن، كل ذلك جعل حاجتهم إلى البيان من النبي ﷺ قليل[3].

ولهذا ما كانوا يسألون النبيﷺ إلا ما غمض عليهم فهمه وحسب، وفي هذا الـصدد يقول الزركشي: إن القرآن إنما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب، فالصحابة ﷺ يعلمون ظواهره وأحكامه، أما دقائق باطنه أوماغمض عليهم فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي ﷺ[4]، وذلك ليس إلا في آيات معدودة قد أجملت فيها أحكام الـشريعة بحيـث لايتوقف عليها إلا ببيان منه ﷺ[5].

ومن هنا، فمن غير المعقول أن يبين رسول الله ﷺ ألفاظ القرآن مما تفهمه العرب كالناقة والشجرة والكهف والكتاب، مما كان معلوما لهم بالفطرة والبديهة[6]، كما أن العربي اليوم يفهم بالسليقة من القرآن الكريم أشياء كثيرة لا يحتاج معها الرجوع إلى كتب التفسير، فإننا -مثلاً- إذا سمعنا كلام الله تعالى عن الجنة، عن النار، عن الرسل، عن القرآن الكريم، فهمنـا معناهـا مباشرة بمجرد سماعها.

---

[1] الشحات السيد زغلول: من مناهج التفسير، الإسكندرية-مصر : دار المعرفة الجامعية، د.ط، 1996، ص52.

[2] المرجع نفسه، ص53.

[3] محي الدين بلتاجي: دراسات في التفسير وأصوله، الدوحة-قطر :دار الثقافة،ط1، 1987،ص17.

[4] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1،ص14.

[5] الشحات زغلول: من مناهج التفسير، ص53.

[6] سعود الفنيسان : اختلاف المفسرين، ص23.

ثانيا: أما النظرية المستقبلية، فأقصد بها الأسباب الداعية لعدم تفسير النبي ﷺ للقرآن كله لحكمة تتجلى في العصر بعد وفاته ﷺ، وفي نظري من هذه الأسباب هي:

1. هذا من إحدى اعجاز القرآن، إذ لو أن الرسولﷺ فسر للعرب أو الناس الذين يعيشون في عصره كل القرآن بما يحتمله زمنهم، وتطبيقه أفهامهم لجمد القرآن جموداً، وليس صالحا لكل زمان ومكان، إذ من المعلوم أن الأمور والمشكلة الإنسانية تتغير بتغير الزمان والمكان، وبهذا تهدم الأمة والعصور بآلاتها ووسائلها، وهذا باعتبار أن كلام الرسول ﷺ نص قاطع، ولكنه ترك تاريخ الإنسانية يفسر كتاب الإنسانية، فتأمل حكمة عدم تفسيره، فهي إعجاز لا يكابر فيه إلا من ذهب عقله[1].

2. ومن حكمته المستقبلية، في جانب العلم، وذلك مع أنه من مضمون القرآن هو جانب العلوم الطبيعية أو الكونية أو الآفاقية، ولكن كما عرفنا أن النبي ﷺ يتوقف في بيان الآيات الكونية والآفاقية لأصحابه ﷺ وعدم سؤال الصحابة ﷺعنها، فربما هذا إما لعدم ظهور الاكتشفات العلمية في ذلك الوقت أو لعدم فائدتها لهم، فهذا الجانب هو وجه عظيم من وجوه إعجاز القرآن الكريم، ومن حكمة عدم تفسير النبي ﷺ في هذا الجانب لأن العلوم الكونية والتكنولوجية تطور بتطور الزمان.

وقد أثبتت البحوث والاكتشافات الكونية في مختلف العلوم نتائج تتطابق مع ماثبت في القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا، وهذ مانراه من بعض العلماء المعاصرين المنصفين للحق، فأضرب مثال[2] لذلك في آية النحل، قالﷻ: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾[3]، فكل من تدبر هاتين

---

[1] مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، بيروت : دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.،ص11.

[2] وقد كُتب حول موضوع الإعجاز العلمي في القرآن، فمثلا انظر محمد السيد أرناؤوط: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، القاهرة:مكتبة مدبولي، 1989، وانظر طنطاوي جوهري: الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات، بيروت : دار الفكر، 1930، و محمد عناية الله أسد سبحاني: إمعان النظر في نظام الآي والسور، عمان : دار عمار، 2003، وغير ذلك كثير.

[3] النحل:67-68.

الآيتين، ثم ربط بين قوله ﷻ: ﴿فيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾[1]، وما أثبته علم الحديث من حقائق لاشك فيها عن فوائد ما يخرج من النحل، فيشعر في أعماق نفسه بأن هذا الكلام لا يتأتى من مخلوق، وإنما هو تنزيل من رب العالمين، ومن هنا نجد حكمة الله في عدم تبيين وشرح الآيات الكونية والآفاقية[2]، ومن هنا يثبت أن القرآن من عند الله ولا يأتيه الباطل، وقد وصفه الله ﷻ بقوله: ﴿وَإِنَّه لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[3]، فلهذ القرآن هو الحق المطلق، حق كله وصدق كله، ومن ثم يستحيل أن يثبت العلم حقيقة تتناقض مع ما جاء في القرآن، ومن ادَّعى أن هناك حقيقة علمية تناقض القرآن، فهو إما لم يفهم القرآن حق الفهم، فظن أنه يناقض العلم، أو لم يفهم العلم حق الفهم، فظن أنه يناقض القرآن.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد أبو شهبة[4]: «وقد كان من حكمة الله البالغة أن مانقل عن النبي ﷺ في تفسير القرآن لاسيما فيما يتعلق بنشأة الكون، وأسرار الوجود والآيات الكونية والنفسية أقل مما نقل عن الأحكام، وذلك لأن الأحكام الشرعية ثابتة دائمة لا تتغير بتغير الأزمان والعصور، أما الآيات الكونية والآفاقية والنفسية فهي مجال للنظر، والتفكر والتدبر ويختلف تناول الاستفادة منها بتنوع العقول، والفهوم وتتطور بتطور الأزمان والأجيال وهي عرضة للتقدم العلمي»، وهذا لأن الله أنزل القرآن حجة على الخلق، يقول أبو الليث: «إنما القرآن نزل حجة على الخلق، فلو لم يجز التفسير لم تكن الحجة بالغة»[5].

3. ومن المعلوم أن القرآن دعى إلى التفكر والتفكير في بعض آياته، فهناك آيات تستخدم بصيغة: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾[6]، أو﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[7]، وغيرها من آيات

---

[1] النحل:69.

[2] محمد إبراهيم: التفسير النبوي للقرآن الكريم، ص51-52.

[3] فصلت :41-42.

[4] محمد بن محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضعات في كتب التفسير، بيروت : دار الجيل، ط1، 1992، ص48.

[5] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج2 ص163.

[6] يوسف:2، وغيرها في عدة مكان في القرآن الكريم.

[7] النحل:44، وغيرها في عدة مكان في القرآن الكريم.

التي في مفهومها الدعوة إلى التفكير السليم، وفي رأيي أنّ من أبواب أو معاني التفسير هو التفكير، فلهذا يمكننا أن نقول أن من حكمة عدم تفسير النبي ﷺ كل القرآن هو ترك الأمة الإسلامية والعلماء منهم خاصة للتفكر للقرآن الكريم بمعانيه القيمة، وقد أشار الزركشي: من حكمة عدم تفسير النبيﷺ كل القرآن «أن الله تعالى أراد أن يتفكر عباده فى كتابه، فلم يأمر نبيه على التنصيص المراد»[1] ، وهذا لأن القرآن فيه كل فضل، وفضله على سائر الكلام يكونه مرجع لكل علم، وكما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره، أن النبي ﷺ قال:﴿فضل القرآن على سائر الكلام، كفضل الله تعالى على خلقه﴾[2].

وكذلك من خصائص القرآن هو الشمول والكمال، وهذا كما قال اللهﷻ فيه-: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[3]، فما من أمر يحتاجه الناس في دينهم أو دنياهم إلا في القرآن بيانه، فما من قضية يحتاجها الناس في اجتماعهم، أو أخلاقهم، أو عقائدهم، أو اقتصادهم، أو سياستهم، أو أمورهم الفردية أوالاجتماعية، الدنيوية أوالأخروية، إلا وفي القرآن بيانها إجمالاً أو تفصيلاً، سواء بالنص عليه، أو بدخوله تحت قاعدة كلية عامة فيه، أو بالإحالة على مصدر آخر؛ كالإحالة على السنة النبوية، أو القياس الصحيح، أو إجماع أهل العلم، أو ما أشبه ذلك، فمن ثم كان الناس في حاجة إلى القرآن وإلى التفكر فيما تضمنه.

وأختتم هذا المبحث بقول الدكتور موسى شاهين لا شين :أن «جمهور العلماء يقول أن النبيﷺ فسر بعض الآيات دون بعضهن فمن القرآن ما استأثر الله بعلمه، وما يتبادر فهمه ولا يعذر أحد بجهله، فليس الرسول حاجة إلى تفسيره»[4].

❁❁❁

[1] السيوطي: الإتقان،ج1،ص494، وانظر الشحات زغلول: من مناهج التفسير ،ص55.

[2] رواه الترمذي رقم الحديث: 2931، بيروت : دار احياء التراث العربي، ج5، ص184.

[3] يوسف:111.

[4] موسى شاهين لاشين : اللآلئ الحسان في علوم القرآن،ط1، مصر : دار الشروق، 2002، ص297.

المبحث الثالث : مصادر التفسير في عهد النبي ﷺ

وفي هذا المبحث سأتحدث عن مصادر التفسير في مرحلتـــه الأولى، وأرى أن في هـــذا العصر تنحصر في مصدرين، وهما القرآن الكريم والنبي ﷺ.

المطلب الأول : القرآن الكريم

لقد اتفق المسلمون قاطعة على حجية الكتاب الكريم، وأنه يجب العمل بمـــا ورد فيـــه والرجوع إليه لمعرفة حكم الله ﷻ، والقرآن هو المقطوع بثبوته والمنقول بالتواتر من أجيال الأمة مند تلقيه من الرسول ﷺ إلى يومنا هذا، ومن المعلوم من الدين بالضرورة أنه مـــصدر التـــشريع الأول، وقد تعهد الله ﷻ بحفظه إلى قيام الساعة.

وإذا نظرنا في القرآن، وجدنا فيه أسلوب الايجـــاز والإطنـــاب، والإجمـــال والتبـــيين، والإطلاق والتقييد والعموم والخصوص، مما يتبين أنه يفسر بعضه بعضا[1].

ولقد اتفق المفسرون أن أحسن التفسير وأعلى طرقه وأول المراتب وأشرف أنواعه هـــو تفسير القرآن بالقرآن، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فان قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ الجواب أن أصح الطرق أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسّر في موضـــع آخر، وما اختصر في مكان يبسط في موضع آخر»[2]، وكما أكد على ذلك الزركشي: «أحسن طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن»[3]، وهذا الكتاب المبارك تضمن أنواعا كثيرة من بيـــان القرآن بالقرآن[4].

ومما لاجدل فيه أن الله ﷻ المنزل القرآن هو أعلم بمراده[5] من غيره، وكتابـــه أصـــدق الحديث لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[6]، ومن ثم لمن أراد أن يفسر القرآن لابد

---

[1] الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1، ص31، وانظر سعود الفنيسان: اختلاف المفسرين، ص25، وانظر أبو شهبة: الإســـرائيليات والموضعات في كتب التفسير، ص44.

[2] ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير، ص57، وانظر موسى إبراهيم الإبراهيم : تأملات قرآنية؛ بحث منهجي في علـــوم القـــرآن الكريم، الجزائر : شركة الشهاب، د.ط، 1987، ص76.

[3] الزركشي: البرهان في علوم القرآن،ج2، ص 175.

[4] مصطفى أكرور: التفسير الفقهي نشأته وتطوره، الجزائر : دار المعرفة، د.ط،2004،ص237.

[5] الزرقاني: مناهل العرفان،ج1، ص11.

[6] محمد علي الصابوني: التبيان في علوم القرآن، بيروت : مكتبة الغزالي و مؤسسة مناهل العرفان، ط.2 ،1981،ص65.

له أن يأخذ هذا الطريق أولا، وهو تفسير القرآن بالقرآن وخاصة لمن أراد العلم أو التفسير القطعي والتأويل الصحيح للآية، لأنه لايعلم تأويل كلام الله إلا هوﷻ والراسخون في العلم، ولهذا فمن بدأ التفسير بهذا الطريق يحق له أن يقول فيه: «هذا هو المراد الحقيقى لآية الكريمة»[1].

ومن الأمور التي تبين ضرورة تفسير القرآن بالقرآن فعل الرسولﷺ المفسر الأول له، فهو الذى وضع هذا النوع من التفسير وقد سلك هذا الطريق في تفسيره، وهو الذي أشار إلينا هذه الطريقة المفضلة في التفسير، وذلك بالنظر لمفهوم آية بغيرها من الآيات وما تكرر منها في موضع واحد، ومقابلة الآيات بعضها ببعض فيفصل في معرفة ما جاء مجملا، ويحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، يقول الدكتور محي الدين بلتاجى بشأن مصادر التفسير في عهد النبيﷺ: أنه في عهده ﷺ نشأ الترتيب الطبيعي لعملية التفسير، فالمرتبة الأولى تكون بالنظر في القرآن الكريم، وهذا مايعرف عند المفسرين بتفسير القرآن بالقرآن[2]، وأكد على ذلك المستشرق اجنتس جولد تسيهر، أن في مرحلة الأولى للتفسير أي في عصر النبي ﷺ تتركز عملية التفسير فى القرآن نفسه[3].

فمثال ذلك ما أخرجه الإمام البخاري عن ابن مسعود ﷺ، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾[4]، شق ذلك غلى الناس فقالوا: «يارسول الله، وأينا لايظلم نفسه؟» فقالﷺ: ﴿إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ماقال العبد الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾[5]، إنما هو الشرك﴾[6]، ومن هنا نرى كيف أنه ﷺ لما سئل عن معنى أو تفسير تلك الأية، فأجابه ﷺ مبينا بغيرها من الآية تبيينا وتفصيلا لها.

---

[1] صبري المتولى: منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم؛ دراسة موضوعية لجهود إبن القيم التفسيرية، القحالة: دار الثقافة، د.ط، 1986،ص126.

[2] محي الدين بلتاجي: دراسات في التفسير وأصوله،ص15-16.

[3] اجنتس جولد تسيهر: المذاهب التفسير الإسلامى، بيروت : دار إقرا، ط3، 1985،ص4.

[4] الأنعام:82.

[5] لقمان:13.

[6] رواه البخاري، رقم الحديث:4458،كتاب التفسير، ج17،ص41.

فلهذا نستطيع أن نقول أن النبي ﷺ أخذ القرآن كمصدر لتفسيره المرتبة الأولى، إذ أنه عندما سئل وبيّن من القرآن فنظر أولا ما في القرآن نفسه فيكون تفسير القرآن بالقرآن.

ومثال آخر ما روي عن أم المؤمنين عائشة المطهرة زوج النبي ﷺ، قالت :«سألت رسول الله ﷺ عن هذه الأية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[1]، قالت عائشة: «أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون»؟، فقال: ﴿لا،يابنت الصديق، ولكنهم يصومون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات﴾[2].

المطلب الثاني: النبي ﷺ

وأقصد النبي ﷺ كأحد مصادر التفسير في هذا العصر أنه ﷺ قد بيّن وفسر القرآن بقوله وفعله وتقريره، والصحابة ﷺ يرجعون ويسألون النبي ﷺ تفسير القرآن، فهذا النوع -أي التفسير من النبي ﷺ -يعدّ من أحسن طرق التفسير، أو بعبارة الزركشي "الطراز الأول"[3] وبعبارة السيوطي "الطراز المعلم"[4]، يعني النوع الأول بعد التفسير بالقرآن، الذي لا يعدل عنه إلى غيره، و ماجاء من النبي ﷺ يكون مصدرا ثانيا بعد القرآن في التشريع الإسلامي.

فلهذا كانت هذه المرحلة لها مميزة وفضيلة خاصة لأن المفسر الأول المنزل إليه القرآن هو الذي يفسر مباشرة، ويجيب عن كل التساؤلات أو المشكلات في القرآن، وذلك لأن -كما ذكرنا من قبل- أن مهمة الرسول ﷺ هو التبيين والتوضيح لماتضمنه القرآن، وهذا كما ذكره القرآن: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[5].

فالرسول ﷺ يبين القرآن للصحابة ﷺ مالزم بيانه، لأن في القرآن آيات لابد أن تأتي بيانها من النبي ﷺ خاصة لا من غيره، وهي كثير[6]، بل كما عرفنا أن كثيرا من أحكام الإسلام

---

[1] المؤمنون:60.

[2] الترمذي، رقم الحديث: 3188، كتاب التفسير، ج5، ص328، وقال: الحديث حسن صحيح.

[3] الزركشي: البرهان في علوم القرآن،ج2،ص156.

[4] السيوطي : الإتقان،ج2،ص 505.

[5] النحل:44.

[6] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 184.

وفرائضه التي جاءت في القرآن، إما في العبادات أوالمعاملات ما أمر الله بها أمرا عاما مجملا في بعض آيات القرآن ترك بيان تفاصيله وجزئياته للرسول ﷺ، كالطاهرة والصلاة والحج والزكاة والجنايات وغير ذلك، فهذه الأحكام التي تمكنت بمثابة شعار الدين الإسلامي فلا يمكن فهمها على حقيقتها ومعرفة كيفية القيام بها بدون الرجوع إلى الرسول ﷺ[1].

وبظاهر معنى الآية لا كفاية لفهم مقصود الآية، فمثلا من سمع من القرآن: ﴿وأقيموا الصلاة﴾[2]، فهو بحاجة إلى بيان من النبي ﷺ بشأن أركان الصلاة ومواقيتها وعدد ركعاتها[3]، ومن ثم اتفق العلماء فيما جاء عن رسول الله ﷺ من شرح أو بيان عن القرآن بسند صحيح ثابت فإنه مما لا شك في أنه حق يجب اعتماده[4].

قال الزرقاني: ولقد قام الرسول ﷺ تفسير القرآن خير قيام حتى اعتبرت السنة النبوية كلها شارحة له ونقل منها في التفسير بالمأثور شئ كثير ولقد تأثر العلماء بتفسيره ﷺ منذ عهد الصحابة ﷺ إلى اليوم[5]، وما أخرجه البخاري في صحيحه في "كتاب فضائل يالقرآن"، عن أبي هريرة ﷺ، قال النبي ﷺ ﴿ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة ﴾[6]، ويرى الشيخ خالد عبد الرحمن العك معنى هذا الحديث: «"وإنما الذى أعطيه": القرآن، وأما السنة: فبيان له»[7]، وقال الإمام أحمد بن حنبل ﷺ: «السنة تفسير القرآن وتبينه»[8].

مثال بيان الرسول ﷺ للقرآن بقوله هو كثير، حتى صنَّف فيه بعض علماء التفسير كتابا فيه حجم كبير من تفسير النبي ﷺ، مثل تفسير ابن أبي حاتم[9]، وتفسير الطبري، وجمع السيوطي من ذلك

---

[1] موسى إبراهيم لإبراهيم : بحوث المنهجية في علوم القرآن، عمان-الأردن : دار عمار ،1996،ص97.

[2] البقرة:43، وغيرها في عدة مكان في القرآن الكريم.

[3] آرثر جفري : مقدمتان في علوم القرآن،ص 185.

[4] علي الصابوني: التبيان في علوم القرآن، ،ص65.

[5] الزرقاني: مناهل العرفان،ج2،ص95.

[6] رواه البخاري، رقم الحديث:4662، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل، ج19، ص3.

[7] خالد العك : أصول التفسير وقواعده، ص126.

[8] محمد إبراهيم عبد الرحمن: التفسير النبوي للقرآن الكريم وموقف المفسرين منه، ص5.

[9] انظر عبد الرحمن بن أبي حاتم : تفسير القرآن الكريم مسندا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين ﷺ، تحقيق أسعد محمد الطيب، بيروت: المكتبة العصرية، ط2، 1999.

أشياء طيبة في كتابه "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"[1]، ومنهم من جمع الأحديث الصحيحة من تفسير النبي ﷺ، ومنه ما كتبه يوسف عمر مبيّض في كتابه "صحيح التفسير النبوي"[2].

أضرب مثلا لتفسير النبيﷺ وهو مارواه الترميذي، قال رسول اللهﷺ:﴿﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾﴾[3]، هي صلاة العصر﴾[4].

ومما لا شك فيه أن تفسير الرسول ﷺ للصحابة ﷺ ذو أهمية قيمة ليس فقط لمن يعيشون في ذلك العهد وإنما مستمرة للأمة الإسلامية كلها إلى اليوم وإلى يوم القيامة.

وكذلك معنى كون النبي ﷺ مصدرا لتفسير القرآن في ذلك العهد ذلك ليس مجرد التفسير القولي، فهناك التفسير الفعلي والتقريري من ﷺ، فمثال التفسير من أفعال النبي ﷺ في تفسير آية للأمر بالصلاة في القرآن، وذلك أن الله لم يبين أوقات الصلات ولا عدد ركعاتها في كل يوم ولا كيفيتها على نحو يرفع الإبهام، وجاءت مهمة السنة ببيان هذا كله حين صلى الرسول ﷺ فعلا بالناس وقال لهم:﴿صلوا كما رأيتموني أصلي﴾[5].

والناظر لمصادر التفسير في عصر النبي ﷺ يجد أن التفسير في عهده ﷺ كان تفسيرا بالمأثور ومبدئه وأساسه، إذ كان في عهده بمصدرين :إما بالقرآن أو بالسنة النبوية، ومن المعلوم أن التفسير بالمأثور أو بالرواية هو التفسير بماجاء في القرآن، أو السنة، أوكلام الصحابة والتابعين، بيانا لمراد الله تعالى[6].

---

[1] جلال الدين السيوطي: الدر المنثور في التفسير المأثور، بيروت : دار الفكر،د.ط، 1983.

[2] انظر يوسف عمر مبيّض: صحيح التفسير النبوي، دمشق : منار للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.

[3] البقرة:238.

[4] رواه الترميذي، رقم الحديث: 2989، كتاب التفسير، ج5، ص217.

[5] رواه البخاري، رقم الحديث: 607، باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد، ج5،ص28.

[6] انظر علي الصابوني: التبيان في علوم القرآن،ص63، وانظر الزرقاني:مناهل العرفان،ج1،ص10، وانظر الذهبي:التفسير والمفسرون،ج1،ص112، وانظر لطفي الصباغ:لمحات في علوم القرآن واتجهات التفسير،ص260، وانظر محمود محمد حرّا:التفسير ورجاله، جدة-السعودية: دار نور المكتبات،ط1، 2003، ص35، وانظر فهد الرومي:بحوث في أصول التفسير ورجاله، السعودية :د.ن، ط7، 1424هـ،ص86، وانظر ومحمد عبد القادر حجازي : التعريف بالتفسير ومنهج رجاله، د.م، د.ن،د.ط،1987،ج1، ص36.

المبحث الرابع : خصائص التفسير في عهد النبي ﷺ

لقد سبق الكلام عن التفسير في عهد النبي ﷺ بشيء من التفصيل، فلا شك أن هذه المرحلة لها أهميتها وعظمتها من حيث أن فيها المفسر الأول للقرآن الكريم وهوﷺ خير من فسره بعد الله ﷻ.

فكون الرسول ﷺ المفسر في هذه المرحلة بطبيعة الحال لها مميزاتها وخصائصها، ولن تكون هذه الميزة في مراحل التفسير بعدها، وفي هذا المبحث أحاول أن أوضح خصائص أخرى مما تتعلق بجانب التفسير في عهد النبي ﷺ لكن ليس من جانب مفسره أو مصدره.

المطلب الأول :التفسير عند الحاجة والسؤال عنه

وكما قلنا من قبل، في بحث "التفسير المأثور من النبي ﷺ"، أنه ﷺ لم يفسر كل القرآن وإنما فسر ما يحتاج إلى البيان، وذلك لأن أصحابه ﷺ هم أصحاب فصاحة في كلام العرب وأفهم فهموا ما تضمنه القرآن من مجمله الظاهر وأحكامه بمجرد معرفتهم للغة العربية[1]، فلهذا كان النبي ﷺ لا يفسر معاني القرآن مما فهمه الصحابة ﷺ، وزاد الشيخ الزرقاني أن ما يجعل الصحابة ﷺ يرجعون إلى النبي ﷺ في تفسير القرآن إلا ما أشكل عليهم فهمه، لأنهم شهدوا الوحي والتنزيل، ولهم سلامة الفطرة، وصفاء النفوس[2]، وحدة العقل، وقوة الذاكرة، فمن هنا كان النبي ﷺ يفسر ما أشكل على فهمهم وهو قليل.

ومثال ذلك رواه أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ في قوله ﷻ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾﴾[3]، قال ﷺ:﴿تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار﴾[4]، فهنا جاء تفسير الرسول ﷺ لهذه الآية، وذلك لأن الآية إذا فُهمت لغويا —وهي مفهومة لغويا عند الصحابةﷺ—فمعناها لا يكون كما أرادها اللهﷻ ورسولهﷺ، وكذلك هذه الآية مما صعب فهمها عند الصحابة ﷺ أو مما لا يعود فهمها

---

[1] الزركشي: البرهان في علوم القرآن،ج1،ص14، وانظر الشحات زغلول: من مناهج التفسير، 52، وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1، ص28.

[2] الزرقاني: مناهل العرفان،ج1، ص12، وانظر سعود الفنيسان: اختلاف المفسرين، ص15.

[3] الإسراء: 78.

[4] رواه الترمذي، رقم الحديث:3147، كتاب التفسير، ج5، ص302، وقال :حديث حسن صحيح.

إلى اللغة العربية، وربما هذه الآية من الأمور الغيبية، ومن ثم كان هذا التفسير جاء من النبي ﷺ لأن دعت الحاجة إليه.

ومن المعلوم، أن في القرآن ما لابد بيانه من النبي ﷺ، وذلك كالبيان المتعلق بالأحكام الشرعية[1]، أو آيات التي تدخل في محيط الأمور التشريعية والعقيدية والأمور الغيبية والتي لا أحد سواه يقدر أن يبينه، يقول صاحب البرهان: أن من القرآن ما لابد من بيان النبي ﷺ خاصة، ومثال ذلك أحكام الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام والحج والمعاملات والأنكحة والجنايات وغير ذلك[2]، وهذه كلها من ضمن الحاجات الداعية لتفسير النبي ﷺ للقرآن.

ومن أمثلة هذا النوع ما جاء فيما روي عن كعب بن عجرة في تفسير قوله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[3]، فقوله ﷻ: ﴿صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ يحتاج إلى تفسير، فهو مجمل، ما الصيام؟ ما مقداره؟ ما الصدقة؟ ما النسك؟ قال كعب بن عجرة: «نزلت أيّ، كان بي أذى من رأسي فحُملت إلى رسول الله ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال ﷺ: ﴿ما كنت أرى أن الجهد بلغ منك ما أرى، أتجد شاة؟﴾، فقلت: «لا، فنزلت هذه الآية: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾، قال: ﴿صوم ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين، نصف صاع طعامًا لكل مسكين﴾[4]، فبيّن الرسول ﷺ تفسير هذه الآية كما جاء في هذا الحديث.

فهنا بيّن رسول الله ﷺ الأحكام التشريعية مما لابد منه، ومثال آخر كبيانه ﷺ عن كيفية الصلاة، والحج وغير ذلك، والجدير بالانتباه هنا، أنه ﷺ لا يفسر بقوله فقط وإنما زاد على ذلك بأفعاله ﷺ، كما ورد ذلك في كتب السنة وكتب الفقه، وذلك لأن الأحكام التشريعية والتي

---

[1] محي الدين بلتاجي: دراسات في التفسير وأصوله، ص 15.

[2] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص 184.

[3] البقرة:196.

[4] رواه البخاري، رقم الحديث 4203، كتاب التفسير، ج17،ص29، والترمذي، رقم الحديث: 2979، كتاب التفسير، ج5، ص212-213، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

ترتبط بفرائض الحلال والحرام مستفيدة لأمة الإسلامية كافة وثابتة صالح لكل زمان ومكان لا يتغير بتغيرهما، ولهذا كان تفسيره من عند الله ﷻ[1].

ومن ثم كان التفسير عند الحاجة مما تميزت به هذه المرحلة من غيرها، وأضيف على ذلك أن من ضمن المفهوم عند الحاجة سؤال الصحابة ﷺ إليه عن تفسير أو مفهوم الآيات، حيث كانوا ﷺ يرجعون في توضيح القرآن الكريم واستبيان معانيه إلى السنة النبوية الشريفة، وذلك مما صعب عليهم فهمه بمجرد معرفتهم للغة العربية، بل ويجلي لهم ما عجزوا على ادراكه، وهذا لأن القرآن فيه المجمل المتشابه والمشكل، فيرجعوا إلى رسول الله ﷺ للحاجة إليه[2]، وقد يكون السؤال عن الأمور الغيبية أو الأخروية، وهنا دعت الحاجة إلى بيان من الرسول ﷺ، وكان ﷺ يوضّح ويفسر ما سألواه من معانيه وأحكامه في حينه أو حتى يأتى الوحي يبينه، كآيات الظهار واللعان[3]، وغير ذلك.

ومن ثم هذه المرحلة تتميز بصدور التفسير أو البيان من النبي ﷺ بعد سؤال الصحابة ﷺ عنه، ومثال ذلك عن عدي بن حاتم الطائي ﷺ قال: لما نزلت: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[4]، عمدت إلى عقال أسود، وإلى عقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، وجعلت أنظر من الليل، فلا يستبن لي، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فضحك، فقال ﷺ: ﴿إن وسادك لعريض طويل، إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار﴾[5]، فنرى هنا مشهد سؤال الصحابي عن معنى الأية التي لا يفهمها، وأجابه النبي ﷺ لسائل نفسه، ولغيرهم من الصحابة ﷺ، ولغيرهم من المسلمين وإلى يوم القيامة.

---

[1] محمد إبراهيم عبد الرحمن : التفسير النبوي للقرآن الكريم وموقف المفسرين منه، ص51.

[2] انظر المرجع نفسه،ص24، وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص28، خالد عبد الرحمن العك:أصول التفسير وقواعده،ص116.

[3] محي الدين بلتاجي: دراسات في التفسير وأصوله ،ص14، وانظر محمد ابراهيم عبد الرحمن :التفسير النبوى للقرآن الكريم وموقف المفسرين منه ،ص26.

[4] البقرة:187.

[5] رواه البخاري، رقم الحديث: 4197، كتاب التفسير، ج17،ص25، والترمذي، رقم الحديث: 6970، كتاب التفسير، ج5،ص،211.

ومن هذه العناصر يمكننا أن نقول إن من خصائص أو مميزات التفسير في هذه المرحلة التفسير عند الحاجة والسؤال عنه، ولهذا تميزت هذه المرحلة بعدم تفسير القرآن كاملا، ولم يتوسع معرفة تفسير القرآن إلى علوم شتى كما هو اليوم، ومن ثم لا مشاحة في أن نقول مقصد وظيفة النبي ﷺ البيان لأصحابه عند الحاجة فحسب، إذ أن قوله ﷻ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1]، يعني تبين مايحتاج إلى بيان[2].

ومما يجدر التنبيه إليه هنا، ربما مما دعت إلى الحاجة للتفسير أن بيانه ﷺ ضروب من الإجمال دعت الحاجة لها[3]، ومنها بيان المجمل، وتمييز الناسخ من المنسوخ ليعرفه أصحابه[4]، وهنا يقول صاحب كتاب "مقدمتان في علوم القرآن": أن بيان الرسول ﷺ قد كان للحاجة في ذلك الوقت ولأولئك القوم ويمكن أن يكون في بيانه ﷺ لضرب من الإجمال، ثم الحاجة ماسة إلى نظر يفصل ماأجمله،كما قال ﷻ: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[5]، وكانت الحاجة قائمة إلى بيان الرسول ﷺ بتفصيل ما أجمله القرآن[6].

وفي هذا الصدد يجدر بالذكر قول ابن قيم الجوزية[7]: كان الصحابة ﷺ «يسألون بما ينفعهم من الواقعات ولم يكونوا يسألونه عن المقدرات والأغلوطات ومعضل المسائل، ولم يكونوا يشتغلون بتفريع المسائل وتوليدها، بل كانت همهم مقصورة على تنفيذ ماأمرهم به، فإذا وقع بهم أمر سألوا عنه فأجابهم»، ومن المسائل التي سجلها الله في القرآن ثلاث عشر مسألة، وأما التي بين ﷺ لهم أحكامها بالسنة كثير لا تكاد تحصى.

---

[1] النحل:44.

[2] عبد المنعم النمر : علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر، د.ط، بيروت : دار الكتاب اللبناني، 1985، ص23.

[3] الشحات زغلول: من مناهج التفسير، ص 64.

[4] ابن خلدون: المقدمة،ص386.

[5] النحل:89.

[6] آرثر جفري : مقدمتان في علوم القرآن، ص 186.

[7] ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين، بيروت: دار احياء التراث العربي، ط1، 2001، ج1، ص77.

وبعد هذا العرض فخلاصة القول، أن من الخصائص أوالمميزات للتفسير في هذا العصر هو أن تفسير النبيﷺ للقرآن الكريم إذا دعت الحاجة إليه ويكون بعد سؤال الصحابة ﷺ عنه، وكانوا يستفيدون أحكام الشريعة التي تضمنها القرآن من الرسول ﷺ.

المطلب الثاني: الايجاز والوضوح

كما تبين لنا من قبل، أن الصحابة ﷺ من أقحاح العرب وفصحائهم وبلغائهم ويفهمون الكلام العربي، وأنهم فهموا ما تضمنه القرآن من آيات بمجرد سماعهم لها، وبذلك لم يكونوا بحاجة إلى ايضاح من النبي ﷺ بشكل مفصل، ومن هنا يتبين لنا أن بيان النبي ﷺ لهم إنما لما صعب عليهم فهمه، وذلك من الجانب اللغوي أحيانا ومن جانب مفهوم الآية أحيانا أخرى، بيد أن هناك ماتضمنه القرآن من الأحكام التي لا بد لها من البيان.

فمن ثم إذا نظرنا تفسير النبي ﷺ للقرآن الكريم نجد أنه ﷺ يتميز بالايجاز من غير أن يتعرض لاشتقاق الكلمة، أوما يحتاج إلى بيان شاهد ودليل، وما شاكل ذلك، أوما يقول الذهبي:«الاقتصار على توضيح المعنى اللغوي»[1]، لم يتجاوز بضع كلمات في حل مشكل أورفع ابهام لمفهوم الآية، أي كان بيانه ﷺ واف شاف مع كمال الايجاز، فعندما سئل أجاب بشكل قاطع من غير تردد، وعلى بساطة من غير تعقيد، فمثال من هذا النوع : ماجاء في سنن الترمذي، عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله ﷻ :﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا﴾[2]، فقالﷺ: ﴿عدلا﴾[3].

ففي تلك الأية نرى أن النبي ﷺ لم يبين الكلمات المفهومة عند العرب، وإنما يفسر كلمة في ﴿وسط﴾، لغموض فهمها على الصحابةﷺ، و لم يفصل في معنى تلك الكلمة أي ﴿عدلا﴾، لأنها مفهومة لديهم فهم أصحاب اللغة.

[1] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1، ص73.

[2] البقرة:143.

[3] رواه البخاري، رقم الحديث: 4175، كتاب التفسير، ج17،ص15، والترمذي، رقم الحديث: 2968، كتاب التفسير، ج5، ص 206،وقال حديث حسن صحيح.

ونرى مثال آخر: فيما ورد في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر ﷺ قال: «سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[1]، ﴿ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي﴾[2]» وهنا نرى أنه ﷺ لم يفسر الآية كلها أي كل كلماتها وإنما فسر ﴿قوة﴾، مما صعب على الصحابة ﷺ فهمها، وكذلك أنه فسر بالبساطة والايجاز بكلمة ﴿الرمي﴾، ولكن بهذه الكلمة كافيا لفهم هذه الآية عند الصحابة ﷺ ووضوحا تاما.

والجدير بالانتباه هنا، أن المراد "الرمي" بكل شيء من المفهوم "القوة" من حيث زمانه، سواء كان بالسهام كما في وقتهم، أو بالبنقية والطائرات والصواريخ في وقتنا اليوم، كما تكلم عنه المفسرون المعاصرون.

والشيء الذي أود أن ألفت النظر إليه هو أنه مع تفسيره ﷺ مختصرا، ولكن قد كان واضحا ومفهوما عند الصحابة ﷺ، وذلك لأن النبي ﷺ علم بقدرة الصحابة ﷺ من العلم، واللغة، وقد عاش معهم مدة طويلة من الزمان، كما أن الله ﷻ تكفل بالإرشاد والتوفيق إلى ماهو خير له في البيان والتفسير، لأنه مكلف بالبيان من عنده ﷻ، قال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]، ومن ثم لا نجد السؤال تردد من قبل الصحابة ﷺ عندما يفسر الرسول ﷺ شيء من القرآن، أي كان تفسيره ﷺ واضحا جليا.

وعلى الرغم مما سبق بيانه آنفا مما تُميز تفسير النبي ﷺ أنه جاء واضحا وموجزا، أنه لما كان ماقسره ﷺ هي من آيات المتعلقة بالأحكام الشريعة فكان البيان استحبابا ما يكفيه البيان، أي قد يفصل ماهو المجمل، وهنا يقول الإمام القرطبي : من بيان النبي ﷺ للقرآن هو «بيان المجمل في الكتاب، كبيانه للصلوات الخمس في مواقيتها، وركوعها، وسائر أحكامها، وكبيانه لمقادير الزكاة ووقتها، وما الذي يؤخذ من الأموال، وبيانه لمناسك الحج....»[4]، وكذلك إذا

---

[1] الأنفال: 60.

[2] رواه مسلم، رقم الحديث: 1917، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، ج3، ص 1522.

[3] النحل: 44.

[4] محمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله التركي، ج1، ص39.

كان متعلق بيان أسباب النزول أو الناسخ والمنسوخ[1]، وذلك لأن هذا البيان ستكون أهميتـــها ثابتة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

❁❁❁

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] ابن خلدون: المقدمة، ص489، وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1، ص30.

المبحث الخامس: القيمة العلمية للتفسير في هذه المرحلة

وبعد أن تحدثنا عن خصائص التفسير في عهد النبيﷺ، فيجدر بنا أن نتحدث عن القيمة العلمية له، وفي هذا الصدد لا أتحدث عن القيمة من حيث حكم تفسير النبيﷺ، لأنه من الواضح أن شأنه كشأن الحديث أي واجب أخذه.

وهنا أحاول أن أقف على قيمته من حيث كونه وحيا أو لا، ثم أساسا لمراحل – التفسير– التالية، ثانيا.

المطلب الأول: التفسير بالوحي

من المعلوم أن التفسير في هذه المرحلة هو المرحلة الأولى وأحسنها وأجلها، ومن الأسباب التي تجعل هذه المرحلة في غاية الحسن وفي الدرجة الأولى –عن غيرها– كون التفسير بالوحي أي من عند الله ﷻ الذي أنزل هذا الكتاب العظيم وهو ﷻ أعلم وأدرى بما أنزل وبالمقصود الذي يريده هو[1].

فبطبيعة الحال، مصدرية التفسير في هذه المرحلة لها القِيمَة القيِّمَة وميزة عن كل مراحل التفسير إلى يومنا هذا.

وهذه النتيجة–التفسير بالوحي من عند الله–، تُستنتج أولا من كون النبي ﷺ هو المفسر للقرآن المترل عليه وبيانه ما هو إلا وحي يوحى إليه، والناظر في القرآن الكريم ليجد عدة آيات تحدث أن وظيفة النبي ﷺ البلاغ والبيان إلى الناس بما أنزل عليه، منها قوله ﷻ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾[2]،وقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[3]، وغيرها من الآيات، ولما كان المفسر في تلك المرحلة هو ﷺ، فلها ميزة غيرها –من مراحل–، إذ المفسر هو الموحى والمترل إليه القرآن.

---

[1] علي الصابوني: التبيان في علوم القرآن،ص65.

[2] الشورى:48.

[3] المائدة:67.

الحديث: أي أذن له أن يبين مافي كتاب الله ﷻ، فيعم ويخص ويزيد عليه ويشرخ مافى الكتاب، فيكون وجوب العمل به ولزومه كالظاهر المتلو من القرآن الكريم[1].

والدليل الثالث -مما يؤيد كون تفسير الرسول ﷺ من عند الله أي بالوحي- أن الله قد أكد أن ماقاله النبي ﷺ ماكان عن هوى وإنما هو الوحي، كما جاء ذلك في قوله ﷻ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝﴾[2].

وهذه الآية تشهد أن ما [illegible] الله ﷺ ليس بالهوى وإنما بالوحي، وفي هذا الصدد يقول السيوطي: أن [illegible] هو القسم الثاني هو السنة أي ما جاء من النبي ﷺ من قول [illegible] جبريل كان يترل بالسنة كما يترل بالقرآن، ومن هنا [illegible] بالمعنى، بدليل أن جبريل أداها بالمعنى[3]، ويؤكد على [illegible] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه -في كتاب [illegible] النبي ﷺ: ﴿ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن [illegible] شاء الله إليّ فأرجو أن أكون [illegible] يوم [illegible] القرآن، [illegible] الحديث القدسي [illegible] الحديث القدسي [illegible] ما اجتهد فيه [illegible] الذي قاله النبي ﷺ

[illegible] هي التفسير بالوحي من [illegible] وأن الله ﷻ قد صرح بالتكفل

1 [illegible]
2 الن[illegible]
3 الزر[illegible]
4 رواه ال[illegible]
5 خالد العك
6 الزرقاني: مناهل

الحديث: أي أذن له أن يبين مافي كتاب الله ﷻ، فيعم ويخص ويزيد عليه ويشرح مافى الكتاب، فيكون وجوب العمل به ولزومه كالظاهر المتلو من القرآن الكريم[1].

والدليل الثالث -مما يؤيد كون تفسير الرسول ﷺ من عند الله أي بالوحي- أن الله قد أكد أن ماقاله النبي ﷺ ماكان عن هوى وإنما هو الوحي، كما جاء ذلك في قوله ﷻ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[2].

وهذه الآية تشهد أن ماجاء من عند رسول الله ﷺ ليس بالهوى وإنما بالوحي، وفي هذا الصدد يقول السيوطي: أن القسم الأول من الوحي هو القرآن والقسم الثاني هو السنة أي ما جاء من النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، وهذا كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن، ومن هنا السيوطي مع من قال بجواز رواية السنة بالمعنى، بدليل أن جبريل أداها بالمعنى[3]، ويؤكد على ما قاله السيوطي ما جاء في الحديث الذى أخرجه الإمام البخاري في صحيحه -في كتاب فضائل القرآن- عن أبى هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ: ﴿ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه لبشر وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة﴾[4]، يقول الشيخ خالد عبد الرحمن العك:وإنما الذى أعطيه: القرآن، وأما السنة: فبيان له[5]، ويفصل الزرقاني في هذا المعنى وهو بين الوحى بالقرآن، بالحديث القدسى والحديث النبوي، يقول الزرقاني:«أن القرآن أوحيت ألفاظه من الله اتفاقا، وأن الحديث القدسي أوحيت ألفاظه من الله على المشهور، والحديث النبوي أو حيث معانيه في غير ما اجتهد فيه الرسول والألفاظ من الرسول»[6]، ومن هنا نستطيع أن نقول أن التفسير الذي قاله النبي ﷺ معانه هو من الله ﷻ وألفاظ من الرسول ﷺ.

وبعد الذكر بعض دلائل ماتثبت أن التفسير في المرحلة الأولى هي التفسير بالوحي من عند الله من حيث أن النبي ﷺ هو المفسر الوحيد فى تلك المرحلة؛ وأن الله ﷻ قد صرح بالتكفل

---

[1] محي الدين بلتاجي: دراسات في التفسير وأصوله، ص 16.

[2] النجم:3-4.

[3] الزرقاني: مناهل العرفان،ج1، ص37.

[4] رواه البخاري، رقم الحديث: 4662، كتاب فضائل القرآن،ج19،ص3-4.

[5] خالد العك: أصول التفسير وقواعده، ص126.

[6] الزرقاني: مناهل العرفان، ج1، ص37.

لبيان إليه؛ وأن النبيﷺ معصوم لا ينطق عن الهوى وإنما ينطق برعاية الوحي، ومن ثم -لما كان التفسير في تلك المرحلة من الوحي-. فلا جدل ولا شك أن لها قيمة عظيمة لأنها بالوحي، وهوﷻ أعلم وأدرى بالقرآن، ولهذا اتفق العلماء فيما جاء عن رسول الله ﷺ من شرح أو بيان عن القرآن بسند صحيح ثابت فإنه مما لا شك في أنه حق يجب اعتماده[1]، والعمل بما صح من السنة النبوية —ومنها تفسير النبي-من حيث السند والمتن أصل في التشريع، كالقرآن إذ الكل وحي[2]، وذلك لأن الرسول ﷺ خير الهدي، ووظيفته البيان والشرح، مع قطع بعصمته وتوفيقه[3].

ومن ثم فبيان النبي ﷺ أي تفسيره للقرآن الكريم سواء كان بالسنة القولية أو العملية أو التقريرية ، «ليس لأحد أن يضيف إلى ذلك ماليس منه لأنها مسائل توقيفية غير خاضعة للاجتهاد ولا قابلة للتأويل أي من الوحي»[4]، ولذا كان النبي ﷺ إذا سئل عن أمر أو وقعت حادثة تقتضي حكم الشارع ومنها ماتضمنه القرآن انتظر الوحي، فإن جاء بالحكم أعلنه الرسول ﷺ وإلا هذا إيذانا من الله لرسوله بالبيان بعبارته الشريفة لأنه في أمر التشريع وهو معصوم لا ينطق عن الهوى[5]، وهذا مما اتضح كان تفسيره من الوحي.

وأرى من حكمة في ذلك أن الأحكام الشرعية التي ترتبط بفرائض الحلال والحرام ومنها ماتضمنته القرآن ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان أو الأشخاص حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وقد أبان ذلك كله رسول الله ﷺ عن طريق الوحي[6].

وفي جانب آخر، مما يؤيد ماقلت سابقا، أن حياة رسول اللهﷺ عمليا وقعيا، كانت هي الترجمة الحية للقرآن الكريم، فإن عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلق الرسول ﷺ، قالت للسائل

---

[1] علي الصابوني: التبيان في علوم القرآن،ص65.

[2] سعود الفنيسان: اختلاف المفسرين، ص26.

[3] الزرقاني: مناهل العرفان،ج1، ص11

[4] محمد حسين علي الصغير : المبادء العامة للتفسير القرآن، ص30.

[5] مصطفى أكرور: التفسير الفقهي،ص57.

[6] انظر محمد عبد الرحمن: التفسير النبوي للقرآن الكريم، ص51.

-كما رواه مسلم وغيره-: «أتقرأ القرآن؟»، قال: «نعم»، فقالت: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن»[1].

والمزيد من ذلك، هناك أقوال النبي ﷺ مما يعتبر مستخرجًا من القرآن الكريم -كما جاء في صحيح مسلم: ﴿أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد﴾[2]، ففي القرآن الكريم آية تدل على هذا المعنى، وهي قوله ﷻ: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾[3]، والجدير بالذكر ماقاله الدكتور عبد الله دراز: أن الأحاديث النبوية إما قوليا أو فعليا أو تقريرا بحسب ما تضمنه من المعاني تنقسم إلى قسمين "قسم التوفيقي"؛ استنباطه النبي ﷺ بفهمه في كلام الله أو بتأمله في حقائق الكون، والقسم التوقيفي:«تلقي النبي ﷺ مضمونه من الوحي فبينه للناس»[4].

وأختم هذا المطلب بقول الدكتور محمد عبد القدر حجازى: «انتهت مرحلة التفسير الأولى في عصر الرسول ﷺ التى كانت تعتمد على مايأتيه من الوحي من عند الله ﷻ وعلى ما يفقهه ﷻ به عن طريق أمين وحي جبريل عليه السلام، يقول ﷻ : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾[5]»[6].

المطلب الثاني: المرجع الأساسي في التفسير

إذا قرأنا كتب التفسير وجدنا فيها روايات من تفاسير المأثورة عن النبي ﷺ، فالمفسرون يجعلون التفسير في تلك المرحلة أي في مرحلة النبي ﷺ كالمرجع الأول والأساسي لتفسيرهم-فإذا يفسرون القرآن- يرجعون إلى تفسير النبي ﷺ واعتمدوا عليه وجعلوا الميزان عند آرائهم التفسيرية، وبالخصوص في آيات الأحكام والأمور الغيبية.

---

[1] رواه مسلم، رقم الحديث: 746، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، ج1،ص513-514.

[2] رواه مسلم، رقم الحديث: 482، باب مايقال في الركوع والسجود، ج1،ص350.

[3] العلق:19.

[4] عبد الله دراز: النبأ العظيم؛ نظرات جديدة في القرآن، ط4، الكويت : دار القلم،1977. ص15.

[5] القيامة: 16.

[6] محمد حجازي: التعريف بالتفسير ومنهج رجاله،ج1، ص5.

وبجانب ذلك، تفسير النبي ﷺ مرجع أساسي لعلماء الأصول والفقهاء والمحدثين أي مرجع أساسي للتشريع والأحكام والمعاملات والأخلاق، ولكن في هذا البحث أحدد المرجعية في التفسير فحسب، وفي نظري هذه يأخذ من عدة أدلة، منها:

1. أن التفسير في هذه المرحلة هو أول مصدر وأحسنها وأجلها، وهذا مما لا جدل فيه، وقد تكلمت عن هذا في المباحث السابقة فهو مرجع، كما قال الزركشي في البرهان: إن تفسير النبي ﷺ هو الطراز الأول[1]،أي أحسنها وبمعنى الأولية في المرجعية والأساسية في الاعتماد عليه.

2. وكما قلنا أن تفسير النبي ﷺ ذا قيمة مميزة لأن بيانه بالوحي من عند الله، لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، فبطبيعة الحال كون البيان من الله مقدم على غيره لأنه ﷻ أعلم بما يريده، وعدم جواز الاستغناء عنه، وقد تحدثنا عن هذا الموضوع بشيء من التفصيل في المطلب الأول من هذا المبحث.

ومن المعلوم، أن من القرآن ما اختص بيانه برسول الله ﷺ[2]، وكان البيان للقرآن من مهامه التي كلفه الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[3]، وهو ماتضمنه القرآن من الأحكام التشريعية أو العبادات أو الأمور الغيبية التي لا تتم بيانه إلا من الله بوسيلة الرسول ﷺ، وإن من مضمون القرآن هو الأحكام الشرعية التي جاءت فيه مجملة، فلا تفسير لها إلا بما يترل الله من بيانه على لسان الرسول ﷺ[5]، وقد ذكرت مثال لتفسير الرسول المتعلق بأحكام التشريع، وهنا أود أن اذكر مثال التفسير الذي لابد من بيانه وهو ما تعلق بأمر غيبي، وهو ما روي عن مسروق ﷺ قال: سألنا عبد الله بن مسعود ﷺ عن هذه الآية : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[6]، فقال ابن مسعود ﷺ: «أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال ﷺ: أرواحهم في

---

[1] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج2،ص 157.

[2] الشحات زغلول: من مناهج التفسير، ص.53.

[3] النحل:44.

[4] محي الدين بلتاجي: دراسات في التفسير وأصوله،ص10.

[5] الشحات زغلول : من مناهج التفسير، ص57.

[6] آل عمران: 169.

جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسر ح من الجنة حيث شـــاءت ثم تأوي إلى تلك القناديـــل»[1].

فنرى هنا ما تضمنه القرآن من الأمور الغيبية، وهي صفة حياة الشهداء، وهذه الآية لا يمكن إدراكها إلا عن سماع من النبي ﷺ، ولذا سأل الصحابة ﷺ عن هـــذه الحيـــاة الخاصـــة بالشهداء، ومثال ذلك كثير.

3. وكما قلنا من قبل، أن العلماء قد اتفقوا على ثبوت قطعية تفسير النبي ﷺ إذا صح اســـناده ووجب اعتماد والعمل به، يقول العلماء :أن التفسير النبوي حجة لا يجب إغفالها أو الاستغناء عنه لدى المفسرين على اختلاف مناهجهم، وتعدد نزعاتهم، والجدير بالذكر من هؤلاء المفسرين من جعل صدارة تفسيره لأي آية هو مانطق به الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى[2]، وإنمـــا بالوحي من عند الله.

والجدير بالذكر هنا، أن كل أفعاله وأقواله ﷺ هي ترجمة من القرآن الكريم، ولهذا لا يوجد تعارض بينها وبين القرآن، قال الإمام الشافعي رحمه الله: «جميع ما حكم به النبي ﷺ فهو ممـــا فهمـــه من القرآن»[3]، وبذلك نعلم أن القرآن والسنة—بمفهوم عام كل ماجاء من الرسولﷺ قولا أو فعـــلا أو تقريرا- متلازمان، لا يفترقان إلى يوم القيامة، ولا يُستغنى بأحدهما عن الآخر، وأنـــه لا يمكـــن أن نفهم القرآن إلا على ضوء السنة، وهذا التعبير ليس بعيدًا، «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن»[4].

وبالجملة، في نظرى هذه العناصر مما تجعل التفسير في هذه المرحلة تمكن مكانة خاصـــة كمرجع أساسي ولا يمكن لأحد الاستغناء عنه، والله أعلم.

قال الخويي: علم التفسير عسر يسير لأن القرآن كلام متكلم لم يصل الناس إلى مـــراده بالسماع منه ولا إمكان للوصول إليه وتفسير القرآن على وجه القطع لا يعلم إلا بالسماع من رسول الله ﷺ وذلك متعذر إلا في آيات قلائل فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل والحكمة

---

[1] رواه مسلم، رقم الحديث:1887، كتاب الإماراة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهـــم أحيـــاء ثم رهـــم يرزقـــون، ج1،ص1502.

[2] محمد عبد الرحمن: التفسير النبوي للقرآن الكريم، ص. 50.

[3] انظر السيوطي: الإتقان،ج 2،ص348.

[4] رواه مسلم، رقم الحديث: 746، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، ج1،ص513-514.

فيه أن الله تعالى أراد أن يتفكر عباده في كتابه فلم يأمر نبيه ﷺ بالتنصيص على المراد في جميع آياته[1].

وكذلك أرى أن مما يجعل التفسير في هذه المرحلة ذا قيمة علمية كون أخذ الجانب العملي منه دورا، وفي هذا الصدد يقول الدكتور أحمد إسماعيل نوفل: «وكان التفسير في هذه المرحلة يأخذ الطابع العملي، فلم يكن علما قائما بذاته، وإنما كان مسيرة حياة، ونبض مجتمع، وحداء أمة تبنى حضارة وتشيد للإنسانية نموذجها الأسمى من خلال التطبيق الملي للدستور القرآني، فكان سلوكه ﷺ هو الصورة العملية التطبيقية والتفسير النابض الحي للقرآن الكريم»[2].

❁❁❁

[1] السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج2،ص494مع بعض التصرف.

[2] أحمد إسماعيل نوفل:مجاهد؛ مفسر والتفسير،ط ا ،دار الصفوة:القاهرة،1990،ص262.

الفصل الثاني:

التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم

وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: المفسرون من الصحابة رضي الله عنهم
- المبحث الثاني: هل دون التفسير في هذه المرحلة؟
- المبحث الثالث: مصادر التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم
- المبحث الرابع: خصائص التفسير في عهد الصحابة صلى الله عليه وسلم
- المبحث الخامس: القيمة العلمية للتفسير في هذه المرحلة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التمهيد:

المرحلة الثانية في التفسير هي في عهد الصحابةﷺ[1]، وتبدأ من ربيع الأول سنة 11هـ بعد وفاة النبي ﷺ 632م، وهي من خلافة أبي بكر الصديقﷺ، وهذا العهد هو من "خير القرون".

كان الصحابة ﷺ لهم الفضل، لأنهم عاشوا مع النبي ﷺ وتخرجوا من المدرسة النبوية الشريفة، وقد شهد القرآن بفضلهم وأنهم ممن: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[2]، ومن ثم كان بعد وفاة النبي ﷺ مرجعا للأمة بعده، إذ كانوا حاملي لواء الإسلام شرعة ومنهاجا.

وقلنا سابقا، أن الرسول ﷺ بين لكثير من معاني القرآن لأصحابه، لذا فلما توفى ﷺ «لم يكن بدّ للصحابة العلماء بكتاب الله»[3]، فمما لاريب فيه أن الصحابة ﷺ هم أقدر الناس بعد النبيﷺ على فهم القرآن الكريم، ومعرفة مراد الله ﷻ، وذلك أنهم ذووا فصاحة وبلاغة واختصوا بمشاهدة نزول الوحي، فضلا على ذلك سلامة فطرتهم وصفاء نفوسهم، ولذا تفسير الصحابة ﷺ مدونة في كتب التفسير والحديث.

وهذه خصوصيات ومميزات تجعل لتفسيرهم قيمة علمية، وبعد هذا سوف أتحدث -في هذا الفصل- عن مرحلتهم في التفسير، بإذن الله ﷻ.

❁❁❁

[1] «وهو كل مسلم رآى رسول الله فهو من الصحابة»، انظر ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، خرج أحاديثه وعلق عليه مصطفى ديب البغا، عين مليلة-الجزائر: دار الهدى، د.ط، د.ت، ص173،وانظر محمد كمال الدين امام : أصول الفقه الاسلامى،ط1، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوجيع،1996، ص224.

[2] التوبة:100.

[3] صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، بيروت : دار الملايين، ط14، 2000، ص 289.

المبحث الأول : المفسرون من الصحابة ﷺ

كان الصحابة ﷺ يعنون بتفسير القرآن، حتى كان منهم من اشتهر بذلك، وهم كثير[1]، وفي هذا المبحث أود أن أذكرهم بالايجاز[2] الثلاثة الذين اشتهروا بكثرة الرواية في التفسير من غيرهم، بالإضافة إلى أنهم أصحاب المدارس الثلاث في التفسير، وهم عبد الله بن عباس ﷺ صاحب مدرسة مكة، وأبي بن كعب ﷺ صاحب مدرسة المدينة، وعبد الله بن مسعود ﷺ صاحب مدرسة الكوفة.

المطلب الأول : عبد الله بن عباس ﷺ ومكانته في التفسير

هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو العباس، وأمه: أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، لازم النبي ﷺ لأنه ابن عمه، وخالته ميمونة تحت النبي ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، وتوفي ﷺ بالطائف سنة 68هـ، ودفن بها، وكان الذي تولى وضعه في قبره محمد ابن الحنفية، وقال بعد أن سوّى عليه التراب: «مات والله اليوم حبر هذه الأمة»[3].

وهو أشهر من أن يعرف به، وهو من أكثر الصحابة ﷺ علما وفقها، من حيث أن له مترلة في بيت النبوة، إذ أنه إبن عم النبي ﷺ، وقد ضمه ﷺ إلى صدره وقال : ﴿اللهم علّمه

---

[1] لقد ذكر السيوطي في كتابه الإتقان، أنه اشتهر بالتفسير من الصحابة هم عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير ﷺ، (انظر الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص239، وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1، ص49، وانظر صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن، ص289).

[2] وذلك لأن قد كُتب مؤلفات عن الصحابة وإمتيازاتهم في العلم والعمل وهو في كتب مناقب وفضائل وتراجم الصحابة، وأذكر منها: أسد الغابة، والاصابة في تمييز الصحابة، وتذكرة الحفاظ، وتهذيب التهذيب، وحلية الأولياء، وغيرها كثير، وبالخصوص الكلام عن دورهم في التفسير نجد تفصيلا في حلية الأولياء، الإتقان، والبرهان، والتفسير والمفسرون، وغيرذلك كثير.

[3] انظر كاملا ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت دار الكتاب العربي، د.ط،د.ت، ج2،ص322-326،وانظر عبد العزيز بن عبد الله الحميدى: تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة، د.ط، المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى،ص6-7، وانظر عبد العزيز الحميدى :تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة،ص24، وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1، ص50.

الحكمة﴾، في رواية : "الكتاب"[1]، وكذلك ببركة دعوة الرسول ﷺ له بأن يوفقه الله في الدين، ويعلمه التأويل، كما جاء في الحديث قال الرسول ﷺ :﴿اللهم فقهه في الدين، وعلّمه التأويل﴾[2].

فكان بهذا الدعاء المبارك حبر الأمة في نشر التفسير والفقه وترجمان القرآن، وإمام المفسِّرين ، حيث وفقه الله تعالى للحرص على العلم والمجاهدة في طلبه والصبر عليه وبذله ، فنال بـــذلك مكانا عاليا، يقول الدكتور محمد حسين الذهبي: ويلقب «بالحبر والبحر لكثرة علمه، (...)ولذا انتهت إليه الرياسة في الفتوى والتفسير»[3].

وزاد على ذلك في أسباب نبوغه وبروزه ﷺ في العلم والتفسير مايلي:

1.حرصه الشديد على طلب العلم وملازمة أكابر الصحابة ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ، يسألهم عن القرآن الكريم وما حفظوه من السنة النبوية حتى حمل أكثر علمهم[4].

2. إلمامه الواسع باللغة العربية ومعرفة علومها وأساليبها، والتي تنزل بها القرآن الكريم وهي وعاء السنة المطهرة.

3.كان يكتب ماسمعه من أصحاب رسول الله ﷺ دون اتكاله على مجرد حفظ الذاكرة.

4.بلوغه مرتبة الاجتهاد وعدم تحرجه منه[5].

في بجانب ذلك كان ابن عباس ﷺ أكثر الصحابة ﷺ تفسيرا للقرآن وأحـــسن مفـــسر فيهم[6]، حتى يقال: «أكثرهم وأشهرهم رواية في التفسير على الإطلاق»[7]، لعلى ومما يجعله يصل إلى هذه الدرجة –إضافة إلى ماقلت آنفا–هو تأخر زمان وفاته حتى اشتدت حاجة النـــاس إلى الأخذ عنه بعد انتشار الإسلام، مع مكانته وتفرغه للدعوة والتعليم دون أن تشغله خلافـــة، أو أتعاب السياسة وتدبير شؤون الرعية[8].

---

[1] رواه البخاري، رقم الحديث: 3756، فتح الباري، كتاب مناقب الصحابة، باب ذكر ابن عباس، ج7، ص127.

[2] رواه البخاري، رقم الحديث: 143، كاتب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، ج2، ص186.

[3] الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1،ص50، وانظر سعود الفنيسان: اختلاف المفسرين، ص32.

[4] عبد العزيز الحميدى: تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة،ص9.

[5] المرجع نفسه، ج1،ص52، وانظر إبراهيم خليفة: دراسات في مناهج المفسرين، ص291-292.

[6] صبحي الصالح:مباحث في علوم القرآن،ص289.

[7] إبراهيم خليفة:دراسات في مناهج المفسرين،ص288.

[8] الزرقاني: مناهل العرفان،ج2،ص14.

لذلك الناظر في كتب التفسير يجد عددا كبيرا من المأثور عنه، أو بعبارة الذهبي «مـــالا يحصى، وتعددت الروايات عنه، واختلفت طرقها[1]، فلا تكاد تجد آية مـــن كتـــاب الله ﷻ إلا ولابن عباس ﷺ فيها قول أوأقوال»[2].

ومن هنا ابن عباس ﷺ له مكانة عظيمة في التفسير –وفي غيره من علوم الشريعة–، إذ أنه ممن وفقه الله ﷻ لبيان القرآن لدعاء النبيﷺ له، وكذلك بنبوغه في التفسير وغيره مـــن العلوم، ومما يدل على ذلك أن الصحابة ﷺ ومن جاء بعدهم يرجعون إليه في مشكلات التفسير ومعاني القرآن الكريم[3].

ومن أبرز الأمثلة التي تبين مكانة ابن عباس ﷺ في التفسير هو ما أخرجه الإمام البخارى عن ابن عباس ﷺ يقول:« كان عمر بن الخطاب ﷺ يدخلني مع أشياخ بدر، فكأنما بعضهم وجد فى نفسه فقالوا: لما يدخل هذا معنا وإن لنا أبناء مثله؟» فقال عمرﷺ: إنه ممن علمتم–أي إنه من عرفتم ذكاءه وعلمه–فدعاهم ذات يوم فأدخلنى معهم فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليريهم، فقال عمر ﷺ: ما تقولون في قول الله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[4] حتى ختم السورة ، فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا فتح علينا، وسكت بعضهم، فقال عمرﷺ لابن عباسﷺ : أكذلك تقول يابن عباس؟ قال: لا، قال: فما تقول؟ قال :هو أجل رسول الله ﷺ، أعلمه الله له قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾: فتح مكة، فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك، واستغفره إنه كان توابا﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾، قال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول»[5]، وغير ذلك كثير من أمثلة تفسيره.

---

[1] ومنها الضعيف والجيد، فمن جيدها طريق عليّ بن أبي طلحة الهاشمي، انظر السيوطي : الإتقان، ج2،ص532، وانظـــر ســـعود الفيسان: اختلاف المفسرين، ص33.

[2] الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1،ص58.

[3] عبد العزيز الحميدى: تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة،ص22.

[4] النصر:1.

[5] رواه البخاري، رقم الحديث: 4652، كتاب التفسير، ج18،ص214.

وكذلك قد أثنى الصحابة ﷺ عليه، ذكر الدكتور الذهبي في التفسير والمفسرون[1] عدة أقوال، منها قول ابن مسعود ﷺ: «لنعم ترجمان القرآن ابن عباس».

ورد في التفسير ابن عباس ﷺ روايات وطرق كثيرة، منها: الضعيف والصحيح[2]، فهنا لا أذكر روايات أو طرق تفسيره خشية الإطالة في البحث في غير لب الموضوع[3]، وهناك كتاب "تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ﷺ"، طبع بمصر وغيره من الدول الإسلامية مرارا جمعه مجد الدين الفيروزآبادي الشافعي صاحب القاموس "المحيط"، ومن طالع هذا الكتاب وجد أنه يدور على رواية السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح، وهي سلسلة الكذب، وأوهى الطرق وأضعفها عن ابن عباس ﷺ عند العلماء الجرح والتعديل[4]، وهذا لأن السدي الصغير كذاب يضع الحديث، يقول صاحب الإتقان: طرق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب[5].

وهذا لا يعني أن كل ماجاء فيه لا يعتبر، لأن هناك الكثير مما جاء منه بطرق أخرى صحيحة ومعتبرة، أما قوله الشافعي كما ذُكر في الإتقان[6]: «لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث»، أنه يحمل المعنى على الأحاديث المرفوعة إلى الرسول ﷺ، وأما ماكان موقوفاً وحكمه الرفع-مما لا مجال للرأي فيه-أو كان من تفسيره لآية أو إعراب لفظة، فلا يتناوله كلام الشافعي[7]، وفي هذا الصدد يقول الدكتور الذهبي: «هذا الخبر -إن صح عن الشافعي- يدلنا على مدار ماكان عليه الوضاعون من الجرأة على اختلاق هذه الكثرة من التفسير المنسوبة إلى ابن عباس»[8]، وكتب التفسير والحديث أكبر شاهد على هذا.

---

[1] الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1،ص51، وانظر انظر تقي الدين: مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، الرباط-المغرب: مكتبة المعارف، د.ط، د.ت، ج13، ص365، وانظر إبراهيم خليفة: دراسات في مناهج المفسرين، ص309-310.

[2] السيوطي : الإتقان، ج2،ص534، وانظر سعود الفنيسان: اختلاف المفسرين، ص 33.

[3] انظر تفصيلا ابراهيم خليفة: دراسات في مناهج المفسرين،ص356-363، وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1، ص58-62.

[4] الذهبي: والتفسير والمفسرون ،ج1، ص12، وانظر سعود الفيسان: اختلاف المفسرين،ص32.

[5] السيوطي : الإتقان، ج2،ص535

[6] المرجع نفسه.

[7] سعود الفنيسان: اختلاف المفسرين،ص38.

[8] الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1، ص62.

المطلب الثاني : عبد الله بن مسعود ﷺ ومكانته في التفسير

هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي وكنيته أبو عبد الرحمن، وأمه أم عبد بنت عبدوُدّ بن سواء بنت هذيل كان ينسب إليها أحياناً فيقال: ابن أم عبد لأن أباه مات في الجاهلية وأدركت أمه الإسلام فأسلمت، وهو أحد السابقين الأولين بل هو سادس الأوائل، إذ روى أبو نعيم بسنده إليه أنه قال: «قد رأيتني سادس ستة ما على ظهر الأرض مسلم غيرنا»، أسلم قديمًا، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، ولازم النبي ﷺ، وحدّث عنه بالكثير، وهو «أول من جهر القرآن بمكة وأسمعه قريشا بعد رسول الله ﷺ»، وتوفي ﷺ في المدينة المنورة سنة اثنتين وثلاثين (32) من الهجرة ودفن بالبقيع بالمدينة المنورة وله بضع وستين سنة[1].

وقد حظي بشرف خدمة رسول الله ﷺ فلقب بـ"صاحب السواد والسواك"، حتى ظنه أبو موسى الأشعري ﷺ من أهل بيت النبي ﷺ حيث قال: «قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حيناً لا نرى ابن مسعود وأمه إلاّ من آهل بيت رسول الله ﷺ لما نرىَ من كثرة دخوله ودخول أمه على رسول الله ﷺ ولزومه له»[2].

وأما مكانته في القرآن والتفسير فعظيم، يكفينا لهذا ماشهده النبي ﷺ له، كما عرفنا أنه تلقى من النبي ﷺ بضعا وسبعين سورة من القرآن[3]، وذكر ابن حبان في صحيحه، روي عن ابن مسعود أنه يقول في أول إسلامه: «أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله علمني من هذا الكلام أو من هذا القرآن فمسح رأسي وقال ﷺ: ﴿إنك لغلام معلم﴾[4]، وقال ﷺ أيضا: ﴿من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد﴾[5]، فمن هنا يتبين لنا خدمته لعظيمة للقرآن ومنها حرصه على متابعة مانزل من القرآن من النبي ﷺ، وهذا كما اتضح ماورد في

---

[1] انظر كاملا شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، بيروت: مؤسسة الرسالة،د.ط، 1985، 2، ص461-499، وانظر ابن الحجر: الإصابة في تمييز الصحابة ج2،ص 360-362، وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1، ص63، محمد عبد الرحيم:تفسير الصحابة،د.ط،مكتبة التراث الاسلامي:القاهرة، د.ت،ص13.

[2] انظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1، ص63، وانظر فتح الباري، ج7،ص130.

[3] كما ورد في الأثر ما رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، رقم الحديث: 2462، باب من فضائل ابن مسعود وأمه رضي الله عنهما، ج4، ص1912.

[4] رواه ابن حبان، رقم الحديث: 6470، باب المعجزات، ذكر ظهور اللبن من الضرع والحائل للمصطفىﷺ،ج8،ص149.

[5] رواه أحمد، أحمد بن حنبل: المسند، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، د.ط، د.ت، رقم الحديث: 35، مسند أبي بكر الصديق، ج1،ص38.

صحيح البخاري، أن ابن مسعود ﷺ يقول: «والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»[1].

ويقول الدكتور الذهبي أن هذا الأثر يدل على إحاطة ابن مسعود ﷺ بمعاني القرآن، وأسباب النزول، والبحث عن العلم بكتاب الله عند غيره[2]،وهذا فضلا على أنه دائم ملازمة الرسول ﷺ، ولهذا يعد العلماء في التفسير أنه أكثر من روي عنه من الصحابة ﷺ في التفسير بعد ابن عباس، وهو أكثر من علي في الرواية من النبيﷺ، هذا كما قال صاحب الاتقان:«وأما ابن مسعود فري عنه أكثر مما روى عن عليّ»[3].

وقد قال عن نفسه: «لا أزال أحبه سمعت النبي ﷺ يقول: ﴿خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود- فبدأ به-، وسالم ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب﴾[4].

ومن هذه النصوص يتضح لنا مكانة ابن مسعود ﷺ في التفسير، وأنه من أعلم الناس بالقرآن الكريم وتفسيره.

ومثال لتفسير ابن مسعود ﷺ الآية: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[5]، حيث يروى لنا صديق خان في كتابه "فتح البيان" مانصه:«وعن ابن مسعود والناس من الصحابة أنهم فسروا يوم الدين بيوم القيامة[6]، وفي قوله ﷻ: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١﴾[7]، يقول ابن كثير في تفسير هذه الأية:«قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف: أي لا نجاة»[8].

---

[1] رواه البخاري، رقم الحديث: 4682، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبيﷺ،ج 19،ص17.

[2] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج2،ص65.

[3] السيوطي : الإتقان،ج2،ص530.

[4] رواه البخاري، رقم الحديث: 4679، كتاب كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبيﷺ،ج 19،ص16.

[5] الفاتحة:4.

[6] فتح البيان،ج1،ص39، نقلا عن محمد عبد الرحيم: تفسير الصحابة،ص14.

[7] القيامة:11.

[8] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم،ج7،ص168.

المطلب الثالث: أبي بن كعب ﷺ ومكانته في التفسير

هو أبو منذر أبو الطفيل أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك الأنصارى الخزرجي من بنى النجار، كان قبل إسلامه حبر من أحبار اليهود فهو يحسن ويتقن القراءة والكتابة، وكان في عصره قليل من يعرف ذلك، وهوأول من كتب للنبيﷺ، ولهذا كان أحد كتاب الوحي للنبي ﷺ، ولقد شهد بدرا ومشاهد كلها، وتوفي ﷺ سنة 20هـ بالمدينة المنورة، وقال عمر بن الخطاب: «اليوم مات سيد المسلمين»[1].

أبي بن كعب له مكانة حميدة في القرآن وتفسيره، منها لأنه كان سيد القراء، والدليل على أن أبيﷺ ممن له ميزة فى القرآن والتفسير هو أن النبي ﷺ أشار أن يؤخذ عنه القرآن، قال رسول الله ﷺ: ﴿خذوا القرآن من أربعة: من ابن أم عبد فبدأ به، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة﴾[2].

وهنا يرى الدكتور الذهبي[3] أن أبي بن كعب ﷺ له مكانة قيمة في علم التفسير لأنه كان من أعلم الصحابة به، ذلك لأنه كان حبر من أحبار اليهود الذى يعرف ماورد في الكتب القديمة وليس بعلمه أحد من الصحابةﷺ، وكذلك كونه من كتاب الوحي لرسول لله ﷺ مما يجعله يعرف أسباب النزول ومواضعه، ومقدم القرآن ومؤخره، وناسخه ومنسوخه، ومن ثم بطبيعة الحال أنه سأل النبي ﷺ مالم يفهمه من القرآن، بهذه العناصر يُعدّ أبي بن كعب ﷺ من المكثرين والعالمين بالتفسير.

ومن أمثلة تفسير أبي بن كعب ﷺ فهو عند قوله ﷻ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[4]، هنا يقول صديق خان: قال أبي بن كعبﷺ:«كانوا أمة واحدة حين عرضوا على آدم، ففطرهم على الإسلام وأقروا بالعبودية وكانوا مسلمين،ثم اختلفوا من بعد آدم»[5].

---

[1] انظر كاملا ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج1،ص31-32، سير شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج1،ص389، عادل نويهض: معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر،مؤسسة نور هض، د.ط، 1983، ج1، ص25، وانظر الزرقاني: مناهل العرفان،ج2،ص15.

[2] رواه مسلم، رقم الحديث: 2464، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما، ج4،ص1913.

[3] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1، ص69، وانظر الزرقاني: مناهل العرفان،ج2،ص15.

[4] البقرة:213.

[5] فتح البيان،ج1،ص340، نقلا عن محمد عبد الرحيم: تفسير الصحابة،ص14.

وذكر السيوطي[1] أنه عرفتْ عن «أبي بن كعب ﷺ نسخة كبيرة في التفسير، وروى أبوجعفر الرازي عن البيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب نسخة كبيرة في التفسير أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم منها كثرا، وكذا أخرج الحاكم في مستدركه، وأحمد فى مسنده».

❁❁❁

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] السيوطي : الإتقان، ج2،ص535.

المبحث الثاني : هل دون التفسير في هذه المرحلة

من المعلوم، أن التفسير في عهد النبي ﷺ لم يوضع كفن مدون و لم يجمع في كتب مؤلفة، لأن المسلمين الذين يعيشون فيه لم تكن لهم حاجة إلى التدوين والتأليف، والرسول ﷺ بين أيديهم يتلقى الوحي عن الله ﷻ، ورغم ذلك كما ذكرنا في الفصل الأول، وهو في مبحث "التفسير المكتوب في عهد النبي ﷺ" على أنه ظهر في عهده بعض الصحيفات التي كتبها الصحابة ﷺ وفيها تفسير لآيات من القرآن؛ إما كُتبت مع القرآن أو مع الحديث النبوي.

وأما في عهد الصحابة ﷺ، ومع خاصية أنهم أميين وأدوات الكتابة لم تكن ميسورة لديهم، وكذلك أنه متمسكون بنهي الرسول ﷺ أن يكتبوا عنه شيئا غير القرآن، وقد قال ﷺ لهم أول العهد بنزول القرآن: ﴿لا تكتبوا عني ومن كتب غير القرآن فليمحه وحدثوا عني ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار﴾[1]، وذلك مخافة أن يلتبس القرآن بغيره أو يختلط به ما ليس منه، فمن هذه الأسباب أرى لم يكن في عهد الصحابةﷺ تدوين التفسير.

ولكن هناك عملية كتابة لدى الصحابةﷺ، وقد روي أنه في عهد خلافة علي بن أبي طالب ﷺ كان ابن عباس ﷺ حج بالناس، فخطب خطبة بليغة، ثم قرأ عليهم سورة النور، فجعل يفسرها، وكان يحض على قراءة القرآن وتفسيره، وكان تلاميذه سعيد بن جبير، ومجاهد والضحاك وعطاء يكتبون تفسيره في ألواحهم، وقد ذكر موسى بن عقبة أن كريب بن مسلم – تلميذ ابن عباس–قد حفظ حمل بعير من مؤلفات أستاذه، وكان علي بن عبد الله بن عباس يكتب لموسى بن عقبة بين وقت وآخر يطلب منه أن يرسل صحيفة إليه من كتب أبيه لينسخها ثم يردها إليه[2].

وابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهما، من أبرز المفسرين في عهد الصحابة، يُذكر أنها كانا في بعض الأحيان يكتبان من الذاكرة على مصحف كل منهما، فيضيفان كلمة قد ترجع إلى تاريخ سابق أو يوضحان في الهامش أو بين السطور –وغالبا بلون مختلف–بعض التفسيرات «فنجد مثلا في مصحف ابن مسعود بجوار كلمة "الصلاة الوسطى" عبارة "صلاة

---

[1] رواه مسلم، رقم الحديث: 3004، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، ج4، ص2298.

[2] سعود الفنيسان: اختلاف المفسرين، ص32-33.

العصر" أو "وهي صلاة العصر"» أو بعض أدعية الصلاة «نجد في مصحف أبي بالإضافة إلى السور المعروفة ودعائى القنوط» الخارجة عن النص[1].

ويكفينا من هذه الرواية أنه في عهد الصحابة ﷺ جرت عملية الكتابة أي كتابة تفسير بعض الآيات أو بعبارة أخرى «تسجيل مرويات تفسير القرآن، حتى لا تضيع»[2]، فكانت في صحائف خاصة لديهم.

ومن هنا نفهم أنه كان الصحابة ﷺ يتخذون من الكتابة في الصحف ليس للتفسير فحسب وإنما لكتابة أحاديث أو لتقييد تفسير آيات معينة من القرآن، بل تقتصر على بعض تفسير بعض القرآن، فمن ثم يمكننا أن نقول كما رأى ذلك الدكتور عبد الرزاق إسماعيل هرماس أنه في هذا العهد «كالمرحلة الأولى من تاريخ التفسير وهي مرحلة الكتابة»[3].

وبطبيعة الحال هذه الروايات ليست بمعنى التدوين، إذ أقصد بتدوين التفسير هو –كما قلت في الفصل التمهيدي– تدوينه في كتاب مستقل أي ورود التفسير آية آية على التتابع وحسب ترتيب المصحف، ومن دون الكتابات الفقهية والدراسات الحديثية.

وقلنا في الفصل التمهيدي، أن بداية تدوين التفسير في الأرجح –حسب علمي– مع مجاهد بن جبر المخزومي رحمه الله، فهو صاحب المدونة الأولى في التفسير، وهو المتوفى سنة 104هـ[4]، وكما علمنا ليس من الصحابة وإنما من التابعين.

والجدير بالذكر هنا ماقاله الدكتور مناع القطان[5]: لم يدون التفسير في عصر الصحابة، وذلك أن التدوين لم يكن إلا في القرن الثاني، وكان التفسير فرعا من الحديث، ولم يتخذ شكلا منظما، بل كانت هذه التفسيرات تروى منثورة لآيات متفرقة من غير ترتيب وتسلسل لآيات القرآن وسوره كما لا تشمل القرآن كله.

---

[1] عبد الله دراز: مدخل إلى القرآن؛ عرض تاريخي وتحليل مقارن، الكويت: دار القلم،1986،د.ط، ص37-38.

[2] – عبد الرزاق إسماعيل هرماس: لمحات عن المدونات الأولى في التفسير،ص22.

[3] المرجع نفسه، ص23.

[4] التفسير ولمفسرون،ج1، ص42، وانظر عبد الرزاق إسماعيل هرماس : لمحات عن المدونات الأولى في التفسير، ص22-24، انظر محمد بن عبد الله بن علي الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة، السعودية : دار الوطن، ط1، 1999،ج1،ص36.

[5] مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص337.

وخلاصة المبحث ما قاله الدكتور الذهبي: «لم يدون شيئا من التفسير في هذا العصر».[1]

❁ ❁ ❁

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1، ص73.

المبحث الثالث : مصادر التفسير في عهد الصحابة ﷺ

بعد أن كانت مصادر التفسير في عهد النبي ﷺ تنحصر في مصدرين، في عهد الصحابةﷺ، قد أخذت أسباب نزول القرآن والاجتهاد كمصدران من مصادره، وذلك لمراعاة الحاجة إليه.

المطلب الأول : القرآن الكريم

كما ذكرنا في الفصل الأول أن القرآن الكريم كتاب يفسر بعضه بعضا، أي تفسير آية بغيره من الآيات، لأن المتكلم به –الله ﷻ–هو أولى بتوضيح مراده، فإذا تبيّن مراده به منه، فإنه لا يُعدّل عنه إلى غيره، وكذلك من المعلوم أن دلالة القرآن تمتاز بالدقة والاحاطة والشمول، وهذا الطريق –تفسير القرآن بالقرآن–عدّه العلماء أحسن تفسير وأعلى الطرق وأول المراتب وأشرف أنواعه، وقلنا أن النبي ﷺ قد أرسى هذه القاعدة الأولى في التفسير.

ليس مرادي الآن تكرار ماسبق، وإنما الشيء الذي أود أن الفت النظر إليه هو أن الصحابة ﷺ احتذوا حذو رسول الله ﷺ في هذا المنهج في التفسير، ولذا كانوا يتوجهون في تفسيرهم أول ما يتوجهون إلى القرآن.

وبالجملة، في نظري كان الصحابة ﷺ يتخذون القرآن المصدر الأول في التفسير وذلك لسببين رئسين وهما:

1. أخذ الأسوة من الرسول ﷺ الذى سلك هذا المنهج وهو تفسير القرآن بالقرآن، والصحابةﷺ أحسن من عظم سنته ﷺ ونصره والتزم بها على الأرض كلها.

2. كما علمنا أن القرآن الكريم تضمن الكثيرا من بيان القرآن بالقرآن، فالصحابة ﷺ وجدوا آيات من القرآن ماتفسر بعضها بعضا والتى لم تكن فسرها النبي ﷺ، لأنه ﷺ–كما ذكرنا في الفصل الأول– لم يفسر كل القرآن بل آيات ذات أهمية فى عصره ومتعلقة بأحكام الشريعة الإسلامية.

والصحابة ﷺ أدركوا أهمية هذا المصدر –تفسير القرآن بالقرآن–فذهبوا يستخدمون آيات القرآن ليفسروا بها آيات أخرى، ومن ثم إذا قرأنا تفاسير الصحابة ﷺ وجدنا فيها تفسير القرآن بالقرآن[1]، مثال ذلك ما فسره أبرز المفسرين من الصحابة ﷺ وهو ابن عباس ﷺ عند

[1] إبراهيم خليفة: دراسات في مناهج المفسرين،ص50.

تفسيره قوله ﷻ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[1]، حيث فسرها-أي ﴿كَلِمَٰتٍ﴾- بقوله: هي قوله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2][3].

ومن هنا يتبين لنا أن من أهم المصادر للتفسير في عهد الصحابة القرآن الكريم، وهو أعظمها وأحسنها.

وأما القراءات القرآنية، فأنا مع من يرى أنها من قبيل تفسير القرآن بالقرآن[4]، وهذا لأن العلماء أدخل القراءات المتواترة في تفسير القرآن، وجعلها مرجع من مراجع التفسير عند عدد الصحابة ﷺ.

في هذا الصدد يقول الدكتور الذهبي[5]: أن بعض القراءات تعين معنى المراد من القراءة الأخرى، فمثلا قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[6]، فسرتها القراءة الأخرى: ﴿فامضوا إلى ذكر الله﴾، وهذا لأن "السعى" عبارة عن المشى السريع، وهو وإن كان ظاهر اللفظ إلا أن المراد منه مجرد الذهاب.

ويصل الدكتور الذهبي إلى النتيجة أن القراءات مرجع مهم من مراجع تفسير القرآن بالقرآن، وهو ماكان الصحابة ﷺ يرجعون إليه في تعريف بعض معانى القرآن، ومما يؤيد على ذلك، ماروي عن مجاهد أنه قال:«لوكنتُ قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته عنه».

ومما ينبغي الإنتباه له هو تقسيم القراءات ماقام بها الدكتور أحمد عيسى المصراوي: أن من أقسام القراءات ما هو زائد في القراءات على وجه التفسير: كالقراءة المنسوبة إلى سعد بن

---

[1] البقرة:37.

[2] الأعراف:23.

[3] السيوطي : الإتقان،ج2،ص54.

[4] انظر محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج2،ص609.

[5] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1، ص32-33،بتصرف.

[6] الجمعة:9.

أبي وقصﷺ:«وله أخ أو أخت "من أم"»، وكالقراءة المنسوبة ابن عباسﷺ :«ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم "في مواسم الحج"»[1].

غير أن القراءة الشاذة تجب القطع بكونها ليست قرآنا ولا من قبيل تفسير القرآن بالقرآن، بل من قبيل التفسير بالسنة الصحيحة المنسوبة إلى النبيﷺ، أو بما أقوال الصحابة ﷺ، وهذا مااختاره السيوطي وغيره[2].

المطلب الثاني: السنة النبوية الشريفة

كما قلنا في الفصل الأول، أن النبي ﷺ كان يبين لأصحابه ﷺ الكثير من الآيات، وكان الصحابة ﷺ إذا غمض عليهم لفظ أو أشكل عليهم فهم آية لجؤوا إلى الرسول ﷺ، فيوضح ﷺ ويبين ما خفي عليهم، لأنه ﷺ المبين والمفسر للقرآن الكريم.

وكما أنه من المعلوم، أن الصحابة ﷺ هم الجيل الذي تمسك بسننه ﷺ قولا وفعلا وتقريرا، وفطنوا على تعظيم مكانتها لأهميتها في كمال الإيمان وأسس التشريع، وبالخصوص تفسيره ﷺ، إذ أنه أحسن من فسر القرآن من الناس، فمن ثم فلقد اتخذ الصحابة ﷺ السنة النبوية الشريفة مصدر ثاني لتفسيرهم، فهم يرجعون إليها واعتمدوا عليها واستعنوا بها عن تفسيرهم[3]، وكذلك ينقلون مايسمعون منه ويروونه لبعضهم البعض ثم ينقلونه إلى غيرهم من التابعين[4]، بجانب ذلك كانوا ﷺ يرجعون إلى السنة النبوية باعتبارها شارحة للقرآن ومفسرة له؛ على أنه هناك آيات عديدة «يستحيل تفسيرها تفسيرا صحيحا إلا بالرجوع إليها والاعتماد عليها، بل والغض عنها كفر وفشل في الدين والتفسير»[5].

ومن ثم نقول أن الصحابة ﷺكانوا يرجعون في التفسير إلى النبي ﷺ في حياته وبعد مماته ﷺ، ويجعلونه مصدر من مصادر التفسير، ويأتى هذا المصدر بعد المصدر الأول أي القرآن.

---

[1] أحمد عيسى المعصراوي: القراءات الواردة في السنة، القاهرة: دار السلام، ط1، 2006،ص41.

[2] محمد علي الحسن : المنار في علوم القرآن، عمان: دار الأرقم، ط1، 1983، ص150.

[3] انظر عبد الله بدر: تفسير الصحابة،ص148، وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1، ص36.

[4] محمد حجازي: التعريف بالتفسير ومنهج رجاله،ج1، ص37.

[5] عبد الله بدر: تفسير الصحابة، ص151.

والجدير بالذكر هنا ماقاله الدكتور عبد الله بدر كيف كان تعامل الصحابة ﷺ لتفسير النبي ﷺ:

1. كانوا يروون ما أثر عن رسول الله ﷺ، مثل ماروي عن عبد الله بن عمروﷺ في تفسير قوله ﷻ:﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾[1]، فقال:«سأل أعرابي النبي ﷺ عن الصور، فقالﷺ:﴿قرت ينفخ فيه﴾[2].

2. وقد يفسر الصحابة ﷺ إذا سئلوا عن شيء من التفسير وكان عندهم من رسول لله ﷺ فيه حديث أو سنة فيُجيبوا بها، ومن أمثلة ذلك أن عمر بن الخطاب ﷺ سئل عن هذه الأية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ[3]﴾، قال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها فقال رسول الله ﷺ إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فأخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل قال فقال رسول الله ﷺ إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله الله النار﴾[4].

3. كان الصحابة ﷺ يلقون على بعض الآيات بماجاء عن الرسول ﷺ متعلقا بمعانيها الثانية وبمعنى دلالتها، ومن أمثلة على ذلك، قول أبي بكر الصديقﷺ:"يأيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ[5]﴾، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ إن القوم إذا رأووا المنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقاب﴾[6].

---

[1] النمل:87.

[2] رواه الترمذي، رقم الحديث: 3200، كتاب التفسير، ج5، ص340.

[3] الأعراف: 172.

[4] رواه الترمذي، رقم الحديث: 3075، كتاب التفسير، ج5،ص266.

[5] المائدة: 105.

[6] رواه الترمذي، حديث رقم: 3067، كتاب التفسير، ج5، ص256-257.

4.كان الصحابة ﷺ يجعلون السنة النبوية الشريفة حكما بين معاني القرآن ومميزا لأحكامه ومبينا لأهدافها، ومثال ذلك ماروي عن يعلي بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا[1]﴾ فقد أمن الناس، فقال: عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته،ونحن آمنون؟[2].

وهكذا كان الصحابة ﷺ يتعاملون مع السنة النبوية في تفسيرهم، ويتمسكون بها كمصدر ثاني لتفسيرهم.

المطلب الثالث : أسباب النزول

في القرآن أغلب آياته وسوره إنما نزلت "ابتداءً" أي دون أن تكون متعلقة بأسباب معينة أو دوافع خاصة بها من سؤال الصحابة ﷺ أو حادثة معينة أو غيرها من أسباب، في هذا الصدد يقول الدكتور صبحي الصالح: وذلك أن الله ﷻ أنزلها لهداية الخلق إلى صراطه المستقيم وجعلها متعلقة بالسياق القرآني سابقه ولاحقه من غير أن تكون إجابة عن سؤال أو بيانا لحكم شيء حدث[3].

وهناك بعض الآيات و السور نزلت "بوسيلة" أي بسبب معين من سؤال أو حادثة اقتضت بنزولها، وهذا ما يعرف بأسباب النزول[4].

ومن هنا أقول أن سبب نزول الآيات له دور قيم في فهم معاني القرآن، حيث كانت الآيات والسور نزلت منجما تدريجيا في فترات وشؤون مختلفة بعضها عن بعض، فإذا كانت الآية تنزل لمناسبة خاصة أولعلاج حادثة وقعت، فإنها حينذاك ترتبط معها ارتباطا وثيقا ولولا الوقوف على تلك المناسبة لما أمكن فهم مرامي الآية، ولذا لابد لدارس معاني

[1] النساء:101.

[2] رواه مسلم، رقم الحديث: 686،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة المسافرين وقصرها،ج1،ص478.

[3] صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن، ص132.

[4] انظر عبد الله بدر: تفسير الصحابة، ص160.

القرآن أن يراعي قبل كل شي شأن نزول كل آية، ويهتم بأسباب نزولها، وهذا باعتبار اذا كان لنزولها شأن خاص، فلا بد من النظر والفحص.

لا شك أن معرفة سبب النزول يبين ما احْتفّ بنزول النص من ظروف وملابسات وحوادث، وكأنه يؤرخ لواقع الحال[1]، لهذا يقول الإمام الشاطبي[2]: «معرفة أسباب النزول لازمة لمن أراد علم القرآن»، ويرى الدكتور الذهبي[3] أن معرفة أسباب النزول تعين على فهم معاني التي تضمنها الكثير من الآيات القرآنية، وفي نفس المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[4]: «معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب».

ومن المعلوم، أن الصحابة ﷺ هم الذين شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب، فلا شك أنهم أدركوا أهمية معرفة أسباب النزول لفهم وتفسير القرآن، ومن ثم أجيال جاءوا بعدهم من المفسرين ينقلون أسباب النزول كمصدر هام من المصادر التي يستمد منها في فهم معاني القرآن[5]، ولهذا يُقال لصحابة ﷺ «يجوز لهم تفسير آيات القرآن على مقتضى ماشاهدوه وعرفوا من أسباب نزولها وأحوال من نزلت فيهم»[6].

قال صاحب "الموافقات" عن أهمية أسباب النزول عند الصحابة ﷺ، وهو يقول أن مما وضّح أهمية أسباب النزول عند الصحابة ﷺ قول ابن مسعود ﷺ: «والذي لا اله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت؟"[7].

في ضوء ذلك، نقول أن المصدر الثالث للتفسير في عهد الصحابة ﷺ هو أسباب نزول الآيات، ويرى صاحب "الموافقات" دليل على أن أسباب النزول من أهم المصادر في تفسير الصحابة ﷺ، أنهم كانوا يهتمون كثيرا، ومما يوضح هذا المعنى ماروى أبو عبيد عن ابراهيم التيمي قال: خلا عمر ذات يوم، فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد

---

[1] محي الدين بلتاجي: دراسات في التفسير وأصوله، ص18-19.

[2] الشاطبي: الموافقات، ج2، ص258.

[3] الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1، ص46،45.

[4] ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير، ص 25.

[5] عبد العزيز بن عبد الله الحميدى: تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة، ص5.

[6] الشحات زغلول: من مناهج التفسير، ص69.

[7] رواه مسلم، رقم الحديث: 2463، باب من فضائل ابن مسعود وأمه رضي الله عنهما، ج4،ص1913.

وقبلتها واحدة؛ فقال ابن عباسﷺ: ياأمير المؤمنين!إنا أنزل علينا القرآن فقرآناه، وعلمنا فيما نزل وإنه سيكون بعدنا أقوام اختلفوا واقتتلوا[1]، فهنا نرى ما أكده ابن عباس ﷺ أن الصحابةﷺ كانوا يهتمون بأسباب النزول آيات، ومن ثم يُقال أنه كان من الصحابة ﷺ علماء بأسباب النزول، ومنهم: ابن مسعود، وعلي بن أبي طالب وابن عباس وعائشة وغيرهم ﷺ[2].

ولذلك الناظر لتفاسير الصحابة ﷺ يجد أن سبب نزول الآيات كان مصدرا لتفسيرهم، فمثال ذلك جاء في مسند أحمد، أشكل على مروان بن الحكم معنى قوله ﷻ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾[3]، فقال: إذهب يارافع لبوّابه إلى ابن عباسﷺ فقل: لئن كان كل امرىء منا فرح بما أوتي وأحبّ أن يحمد بما لم يفعل لنُعذّبَنَّ أجمعون، فقال ابن عباس ﷺ: وما لكم هذا؟ إنما نزلت هذه في أهل الكتاب، ثم تلا ابن عباس وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ ﴾[4] هذه الآية، وتلا ابن عباس: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾، وقال ابن عباس:سألهم النبيﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا فقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه»[5] فمن هنا يتبين أن المقصود من الآية غير ماظهر لمروان[6]، ولم يزل الإشكال لفهمها إلا بمعرفة سبب النزول[7].

والجدير بالذكر ماقاله الدكتور صبحي الصالح[8]، إذ أنه أضاف أهمية أخرى لمعرفة سبب النزول يقول:«لول بيان سبب النزول لظل الناس إلى يومنا هذا يبيحون تناول المسكرات

---

[1] المرجع نفسه، ص259.

[2] عبد الله بدر: تفسير الصحابة،ص162.

[3] آل عمران: 188.

[4] آل عمران: 187.

[5] رواه أحمد، المسند، رقم الحديث: 2712، كتاب المسانيد، مسند ابن عباس، ج4،ص251-252.

[6] الشاطبي: الموافقات، ج2، ص259.

[7] صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، ص131.

[8] المرجع نفسه، ص 131.

وشرب الخمور أخذا بظاهر قوله ﷻ في سورة المائدة: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ...﴾[1]»، وذلك لأنه جاء في الرواية: يقول ابن عباس ﷺ: (أُتيَ برجلٍ من المهاجرين الأولين ـــ وقد شرب الخمر ـــ فأمر به عمر ﷺ أن يُجلد، فقال: لِمَ تجلدني؟! بيني وبينك كتاب الله، قال: وفي أيّ كتاب الله تجد أن لا أجلدك؟

قال: فإن الله ﷻ يقول في كتابه: ﴿لَيْسَ عَلَى الَذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا...﴾[2]، فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وأحسنوا؛ شهدت مع رسول الله ﷺ: بدراً، وأحداً، والخندق، والمشاهد.

فقال عمر: ألا تَرُدّون عليه؟

فقال ابن عباس ﷺ: هؤلاء الآيات نزلت عذراً للماضين، وحجّة على الباقين، عذراً للماضين؛ لأنهم لَقُوا الله قبل أن حرّم الله عليهم الخمر، وحجة على الباقين؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ... ﴾[3].

فنرى هنا كيف خفي على هذا البدريّ ﷺ حكم هذه الآية لـــمّا لم يكن يعلم ســـبب نزولها؟ و لم تكن مشكَلة عند من علم سبب نزولها؟ فنزلها منزلتها، وبيّن معناها.

المطلب الرابع : الاجتهاد

يعتبر المصدر الرابع من مصادر التفسير في عهد الصحابة "إبتداءً" من الـــصحابة ﷺ أي المصدر الذي يرجع منه إلى استنباطهم أو رأيهم وليس من نوع ما يرجع إلى "النقل" كما هـــي المصادر الثلاثة التي ذكرناها، أو نقول المصدر الاجتهادي من الصحابة ﷺ، يقول الدكتور مناع القطان[4] عن مسالك الصحابة ﷺ في تفسيرهم: كانوا إذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله تعـــالى، ولا عن مأثور من الرسول ﷺ، اجتهدوا في الفهم برأيهم، فإنهم من خلص العرب، يـــدركون فصاحة العربية وقواعدها، ويحسنون فهمها، ويعلمون وجوه البلاغة فيها.

---

[1] المائدة:93.

[2] المائدة: 93.

[3] المائدة: 90.

[4] مناع القطان : مباحث في علوم القرآن، ص336.

وأما ظهور هذا المصدر في نظري لسببين رئسين وهما:

1. أن مستلزمات الحياة في عصرهم تدفعهم إلى الاجتهاد في تفسيرهم، فبعد مرّ الأيام وانتشر الإسلام واتساع الأمصار وحدوث الفتن وتغيّر الأحوال والمشاكل وظهور القضايا الجديدة التي تواجه الناس والتي لم تكن موجودة من قبل، فبطبيعة الحال هذه كلها من مستلزمات عصرهم التي يلزمهم تعامل معها في تفسيرهم للقرآن الكريم، وعلى ذلك فالاجتهاد هو الذي يعتمد عليه.

2. كما أنه من المعلوم –كما ذكرنا في الفصل الأول– أن النبي ﷺ لم يبين كل ما في القرآن، وإنما كان بيانه وتفسيره ﷺ لكل مايحتاج الناس إلى بيانه، هي آيات المتعلقة بالشريعة والأحكام، وإما مايحتاج الناس في عصره ﷺ أو ما أشكل على الصحابة ﷺ فهمها، فعدم تفسير الرسول ﷺ لكثير من آيات تلزم الصحابة ﷺ اللجوء إلى الاجتهاد، وبجانب آخر، المسلمين في عصر النبوة كان قلوبهم ممتلئة بالإيمان، فلذا لم يسألوا عن كل شيء[1].

والشيء الذي أود أن ألفت النظر إليه هو أن اجتهاد الصحابة ﷺ في التفسير يأتي بعد عدم تمكنهم لتفسير آيات معتمدا على القرآن نفسه أو ما أثر من النبي ﷺ أو أسباب النزول– على الصورة التي بيناها فيما سبق–.

في هذا الصدد يقول الدكتور محي الدين بلتاجي[2]: كان الصحابة ﷺ يعتمدون على تفسير القرآن بالقرآن، فإلم يجدوا رجعوا إلى ما أثر عن النبي ﷺ من بيان، فإن لم يتيسر لهم ذلك اجتهدوا فيما يحتاج إلى النظر والاجتهاد.

وقد تميز اجتهاد الصحابة ﷺ في التفسير بمعرفتهم لكلام العرب ومناحيهم في القول، ويعرف الألفاظ العربية ومعانيها بالوقوف على ما ورد مثله من الشعر الجاهلي ونحوه، ويقف على ما صح عنده من أسباب النزول مستعينا بهذه الأدوات ويفسرها حسب ما أداه إليه اجتهاده، وكان كثير من الصحابة ﷺ يفسرون الآية بهذا الطريق، يقول الدكتور الذهبي[3]: كان الصحابة ﷺ يبنون اجتهاداتهم في التفسير على ما يلي:

---

[1] الشحات زغلول: من مناهج التفسير،ص61.

[2] محي الدين بلتاجي: دراسات في التفسير وأصوله، ص17.

[3] الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1،ص45 بتصرف.

1- معرفة أوضاع اللغة العربية: فإن لغتهم العربية تعينهم على فهم الآيات التي يتوقف فهمها على لغة العرب.

2- معرفة أسباب النزول: فلقد عاصر الصحابة الوحي وشاهدوا نزوله فعرفوا أسباب النزول ومواقعه.

3- معرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن: وهذا يعين على فهم الآيات التي فيها الإشارة إلى أعمالهم والرد عليهم.

4- معرفة عادات العرب: فإن في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي لها صلة بعاداتهم.

5- قوة الفهم والإدراك وجودة الذهن: وهذا فضل يؤتيه الله من يشاء من عباده، وكثير من آيات القرآن الكريم يدق معناه، ويخفى المراد منه، ولا يظهر إلاّ لمن أوتي حظاً وافرا من الفهم ونور البصيرة، وكان عبد الله بن عباس ﷺ صاحب النصيب الأكبر والحظ الأوفر من ذلك، وهذا ببركة دعاء الرسول ﷺ.

ومن ثم الناظر في اجتهادات الصحابة في التفسير يجد أنه تميز باعتمادهم العناصر التي ذكرها آنفا، ونذكر مثال ذلك فيما يلي:

ما جاء في صحيح البخاري عن عبيد بن عمير ﷺ قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ يوما لأصحاب النبي ﷺ، فيما ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾[1]، قالوا: الله أعلم، فغضب عمر ﷺ، فقال: قولوا: نعلم، أو لا نعلم، فقال ابن عباس ﷺ: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يابن أخي، قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس ﷺ: ضربت مثلا لعمل، قال عمر ﷺ، أي عمل؟ قال ابن عباس ﷺ: لعمل، قال عمر ﷺ: لرجل غني يعمل بطاعة الله ﷻ ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله فصرهن قطعهن»[2].

ومثال آخر: قد روي عن أبي الشعثاء أنه قال: قلت لعبد الله بن مسعود ﷺ: يا أبا عبد الرحمن إني أخاف أن أكون قد هلكت؟ قال: فقلت لأني سمعت الله يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ

[1] البقرة: 266.

[2] رواه البخاري، رقم الحديث: 4225، كتاب التفسير، ج17،ص43-44..

نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]، وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء، قال: ليس ذلك الشح الذى ذكره الله تعالى في القرآن، ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلما، ولكن ذلك البخل، وبئش الشيء البخل[2].

والجدير بالذكر هنا ما قاله الدكتور محمد الزحيلي: أن أول ماظهر في التفسير بالاجتهاد والاسنباط هو قول أبي بكر الصديق ﷺ عندما سئل عن الكلالة في قوله ﷻ: «ومن كان رجل يورث كلالة: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾[3] فقال : «أقول برأيي، ما عدا الوالد والولد»[4].

ومما ينبغي التنبيه، أن اجتهاد الصحابة ﷺ كان معتمدا على الفهم العميق للقرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ وملاحظاتهم الدقيقة للعلاقة القائمة بين النصوص ومدى موافقة لواقع، وبمراعة إدراكهم لمقاصد الشارع الحكيم وخصائص ومزايا التشريع الإسلامي[5]، ولهذا قد تميز اجتهادهم -في التفسير وغيره-عن من جاء بعدهم.

ولكن إذا نظرنا إلى روايات التفسير عن الصحابة ﷺ عرفنا أن التفسير الاجتهادي منهم قليل، وذلك إنما يرجع إلى قوة الايمان في نفوسهم وقربهم من الرسول ﷺ فيجعلهم ذلك يميلون إلى تحقيق القرآن في نفوسهم عملا قبل أن ينظروا إلى تحقيقة قولا، بالإضافة إلى تحرجهم من أن يقولوا على الله ما ليس مراده، وكذلك فإن حاجتهم كانت إليه أقل من غيرهم.

يجدر بنا التنبيه هنا في شأن مصادر الصحابة في التفسير وذلك أن الدكتور الذهبي زاد مصدرا من مصادر الصحابة في التفسير هو الرجوع إلى أهل الكتاب[6]، ولكن عندي أن هذا لا يعتبر مصدرا وإنما مرجع للاستشهاد، لأن الصحابةﷺ لم يعتمدوا عليه كثيرا، وكذلك كان رجوعهم إلى أهل الكتاب -كما أكد ذلك الذهبي- إنما يأخذون عنهم بعض جزئيات الحوادث

---

[1] الحشر:9.

[2] آرثر جفري : مقدمتان في علوم القرآن،ص 190.

[3] النساء:12.

[4] محمد الزحيلي: مرجع العلوم الاسلامية، القاهرة: دار المعرفة، ط3، 1992، ص161.

[5] عبد الله بدر: تفسير الصحابة، ص176.

[6] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص47.

أو القصص التي عرضت لها كتبهم بتفصيل، وعرض لها القرآن الكريم بإيجاز وإجمال، وكانوا يتعاملون بالأ خبار التي جاءت منهم بالمقياس الدقيق؛ فما كان منه على وفق شرع الإسلام صدقوه وما كان على خلافه كذبوه ورفضوه، وما كان مسكوتا عنه في الشريعة الإسلامية ومترددا بين احتمال الصدق والكذب توقفوا فيه لم يعتمدوه عليه، ولا يحكمون عليه بصدق ولا بكذب مادام يحتمل كلا الأمرين، وهذا امتثالا لقول الرسول ﷺ:﴿لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبواهم﴾[1].

❁ ❁ ❁

[1] محمد حسين الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث، القاهرة : مكتبة وهبة، ط5، 2004، ص55-56، وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1، ص48 ،123 و 124.

المبحث الرابع : خصائص التفسير في هذه المرحلة

في هذا المبحث سأحاول أن أبحث عن خصائص التفسير في عهد الصحابةﷺ، ومما لاشك فيه أن لهذه المرحلة ميزة ومكانة عظيمة في تاريخ التفسير، وذلك من حيث كان المفسرون فيها أعرف الناس بعد النبي ﷺ بالقرآن وتفسيره.

وهنا أود أن أذكر أبرز خصائص تفسيرهم وهي: قلة الاختلاف في تفسيرهم، وصيانتهم من التفسير بالرأي المذموم وخلوص تفسيرهم من الإسرائيليات الواهية.

المطلب الأول: قلة الاختلاف في تفسير الصحابة ﷺ

كما قلنا فيما سبق، أن الصحابة ﷺ هم أقدر الناس بعد النبي ﷺ على فهم القرآن الكريم ومعرفة مراد اللهﷻ، وكانوا في عهد الرسول ﷺ في وحدة المبنى والاتجاه والاستناد في الفهم للقرآن الكريم، إذ لم يكن بينهم في العهد الأول اختلاف، وإنما هي عبارة عن وحدة في النظر والاتجاه والهدف، وكذلك جمعت طوائف الصحابةﷺ على خط مستو مستقيم، فلم تكن ثمة داعية لنشوء الاختلاف والتضارب في الآراء، ولا سيما والرسول ﷺ بين أيديهم أرشدهم على التزام سبيل الرشاد والأخوة، فهم أحسن وأقوى الناس التزاما على خطى الحبيبﷺ.

بعد وفاة النبي ﷺ، استمسك الصحابةﷺ بمنهج النبيﷺ في التفسير، فكانوا يرجعون إلى القرآن ثم إلى السنة فإن لم يجدوا تفسيرا اجتهدوا بما أوتوا من علوم اللغة.

وقلنا إن مستلزمات الزمان والأحوال وعدم تفسير النبي ﷺ لكل القرآن تدعوهم بالأخذ بالمنهج الاجتهادي في التفسير مع مراعة الاعتماد بمنهج الرسول ﷺ، فهنا وقع الاختلاف، والناظر في التفاسير يقف على آراء مختلفة لعدة صحابة ﷺ في بعض الآيات[1].

قال الدكتور عبد القادر محمد صالح: «صحيح أن الصحابة الكرام اشتهروا على العموم بالخيرية المطلقة، خيرية الاستقامة على الدين بالعمل، والخيرية في الفهم الدين، بيد أن الباحث في تاريخ الصحابةﷺ يجد تفاوتا بين هذا الصحابي وذاك في الفهم لمعاني القرآن، بل قد يكون هذا النص غامضا وتلك الكلمة من النص غامضة يغيب عنها معناهاوفهمها ويبين أحدهم له»[2].

---

[1] محمد عبدالرحيم: تفسير الصحابة،ص32.

[2] عبد القادر محمد صالح : التفسير والمفسرون في العصر الحديث، بيروت: دار المعرفة، د.ط،2003،ص84

ونلاحظ أن مما تميز به التفسير في عهد الصحابة ﷺ أن خلافهم فيه قليل، واختلافهم في الأحكام أكثر منه في التفسير[1]، وأكد بعض العلماء على أن الخلاف بين الصحابة ﷺ في تفسير القرآن قليل جدا[2]، يقول الدكتور موسى شاهين لا شين: التفسير في عهد الصحابة ﷺ تميز بأن الاختلاف بين تفاسير الصحابة قليل[3]، كما أن ظهور المذاهب الفقهية والفرق الكلامية لم يكن في عصرهم ليؤثر فيهم، ولذا لم يكن الاختلاف بينهم فيه ينشأ عن هوى في النفس أو تأييد لمذهب[4].

ويرجع سبب اختلافهم وإن كان قليلا لأسباب منها:

أولاً: التفاوت بين الصحابة ﷺ في مداركهم وعقولهم

كما أنه من المعلوم، أن الله ﷻ وهب القدرة للانسان في ادراك المعرفة أو القوة العقلية المختلفة و لم تكن على مستوى واحد، وهذا من سننه ﷻ يختص به من يشاء من عباده[5]، ومن هذه القدرة هو الفهم أو ادراك لمعاني القرآن الكريم، وهذا يتيسر لبعض الناس دون البعض الآخر.

وأصحاب النبي ﷺ كانوا يشتركون في قدر من العلم بالقرآن، إلا أن بعضهم كان يفوق بعضًا في ذلك، و لم يكونوا على درجة واحدة من الفهم والفقه فيما بينهم للقرآن الكريم، ففيهم المكثر للتفسير والرواية وفيهم المقل، فابن عباس ﷺ -مثلا- ببركة الدعاء النبي ﷺ[6]، وهذا من موهبة الله تعالى بدعائه ﷺ، فهو ﷺ أحسنهم معرفة بالتفسير، ولذا اختلاف الادراك ومستوى العلم يؤدي إلى اختلاف في الأحكام المستنبطة[7].

---

[1] محمد علي الحسن: المنار في علوم القرآن، ص159، انظر ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير،ص17.

[2] السيوطي : الإتقان،ج2، ص500، انظر الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1،ص98، وانظر محمد عبد الرحيم: تفسير الصحابة،ص32، وانظر ابراهيم عبد الرحمن خليفة: دراسات في مناهج المفسرين، ص278.

[3] موسى شاهين لا شين: للآلئ الحسان في علوم القرآن، ص303.

[4] انظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص98، وانظر محمد حجازي : التعريف بالتفسير ومنهج رجاله، ص175، انظر محمد عبد الرحيم : تفسير الصحابة، ص39.

[5] محي الدين بلتاجي: دراسات في التفسير وأصوله، ص19.

[6] محمد على الحسن: المنار في علوم القرآن، ص142.

[7] محمد حجازي: التعريف بالتفسير ومنهج رجاله،ج1، ص174.

فمثال للاختلاف بسبب لتفاوتهم في إدراك معاني القرآن الكريم هو ما أخرجه الإمام البخاري عن ابن عباس ﷺ يقول:« كان عمر بن الخطاب ﷺ يدخلني مع أشياخ البدر، فكأنما بعضهم وجد في نفسه فقالوا: لما يدخل هذا معنا وإن لنا أبناء مثله؟» فقال عمرﷺ: إنه ممن علمتم-أي إنه من عرفتم ذكاءه وعلمه-فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم فما رأيت أن دعاني فيهم يومئذ إلا ليريهم، فقال عمر ﷺ: ما تقولون في قول الله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[1]، حتى ختم السورة، فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ﷻ ونستغفره إذا فتح علينا، وسكت بعضهم، فقال عمرﷺ لابن عباسﷺ : أكذلك تقول يابن عباس؟ قال: لا، قال: فما تقول؟ قال :هو أجل رسول الله ﷺ، أعلمه الله له قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾: فتح مكة ، فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك ، واستغفره إنه كان توابا﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾، قال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول[2]».

وهذا مما يدل أن درجة ابن عباس ﷺ في فهم القرآن ليست كغيره من الصحابةﷺ، وقد اعترف به عمر بن الخطاب ﷺ.

ثانيًا: اختلافهم تبعا لاختلاف حظهم من وسائل المعرفة للقرآن الكريم

وأقصد بوسائل الفهم للقرآن الكريم كمعرفة اللغة العربية وأسباب نزول الآيات والتواريخ والأحداث التي تتعلق بالقرآن ومن أداوات لتفسيره وفهمه، ومما لا ريب فيه أنه كان من الصحابة ﷺ من تفرغ للتعلم والمجالسة في المدرسة النبوية الشريفة، فكان منهم واسع الاطلاع في الفقه، والقرآن وتفسيره ومنهم من هو دون ذلك، وأكّد على ذلك الدكتور الذهبي[3] : أن الصحابة ﷺ كانوا يتفاوتون في القدرة على فهم القرآن وبيان معانيه المرادة منه، وذلك راجع إلى اختلافهم في إدراك أدوات الفهم.

[1] النصر:1.

[2] رواه البخاري، رقم الحديث 4652، كتاب التفسير، ج18،ص214.

[3] الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1، ص46.

وكذلك نتيجة لتفاوتهم في معرفة الظروف التي أحاطت بنزول القرآن، وأيضا لتفاوتهم في العلم بمفردات اللغة كلها لاختلاف لهجات القبائل الموجودة في الجزيرة العربية الواسعة[1].

ومن ثم فالمفسرون من الصحابةﷺ كابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب و علي بن أبي طالب ﷺ ليسوا كغيرهم من الصحابة ﷺ في معرفتهم لأداوت فهم القرآن كأسباب النزول ومعرفة اللغة العربية ووسائل أخرى، فالتفاوت في ادراك وسائل فهم القرآن هذه يستلزم في التفاوت في فهم أو تفسير القرآن الكريم، ولذا فقد تكون الآية مشكلة على قوم وليست مشكلة على غيرهم[2].

مثال ذلك ما روي أن عمر بن الخطاب ﷺلم يكن يعرف معنى الأب؟ ثم رفع عصا كانت بيده، وقال: هذا لعمر والله التكلف وما عليك يابن أم عمر ألا تدري ماالأب؟، ثم قال: اتبعوا مابين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه»[3].

أما النتيجة الثانية لقلة الاختلاف بين الصحابة ﷺ في التفسير يرجع إلى أوجه هذا الاختلاف،كما قال ابن تيمية في كتابه مقدمة في أصول التفسير: إنما خلافهم هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد[4].

وأما أوجه هذا الخلاف فهي فيما يلي:

أ. أن يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى اللآخر مع اتحاد المسمى، كتفسير ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾[5] بعضهم يفسر بالقرآن ومنهم من يفسر بالاسلام، فالقولان متفقان لأن دين الاسلام هو اتباع القرآن ولكن كل منهما نبه على وصف غير الصف الآخر.

---

[1] يوسوف خليف: دراسات في القرآن والحديث، القاهرة : مكتبة الغريب، د.ط، د.ت، ص113.

[2] عبد الله بن حمد المنصور: مشكل القرآن الكريم، دار ابن الجوزي: المملكة العربية السعودية، ط1، 1426هـ، ص93، وانظر عبد القادر محمد صالح :التفسير والمفسرون في العصر الحديث، ص84.

[3] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص223.

[4] ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير،ص17.

[5] الفاتحة: 6.

ب.أن يذكر كل منهما من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه، مثاله في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾[1] كان تفسير كل منهم في الاتفاق على مفهوم الآية، ولكن كل واحد منهم يذكر هذا في نوع من أنواع الطاعات كقوله القائل "الظالم بنفسه": من يصلى بعد فواته، أو يقول "سابق": المحسن بالصدقة مع الزكاة، و"المقتصد": الذي يؤدي الزكاة المفروضة فقط، وهذا «الخلاف في ذكر المثال لا يؤدى إلى التباين والتناقض بين الأقوال»[2]، وهو الغالب في تفسير الصحابة الذى يظن أنه من نوع الاختلاف[3].

ج. ومن صور الخلاف أن يكون اللفظ محتملا لأمرين أو لأمور، مثال ذلك في لفظ "الفجر" عند قوله ﷻ: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝﴾[4]، فقد قال علي وابن عباس وابن الزبير ﷺ :"الفجر": انفجار الظلمة عن النهار كل يوم، وفي قول آخر لابن عباس:"الفجر" هو النهار كله، عبر عنه بالفجر لأنه أوله، وفي قول لقتادة عن ابن عباس:"الفجر"، هو فجر يوم محرم تنفجر منه السنة[5].

د. أن يعبر عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة،كقول بعضهم في تفسير ﴿تُبْسَلَ﴾، في قوله ﷻ: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾[6]، معناه : تحبس، وقول آخر معناه : ترتهن، لم يكن من اختلاف تضاد وإن كان الحبوس قد يكون مرتهنا، وقد لايكون، إذ هذا تقريب للمعنى[7].

---

[1] فاطر:32.

[2] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص100.

[3] السيوطي : الإتقان،ج2،ص501، ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير، ص17.

[4] الفجر:1-2.

[5] القرطبي: الجامع لأحكان القرآن،ج20،ص38 فما بعدها.

[6] الأنعام:70.

[7] انظر تفصيلا الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1، ص98-101، وانظر محمد عبد الرحيم: تفسير الصحابة،ص33-37، وانظر إبراهيم خليفة: دراسات في مناهج المفسرين، ص278-285.

٥. وقد أضاف السيوطي في كتابه الإتقان-من أوجه الخلاف التي قالها ابن تيمية-وهي أن يرد منهم تفسيران مختلفان في الآية الواحدة يرجع كل واحد منهما إلى قراءة غير قراءة صاحبه[1]، وهذا ليس باختلاف، ومثال ذلك مأخرجه ابن جرير الطبري عن ابن عباس ﷺ وغيره من طرق عدة في قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾[2]، إن معنى سكرت:سدت، من طريق أخرى عنه: أن سكرت يعنى سدت، ومن قرأ "سكرت" مخففة، فإنه يعنى سحرت[3].

وأضيف هنا مما يدل على قلة الاختلاف بينهم، فهم قطعوا أي سبيل للاختلاف، فكانوا يبتعدون عن الخوض في تفسير الآيات التي لها اتصال بالصراع السياسي والخلافات في أوجه تفسير القرآن.

ومثال ذلك أن علي بن أبي طالب ﷺ قال لابن عباس ﷺ -حين أرسله إلى الخوارج- «إذهب إليهم فخاصمهم ولاتحاجهم بالقرآن (أي بتفسيره) فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة»، فرد عليه ابن عباس ﷺ قائلا:«يا أمير المؤمنين، فأنا أعلم بكتاب الله منهم، في بيوتنا نزل»، قال: «صدقت، ولكن القرآن حمال ذو وجوه، تقول وسقولون، ولكن خاصمهم بالسنن، فإنهم لن يجدوا عنها محيص»[4].

فمن هنا يتضح لنا كيف كان اختلاف في تفسير الصحابة قليل وغالب مايصح عنهم يرجع إلى اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، وأراه من خصائص هذا العهد، والذي لم يكن في أجيال بعدهم.

المطلب الثاني: خلوصه من التفسير بالرأي المذموم

لقد تبين لنا فيما سبق، أن الصحابة ﷺ لهم الفضل والميزات في تفسير القرآن من حيث أنهم عاشوا بالقرآن وبيان معانيه من المترل به والمفسر الأول له وهو الرسول ﷺ، ومن حيث أن

[1] إبراهيم خليفة :دراسات في مناج المفسرين،ص285.

[2] الحجر: 15.

[3] انظر تفصيلا الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1، 98-102، وانظر ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير، ص17-28.

[4] السيوطي: الإتقان،ج1،ص145، عبد الله بدر: تفسير الصحابة،ص55.

لهم القدرة العلمية وإيمانهم الصادق وعملهم الصالح، كانوا «جيلا قرآنيا فريدا من حيث حياتهم مع القرآن والرسول معه»[1].

وأن الرسول ﷺ لم يفسر كل القرآن، وفي عهدهم اعتمدوا كثيرا على المأثور من النبيﷺ، ولكن إذا حصر الصحابة ﷺ في تفسيرهم بما جاء من رسول الله ﷺ ماحصلوا إلا بعض الآيات من القرآن، وكانت الحاجة إلى التفسير تزداد حسب مستلزمات الزمان والأحوال، ومن هنا بدأوا بالتفسير من عند أنفسهم، بالرأي والاجتهاد مستعينين بذلك على معرفتهم بما علمهم النبيﷺ والقرائن المتعلقة بالقرآن وتفسيره كأسباب النزول واللغة العربية، وهنا جاء دور التفسير الاجتهادي في عهد الصحابةﷺ.

وبالجملة، يمكن القول أن التفسير بالاجتهاد أو التفسير بالرأي[2] كان نشأته إلى جانب نشأة التفسير بالمأثور[3]، وهو يرجع لعهد الصحابة ﷺ، يقول الدكتور محي الدين بلتاجي[4] : أن تفسير الصحابة ﷺ الذي صدر من عند أنفسهم يعتبر تفسيرا بالرأي، وبالتحديد : «التفسير بالرأي أحد الاتجاهات المبكرة في حياة التفسير القرآني وهو يرجع إلى عصر الصحابة ﷺ»، ولكن كان في مجال ضيق جدا، مقتصر فيما يسمع أحدهم تفسيره من النبي ﷺ[5].

ومن المعلوم، أن العلماء قد قسموا تفسير بالرأي المحمود وتفسير بالرأي المذموم[6]، واقتُصرَ في التفسير بالرأي المحمود على العلوم اللغوية والقواعد الشرعية ومعرفة أدوات فهم القرآن مثل أسباب النزول الناسخ والمنسوخ[7].

---

[1] فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي : اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3،1997،ج1، ص8.

[2] وهذا كما عبره الذهبي : يطلق على التفسير بالاجتهاد التفسير بالرأي، انظر التفسير والمفسرون، ج1، ص183، وهنا لا أذكر اختلاف العلماء في حكم على التفسير بالرأي، خشية إطالة البحث ليس في موضوع بحثي، وكذلك قد تكلم كثيرا هذا الموضوع أصحاب مؤلفات كتب التفسير وعلوم القرآن.

[3] صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن،ص121.

[4] محي الدين بلتاجي: دراسات في التفسير وأصوله، ص103.

[5] محمد حوّا: التفسير ورجاله، ص41.

[6] انظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1، ص189.

[7] المرجع نفسه،ج1، ص183، وانظر محمد حوّا : التفسير ورجاله، ص 40.

والشيء الذى أود أن ألفت النظر إليه هو التفسير بالمذموم، وذلك حتى أصل إلى نتيجة:"خلوص الصحابة ﷺ من التفسير بالرأي المذموم"، وهو –في رأيي- من خصائص التفسير في عصرهم.

وقبل أن نصل إلى هذه النتيجة، فمن المستحسن أذكر مضمون مفهوم التفسير المذموم هو الاستبداد بالرأي غير المستند إلى ركن وثيق في التفسير –الاعتماد إلى القرآن والسنة النبوية وأسباب النزول واللغة العربية قبل الاعتماد بالرأي-، وذلك بالتعصب الأعمى أو التلبيس في الأمر أو عدم قصد الوصول إلى الصواب.

وأذكر هنا أقوال بعض علماء التفسير أو الدارسين في القرآن وعلومه عنه:

1. «إذا كان المفسر له الحديث والقرآن ويفسر الآية من القرآن بهما فليس له أن يعدل عنهما إلى الرأى والاجتهاد، لأن مثل هذا الموقف مذموم ومردود على صاحبه»[1]، وقيل: أن تفسير الفرق الاسلامية المتعصبة من هذا النوع لأن أصحابها يفسرون الآيات لتأييد أهوائهم[2].

2. «أو يخوض فيما استأثر الله بعلمه، ويجزم بأن المراد من كلام الله كذا وكذا»[3]، أو الانتصار لمذاويقهم وفكرهم، ومن ذلك تفاسير المعتزلة والمتصوفة والباطنية[4]، كما قال الدكتور الذهبي: هو «الذي خرج عن قانون اللغة وتخط حدود الشريعة المحاولة منهم لنصرة المذهب والدفاع عن عقيدة الفرقة بكل وسيلة وحيلة» [5]، وقيل: هو تفسير من غير تأهيل له بالعلوم التي لابد منها للمفسر، أو التفسير الهوى، أو التفسير المتسصف أي المنحرف والمقصود به تأييد مذهب فاسد ورأي باطل، أوتفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، وهذا اللون من التفسير كثيرا مايشتمل على المرويات الواهية الفاسدة[6].

والجدير بالذكر هنا تقسيم الدكتور إبراهيم خليفة للدخيل في التفسير وهو في ضوء معنى التفسير بالرأي المذموم، ويقول : «أن الدخيل أي الخطأ في الرأي في التفسير منشأته الفهم

---

[1] محمد حسين الذهبي: الوحي والقرآن الكريم، القاهرة : مكتبة وهبة، ط1، 1986، ص152.

[2] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج2، ص709.

[3] علي الصابوني: التبيان فى علوم القرآن، ص155.

[4] صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن، ص294

[5] الذهبي: التفسير المفسرون، ج1، ص258.

[6] أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص82،بتصرف يسير، محمد حرّا: التفسير ورجاله، ص40.

الخاطىء الناتج عن نقص في بعض أدوات أو شروط الاجتهاد، كتحريف المنقول، والجمود عند الظاهر مع طرح المعقول، التفلسف المنقطع في استبطان المعاني، التعسف في استعراض اللغوية أو الإعرابية، أو إبراز المتكلف والغريب من أوجه الإعجاز، أو الالحاد في آيات الله، والكيد للإسلام»[1]، وقيل التفسير المذموم المردود هوالتفسير من غير تأهل بالعلوم التي لابد منها للمفسر، أو التفسير بالهوى والاستحسان، أو التفسير المقصود به تأييد المذهب الفاسد، والرأي الباطل، أو التفسير المتشابه الذى لا يعلمه إلا الله، وهذا اللون من التفسير كثيرا مايشتمل على المرويات الواهية والباطلة»[2]، ومن ضمن التفاسير المذمومة، التفسير بالهوى الذى لا يستند ولا يرجع إلى كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ أو فقه اللغة[3].

وبعد ذكر بعض الآراء في التفسير بالرأي المذموم، نجد أنه يرجع لسببين:

1. ضعف القدرة على الخوض فيه لنقص في العلوم وأدواته.
2. دخول الهوى والتعصب فينحرف الغرض من التفسير.

فأولها، يعتبر من التفسير بالرأي المذموم إذا كان المفسر ليس له القدرة الكافية من وسائل فهم القرآن كعلوم اللغة العربية، وأسباب النزول، أو لديه هذه القدرة المعرفية ولكن يستعملها بما لا يناسب التفسير.

وأما ثانيها، فهو غرض المفسر من تفسيره أن يكون ليس لوجه الله أو لاستظهار الحق من القرآن لكن لنصرة المذهب أو لأغرض الدنيوية.

هذا التعريف للتفسير بالرأي المذموم، وإذا قرنّاه مع روايات التفسير عن الصحابة ﷺ نجد أن تفسيرهم بعيد كل البعد عن هذا النوع من التفسير، ومما يدل على ذلك مما يلى:

1. اعتمادهم على المأثور من التفسير عن النبي ﷺ، وإذا لم يجدوا منه ﷺ فكان يستنبطون من الآيات أي تفسير القرآن بالقرآن، ويعتمدون في ذلك على قوة فهمهم وسعة معرفتهم وإدراكهم، وعلى معرفتهم بأوضاع اللغة وأسرارها، وأحوال الناس وعاداتهم في جزيرة العرب[4]، وبجانب ذلك كان الصحابة ﷺ على منهج النبي ﷺ بأن يفسروا على قدر الحاجة، وهم

[1] إبراهيم عبد الرحمن خليفة : الدخيل في التفسير، د.ن،د.ط، د.ت، ج1، ص39.

[2] أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص82.

[3] مصطفى محمد الحديدي الطير : اتجاهات الفسير في العصر الحديث، بيروت: منشورات المكتبة العربية، د.ت، د.ط، ص9.

[4] لطفى الصباغ : لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص201.

يقتصرون في تفسير الآية على توضيح المعنى اللغوى الذى فهموه من الآية، مثل قولهم: ﴿غير متجانف لإثم﴾[1]، أي غير متعرض لمعصية[2]، وهذا من باب الابتعاد عن التفسير المذموم، وذلك لأن إطالة الكلام في التفسير قد يوقع في المذموم من التفسير، هنا يقول الزرقاني: إذا كان الاجتهاد موفقا أي مستندا إلى مايجب الاستناد إليه بعيدا عن الجهالة والضلالة فالتفسير محمود وإلا مذموم[3].

2. أن إيمانهم الصافى والصادق وتحرجهم لتفسير القرآن خشية أن لا يكون صوابا، هذا كان يمنعهم من التفسير بغير علم أو التفسير بالرأي المذموم، وكان التهيب من التفسير يرجع إلى تلك الأحاديث النبوية الشريفة التى تحرم تحريما قاطعا تفسير القرآن بمجرد الرأي أو بغير علم، ومن ذلك قوله ﷺ:«من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»[4]، ومن ثم كان كثير منهم يمتنع متحرجا من التفسير خشية من أن لا يوافق الحق فيه[5].

وفي هذا الصدد يقول صاحب مقدمة كتاب المبنى فى نظام المعانى:«فالذى يتضح صيانة الصحابة ﷺ من التفسير بالرأي المذموم، أن المانع هنا إنما هو الايمان القوى الذى يملأ النفس الهيبة، فتستشعر العجز أمام بيان القصد من النص القرآني، فيكون التوقف عن التفسير هو المأمن من الوقوع في الخطأ، يقول بعض العلماء: وأما الذين كانوا يعظمون القرآن ويتوقفون عنه من السلف، فقد كان ذلك تورعا منهم، واحتياطا لأنفسهم مع ادراكهم، وتفقههم»[6].

ومن الأدلة على أنهم حرصوا أن لا يتكلموا في القرآن إلا ماجاء عن النبي ﷺ وبعيدا عن التفسير بالرأي، كما ذكره القرطبي في تفسيره لقوله ﷻ:﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾[7]، «قال إبراهيم التيميّ: سئل أبو بكر الصديق ﷺ عن تفسير الفاكهة والأب، فقال: أي سماء تظلني وأي أرض

---

[1] المائدة: 3.

[2] أحمد أمين : فجر الإسلام، بيروت: دار الكتاب العربي، ط11، 1975،ص206.

[3] الزرقاني:مناهل العرفان،ج1، ص36.

[4] الترمذي، رقم الحديث: 2950، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، ج5،ص199، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

[5] فهد الرومي : اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر،ج1، ص28.

[6] مقدمة كتاب المباني في نظم المعاني، ص262، نقلا عن الشحات زغلول: من مناهج التفسير،ص 78.

[7] عبس: 31.

تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم، وقال أنس سمعت عمر بن الخطاب ﷺ قرأ هذه الآية، ثم قال: كل هذا قد عرفناه فما الأب؟، ثم رفع عصا كانت بيده، وقال: هذا لعمر الله التكلف وما عليك يابن أم عمر ألا تدري ماالأب؟، ثم قال: اتبعوا مابين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه»[1]، ولهذا قال ابن تيمية بعد أن ذكر أقوال الأئمة في التحرج من التفسير بالرأي: أن الصحابةﷺ يتحرجون في أن يفسر القرآن بغير علم[2]، ويقول الزركشي: أن مقصود قول أبي بكرﷺ يعني عندما كان الرأي الذي لا يسنده برهان فهو لا يجوز[3].

وهذا معناه، أن التفسير الذي لم تجتمع فيه أدوات فهم القرآن التي يستعان بها في ذلك فيعد التفسير تخمينا وظنا والذى لا دليل عليه، بل هو تخرص وتخمين، فهذا الذى أعاذ الله الصديق وغيره من الصحابة[4].

3. وكان هدف الصحابة ﷺ من تفسير القرآن هو الوصول إلي الحق والحكم الصحيح ولخدمة القرآن ودين الإسلام ونشر الدعوة الإسلامية، ولذلك إذا تبين لأحدهم خطأ في اجتهاده، كان يسارع إلى نبذ رأيه والانضمام إلي رأى غيره من الصحابة ﷺ[5].

ومن ثمّ كان الصحابة ﷺ حريصون على أن لا يتحدث أحدهم في التفسير إلا أن يغلب على ظنه الصواب فيه، ومثاله ما أخرجه الطبري في تفسيره: أن رجلا سأل ابن عباسﷺ عن ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[6]، فقال له ابن عباسﷺ: فما ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، فقال رجل: إنما سألتك لتحدثني، فقال ابن عباسﷺ : هما يومان ذكرهما في كتابه، الله أعلم بهما، فكره أن يقول في كتاب الله ما لم يعلم[7].

ومحصل القول، أن هدف الصحابة ﷺ كان خالصا إلى معرفة وجه الصواب وليس إلا لغرض الوصول إلى الحق، وهذا من جانب، ومن جانب آخر رغم أن جرت بذور الخلاف

---

[1] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص223.

[2] ابن تيمية : مقدمة في أصول التفسير، ص114، عبد الله بدر: تفسير الصحابة، ص103.

[3] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص162.

[4] انظر ابن قيم: أعلام الموقعين عن رب العالمين،ج1،ص68.

[5] محمد حجازي: التعريف بالتفسير ومنهج رجاله،ج1، ص175.

[6] السجدة : 5.

[7] ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير،ص71.

السياسي بعد مقتل عثمان بن عفان[1] ولكنها تبقى في السياسة و لم تتصل بالتفسير ولذا كان تفسيرهم بعيدا عن الوجه المذموم.

ومن أبرز الأمثلة على ابتعاد الصحابة ﷺ عن التفسير السياسي والمذهبي هو ماروواه الإمام البخاري من أن رجلا قال لابن عمر ﷺ : يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع ماذكر الله في كتابه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[2]، فما يمنعك أن لا تقاتل كماذكر الله في كتابه؟ فقال ابن عمر:"ياابن أخي أغتر بهذه الآية ولا أقاتل أحب من أغتر بهذه الآية التي يقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا[3]﴾، فلم يقنع الرجل، وقال:فإن الله يقول: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[4]، فقال ابن عمر:قد فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام قليلا، فكان الرجل يفتن في دينه، إما يقتلوه وأما يوثقوه، حتى كثر الإسلام، فلم تكن فتنة، فلما رأى الرجل أنه لم يظفر ببغيته في تفسير سياسي أو مذهبي لهذه الآيات ينتزعه من ابن عباس ثم يصيح به،كشف عن خبيئة نفسه صراحة،فقال:"فما قولك في علي وعثمان؟[5].

في هذا الصدد يقول الدكتور الذهبي: أن التفسير في هذا العهد قد تميز بعدم تجاوزه دائرة الرأي المحمود إلى دائرة الرأي المذموم والذي يتفق مع قواعد الشرع[6]، وكذلك أرى أنهم ﷺ قاموا بنشاط فكري رائع بخدمة كتاب الله تعالى فيما يتعلق بالتفسير وابتعدوا عن الخوض في التفسير السياسي والمذهبي، وهذا بما توفر لهم من ملكة اللسان والوقوف على مشاهد نزول الوحي وأسبابه في التفسير، وبطبيعة الحال فتفسيرهم بعيد عن الانحراف المذموم في فهم القرآن الكريم، بيد يرجع إلى الروعة الدينية التي كانت لهذا العهد، والمستوى العقلي الرفيع لأهله،

---

[1] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1، ص259 بتصرف.

[2] الحجرات:9

[3] النساء:93.

[4] الأنفال:39.

[5] رواه البخاري، رقم الحديث: 4335، كتاب التفسير،ج17،ص124.

[6] الذهبي: التفسير المفسرون، ج1، ص258.

وتحدد حاجات حياتهم العلمية ثم شعورهم بأن التفسير ليس إلا شهادة على الله ﷻ[1]، وقال صاحب كتاب "فجر الاسلام": ولذلك ليس هناك من التفسير عن هؤلاء انتصارا لمذهب ديني[2].

المطلب الثالث: خلوصه من الإسرائيليات الواهية

قبل أن أبدأ بالبحث عن خلوص تفسير الصحابة ﷺ من الإسرائيليات الواهية، فمن المستحسن أن أذكر مفهوم الإسرائيليات.

فهي كلمة جمع مفردها إسرائيلية، وهي تعنى قصة أوحادثة تروى عن مصدر إسرائيلي، والنسبة فيها إلى إسرائيل وهو اسم يطلق على يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الإثنى عشر عليهم السلام، أما كلمة بنو إسرائيل يقصد بها أبناء يعقوب ومن تناسلوا منهم فيما بعد حتى موسى عليه السلام ومن جاء بعده من الأنبياء حتى عهد عيسى عليه السلام وحتى عهد النبي ﷺ.

وقد ورد ذكرهم في القرآن منسوبين إليه في مواضع كثيرة، ومنها قوله ﷻ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ[3]﴾[4].

ويقول صاحب التفسير والمفسرون: لفظ الإسرائيليات يختص بالذكر والمشهور بها مع أن دلالتة بظاهرها على اللون اليهودى للتفسير، فهو من باب التغليب للجانب اليهودى على جانب النصراني، لأن في ذلك الوقت أي في عهد ظهور وانتشار الإسلام كان اليهود أكثر انتشارا وظهورا وشدة الاختلاطلهم بالمسلمين وكانت الثقافة اليهودية من أثرها ظاهر في الناس[5].

---

[1] المرجع نفسه،ج1،ص112.

[2] أحمد أمين: فجر الإسلام، ص206.

[3] المائدة:78.

[4] الذهبي :الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص13، أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص12.

[5] الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1، ص121، وانظر الذهبي : الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص13.

وفي هذا الصدد، أؤيد رأي الدكتور إبراهيم خليفة إذ يقول منتقدا على رأي الدكتور الذهبي[1] أن إطلاق هذا اللفظ –الإسرائيليات– إنما هو من باب التغليب على جميع الثقافة الدينية اليهودية والنصرانية، وليست من باب للتغليب الثقافة اليهودية على النصرانية كما زعم الدكتور الذهبي، وهذا لأن الثقافة اليهودية والنصرانية لا فرق باستثناء الكفر بعيسى عليه السلام وشريعته طبعا هي بالضرورة ثقافة نصرانية، كذلك يدين بها النصارى تماما كما تدين يهود»، وكذلك أن كلمة "بني إسرائيل" إنما تشمل اليهود والنصارى، لم يخصها اليهود فحسب، لأن عيسى عليه السلام مرسل إلى بني إسرائيل كما أرسل موسى عليه السلام إليهم كما ورد ذلك في القرآن، قال عز وجل: ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[2]، وكذلك فهناك كثير من الإسرائيليات من طائفة النصارى من كمثل عن نسب مريم مفصلا ومكان مولد عيسى عليه السلام وغير ذلك[3].

وعلماء التفسير والحديث يطلقون لفظ الإسرائيليات على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودي فهو في اصطلاحهم يدل على كل ماتطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة متسوية في أصل رواياتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما[4]، وبالجملة أقول: الإسرائيليات هي الأخبار المنقولة عن أهل الكتاب.

والجدير بالذكر، أن شبه الجزيرة العربية عرفت اليهودية قبل الإسلام، فكانت اليمن يهودية، كما كان تهودت خيبر وقريظة والنضير، كما عرفت المسيحية فكانت شائعة في الشمال وفي إمارة الغساسنة، وبين أكثر سكان مدينة الحيرة»[5].

فلما جاء الإسلام كان بعض أهل الكتاب، بل جماعة من علماء أهل الكتاب وعدد كثير من مشركي العرب الذين لقنوا علومهم من علماء اليهود كانوا أسلموا وعاشوا مع أصحاب النبي ﷺ، وكان منهم –بعد إسلامهم– «من لم تتغير معارفهم فيما يرجع إلى الأخبار والمواعظ

---

[1] وكذلك على رأي الذهبي هو محمد بن محمد أبو شهبة، انظر كتابه: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص12.

[2] آل عمران: 49.

[3] إبراهيم خليفة: دراسات في مناهج المفسرين، ص319-324، بتصرف.

[4] الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص13، وانظر أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص12-13.

[5] الشحات زغلول: من مناهج التفسير، ص213.

التي لم يتوقف القول فيها على النص من النبي ﷺ»[1]، وأن من آيات ماتضمنها القرآن كذلك وُجدت في التوراة والإنجيل، وقد جائت فيهما مفصلا من القرآن، ومن هذا التقرير كان بعض الصحابة ﷺ يرجعون أو يسألون إلى من أسلم من أهل الكتاب عن معانى أو لزيادة معلومة ما عرفهم من القرآن[2]، ولتوضيح ذلك أذكر ماقاله الدكتور محي الدين بلتاجي: «أن القرآن وهو يعرض لأحوالهم كان يلتزم الإيجاز دون التفصيل لأن القصص القرآني لم يكن من غايته التاريخ لهم، بينما الكتب السابقة مثل التوراة والانجيل كانت تفصل في هذه الأمور وبخاصة التوراة فلم تترك شاردة ولا واردة إلا ذكرتها،حتى ليظن القارئ لها أن التاريخ لأحداث إحدى غايتها الأولى»[3].

ومن هنا، رأى بعض العلماء أن الصحابة ﷺ قد تسربت إليهم من أهل الكتاب بعض الإسرائيليات في فهمهم للقرآن الكريم، وأضاف ابن خلدون في "مقدمته": من أسباب رجوع الصحابة ﷺ إلي أهل الكتاب : «أن العرب لم يكونوا أهل الكتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات، وبدء الخليقة وأسرار الوجود وغير ذلك، فإنما يسئلون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفتون منه، وكذلك كان أهل التوراة بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ماتعرفه العامة من أهل الكتاب ومعظمهم من "حمير" الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ماكان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها»[4].

ومن ثم يجد المتأمل في سيرة الصحابة ﷺ أو مرروياتهم في التفسير ثبوت رجوع بعض الصحابة ﷺ إلى بعض من أسلم من أهل الكتاب، يسألونهم عن بعض ماجاء فى كتبهم،كأبى هريرة، وابن عباس، وابن مسعود وغيرهم[5].

والشيء الذى أود أن ألفت النظر إليه هو أنه رغم رجوع بعض الصحابة ﷺ إلى أهل الكتاب ولكن كان قد تلقوه في حرص وحذاقة، ولهذه ماتسربت إلي تفاسيرهم من أباطيل

---

[1] المرجع نفسه،ص217.

[2] انظر الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص55-56، وانظر التفسير والمفسرون،ج1، ص123-124

[3] محي الدين بلتاجي: دراسات في التفسير وأصوله، ص21.

[4] ابن خلدون: المقدمة، ص490-491، الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص25.

[5] ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير،ص26، انظر الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص45.

الإسرائيليات أو الإسرائيليات الواهية، وهذه الظاهرة في نظري من خصائص التفسير في هـذا العهد، لأن كان مراحل التفسير من بعدهم وجدت واختلطت كثيرا بأقاصيص الإسـرائيليات الواهية، ومن ثم يمكننا نقول أن من خصائص هذا العهد أنه محصون من الإسرائيليات الواهيـة، وأما دليل على ذلك فهي فيما يلى:

1. اعتماد الصحابة ﷺ بأوامر النبي ﷺ واهتداءهم بهديه ﷺ.

وذلك كما عرفنا من أن الصحابة ﷺ كانوا هم أكثر وأحرص الناس في امتثال أوامـر رسول الله وتوجيهاته، وبخاصة ما كان يرجع من ذلك إلي أمر دينهم، وكان من ضمن أوامـر الرسول ﷺ إرشاداته في أخذ عن غيرهم من الأمم.

وإذا فتحنا كتب السنة وجدنا أن هناك أحاديث الداعية إلى عدم تصديق وسؤال أهـل الكتاب، ومنها: ماأخرجه الإمام أحمد، أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصـابه مـن بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه فغضب، فقال: ﴿أَمُتَهَوِكُونَ فيها يابن الخطاب؟والذى تفـسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لاتسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا بـه أو بباطـل فتصدقوا به، والذى نفسى بيده لو أن موسى عليه السلام حيا ماوسعه إلا أن يتبعني﴾[1]، أو قوله ﷺ: ﴿لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم﴾[2].

وتـلـك مـناهي الرسول ﷺ الصريحة وغيرها تدل على المنع مـن مراجعـة أهـل الكتاب، رغم بعض العلماء كما أثرت آنفا فسّر هذا النهي لأنه كان في أول انتشار الإسـلام خشية الاختلاط بأحكام الشريعة، وكذلك أرى هذا باعتبار كالتحذير من النبي ﷺ.

وبطبيعة الحال، عمل بهذا النهي كثير من الصحابة ﷺ؛ لا يأخذ من أهل الكتـاب إلا قليل منهم وكان في أمور لا تكون متعلقة بالعقيدة والأحكام، وهذا لأن الصحابة ﷺ الأخيار لا يخالفون أوامر ﷺ خاصة في مسائل الدين والـقـرآن.

2. كان للصحابة المعايير الخاصة والضوابط الدقيقة عند رجوعهم إلى أهل الكتاب.

[1] مسند الإمام أحمد، رقم الحديث: 15195 ج3،ص387.

[2] رواه البخاري، رقم الحديث: 4173، كتاب التفسير، ج17، ص13.

كما أنه من المعلوم، أن الصحابة ﷺ كانوا في رجوعهم إلي أهل الكتاب يسيرون على المنهج القويم الذى رسمه لهم رسول الله ﷺ، وهذا المنهج القويم الشرعي إنما استخلصوه من أحاديث رسول الله ﷺ في شأن الرجوع إلى أهل الكتاب.

وأستخلص من معانها فيها مايلى:

أ. عدم السؤال عن كل شيء من أهل الكتاب.

ب. عدم تصديق كل شيء من أهل الكتاب.

ج. وسؤالهم إنما كان توضيحا لقصة من قصص القرآن وبيانا لما أجمل منها في القرآن، و لم تكن مما يتعلق بأصول الدين، والحلال والحرام أو الشريعة وأمور العقيدة، وإنما كانت فيما يتعلق بالقصص وأخبار الأمم الماضية والملاحم، والفتن وبدء الخلق وأسرار الكون وأحوال يوم القيامة[1]، كما انهم لا يسألون عن الأشياء التى تدخل في السؤال عنها اللّهو والعبث[2].

د. وكان معيارهم اتجاه ماجاء من أهل الكتاب: فما كان منه على وفق شرعنا صدقوه وما كان على خلافه كذبوه ورفضوه، وما كان مسكوتا عنه فى شرعنا ومترددا بين احتمال الصدق والكذب توقفوا فيه فلا يحكمون عليه بصدق ولا بكذب مادام يحتمل كلا الأمرين، وهذا امتثالا لقول الرسول ﷺ:﴿لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم﴾، بيد أن في كثير ماجاء في كتابهم من جراء التحريف كما أشار ذلك القرآن وهذا مما كان يمنع كثيرا من مفسري الصحابة ﷺ عن الثقة بها، بل إن الكثير من أقوال أهل الكتاب كان مما يستنكر عندهم لثبوت كذبه[3].

ومن هذا كله، تتضح لنا أن الصحابة ﷺ قاموا بنشاط فكري وعملي رائع في خدمة كتاب الله بما يتعلق بالتفسير ومنها ناتج من موقفهم اتجاه الخبر من أهل الكتاب فهم وقفوا من الإسرائيليات موقفا حازما[4]، وابتعدوا عن الخوض في التفسير السياسي والمذهبي، فلهذا لم يكن

---

[1] انظر أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير،ص91، وانظر محي الدين بلتاجي: دراسات في التفسير وأصوله، ص21-22، وانظر مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص354، محمد حجازي: وانظر التعريف بالتفسير ومنهج رجاله،ج1، ص53 و63.

[2] الذهبي: الوحي والقرآن الكريم، ص145.

[3] محي الدين بلتاجي: دراسات في التفسير وأصوله، ص21-22

[4] ومثال ذلك في موقف علي ﷺ، وكان ﷺ يعاقب ويجلد من يذكر قصة الإسرائيليات المدنوبة فى قصى داود عليه السلام جاء فى قوله تعالى:﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب﴾ (ص:21)، أنه كان داود رأ المرأة الجميلة زوجة أوريا لما خرج من محربه،فامر أوريا بالجهاد حتى توفي فتزوج بها،إلخ، (انظر مصطفى محمود الحديدى الطير: اتجاه التفسير فى العصر الحديث،ص18).

هذا المصدر له أثره البين في التفسير في عهدهم، وإن كانت لا ننكر ببدء الاعتماد على شيء منه، وهذا كما قلنا أكثر ما نجده هو حول المواضع في قصص الأنبياء، وهو مصدر هين يسير[1]، أو لمعرفة بعض جزئيات الحوادث والأخبار ماأجمله القرآن و لم يثبت فيه شيء عن رسول الله ﷺ، كان على نطاق ضيق وكان تقبلهم لما يروى لهم من ذلك مقيدا بقيود وذلك: فما وافق شرعنا صدقوه وماخالفه كذبوه وما كان مسكوتا عنه توقفوا فيه[2].

ولذا رأى العلماء أن رواية الصحابةﷺ للإسرائيليات سواء كانت في التفسير أم في غيره كانت فى أضيق الحدود بالنسبة لغيرهم من التابعين ومن يليهم[3]، يقول صاحب التفسير والمفسرون:«أن أخذ الصحابة عن أهل الكتاب كان قليلا»[4]، ومن هنا يمكن القول: أن رجوع الصحابة ﷺ إلى أهل الكتاب كان قليلا جدا ومقرونا بالضوابط الدقيقة وبعيدا كل البعد عن الإسرائيليات الواهية أو الباطلة، وهذا من مميزات التفسير في عهدهم والذى ليس كغيرهم.

[1] لطفي الصباغ: لمحات فى علوم القرآن واتجهات التفسير، ص201-202، عبد الله بدر: تفسير الصحابة، ص40، محي الدين بلتاجي: دراسات في التفسير وأصوله، ص21-22.

[2] الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص22 و51.

[3] انظر إبراهيم خليفة: دراسات في مناهج المفسرين، ص324، وانظر الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث،ص50، وانظر السيوطي: الإتقان، ج2، ص502،وانظر مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص355.

[4] الذهبي:التفسير والمفسرون،ج1، ص131.

المبحث الخامس: القيمة العلمية للتفسير في هذه المرحلة

في هذا المبحث أحاول أن أوضح القيمة العلمية للتفسير في عهد الصحابة ﷺ، وكما ذكرنا من قبل عظيم وأصالة التفسير في هذا العهد وهو من حيث أن هذا الجيل عاش في القرن من خير القرون، ولهم الفضل من حيث تلقوا النبي ﷺ وتعلموا من مدرسة النبوة الشريفة، فلا شك أن يكون لتفسير هم قيمة علمية كبرى حيث يعد تفسيرهم من أحسن طرق تفسير القرآن الكريم[1]، وبجانب ذلك تأتي قيمته العلمية من حيث درجة تفسير هم جاء بعد تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة النبوية الشريفة[2]، بيد أن الرسول أرشدنا إلى أخذ ماجاء من عندهم، قال الرسول ﷺ:﴿فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ﴾[3].

وفي ضوء ذلك أود أن أوضح قيمته العلمية من ثلاث حصال، وهي من حيث قيمته في الحفاظ على الرواية النبوية الصحيحة، وفي حكم العلماء على تفسيرهم، وفي الاستنباط الأحكام الفقهية، وكلها في ضمن القيمة العلمية، ومن هذه المطالب ستتكون هذا المبحث، إن شاء الله تعالى.

المطلب الأول : الحفاظ على السنة النبوية الصحيحة

ومما لا مراء فيه أن السنة النبوية هي الأصل الثاني للتشريع الإسلامى بعد القرآن، وهي شارحة للقرآن، ولها قيمتها وعظمتها وسمومكانتها وأهميتها في كمال الإيمان وأساس التشريع، وكما قلنا في الفصل الأول -وهو عند البحث عن التفسير في عهد النبي ﷺ-، أنه ﷺ خير وأحسن ما يمكن أن يفسر القرآن الكريم ومن ينبغى أن يطلب منه تفسيره بعد الله تعالى، ومن ثم الحفاظ على الرواية الصحيحة من النبي ﷺ فله فضل عظيم وقيمته القيمة من حيث مكانتها في التشريع الاسلامى وكالمصدر والمرجع لتفسير من بعده.

والصحابة ﷺ هم أحسن من فطنوا وأدركوا هذه الأهمية والقيمة والتي تضمنها السنة النبوية، فهم الجيل الذي تمسك بسننه ﷺ قولا وفعلا وتقريرا بكل الحب والاحترام والطاعة لله

---

[1] محمد عبد الرحين : تفسير الصحابة،ص43.

[2] المرجع نفسه،ص44.

[3] رواه الترمذي، رقم الحديث:2815، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع،ج5،ص44.

ورسوله[1] وامتثلوا في حياتهم، ولهذا -كما قلنا في بداية المبحث عن التفسير في عهد الصحابة-أن الصحابةﷺ كانوا يتخذون السنة النبوية والتي فيها تفسير النبي ﷺ كالمصدر الثاني لتفسيرهم، واعتمدوا عليها اعتمادا أساسيا، وأكثروا من الاستعانة بها عند تفسيرهم[2].

في ضوء ذلك، نقول أن الصحابة ﷺ كانوا يرجعون في التفسير إلى النبي ﷺ في حياته وإلى سنته بعد مماته ﷺ، ومن هذا كله، تتضح من القيمة العلمية أو مكانة التفسير في هذا العهد، منها مراعاة والحفاظ على الرواية النبوية الصحيحة، وهي بيان للقرآن الكريم، ولذا قال الشافعي رحمه الله:«كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن»[3]، ويقول أبو حنيفة: «لولا السنة مافهم أحد منا القرآن»[4].

ومن ثم نعلم أن القرآن والسنة متلازمان، لا يفترقان إلى يوم القيامة، ولا يُستغنى بأحدهما عن الآخر، وأنه لا يمكن أن نفهم القرآن إلا على ضوء السنة، وهذه القيمة ستستمر إلى أجيال من بعدهم إلى اليوم، ويمكننا القول لا محلّ لها لولا الصحابة ﷺ لما وجدنا الروايات المأثورة من النبي ﷺ، لأنهم وارثه الأول.

وبالجملة، فى ضوء ماقلت آنفا، أن من قيمة التفسير في هذا العهد فهو الحفاظ على الرواية النبوية الصحيحة وهي في نظرى تتمثل في النقاط الآتية:

1. اعتناء الصحابة ﷺ كثيرا بتفسير النبي ﷺ واستعانتهم بها في تفسيرهم، وقد مضى ذكر شيء من ذلك آنفا.

2. كان الصحابة ﷺ يرجعون إلى السنة النبوية غير تفسير النبي ﷺ فحسب، بل قوله، و فعله وتقريره، ويجعلونها كالمصدر الثانى بعد القرآن والأداة الرئيسية الثانية في تفسيرهم، وهذا

[1] وأظيف هنا ما قاله الزرقاني عن حب الصحابةﷺ لله تعالى ورسولهﷺ، وهو يقول: «أما حب الصحابة لله تعالى فلا يحتاج إلى شرح وبيان، ولا إقامة ولا برهان، فهم خير القرون بنص الحديث الرسول:خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم(...)وأما حبهم للرسول ﷺ فما حكاه التاريخ الصادق عنه من أنه ماكان أحد يحب أحدا مثل ماكان يحب أصحب محمد محمدا»، مناهل العرفان،ج1،ص205.

[2] انظر محمد بن مطر الزهراني : تدوين السنة النبوية، ص26، وانظر عبد الله بدر: تفسير الصحابة،ص148، وانظر التفسير والمفسرون،ج1، ص36.

[3] انظر: الإتقان،ج2، ص467.

[4] عبد المهدى بن عبد القادر عبد الهادى : السنة النبوية؛ مكانتها وعوامل بقائها وتدوينها، القاهرة: دار الإعتصام، د.ط،د.ت،ص15.

باعتبارها شارحة للقرآن ومفسرة له، وأنهم أكدوا على أنه يستحيل تفسير كثير من آيات القرآن تفسيرا صحيحا إلا بالرجوع إليها، وعدم الغض عنها كفر وفشل في الدين والتفسير[1]، وهذا كمثل تفسير الآيات التي تتعلق بالتشريع والعقيدة، وهذا قد تكلمت تفصيلا عنه في المبحث عن مصادر التفسير هذا العهد وهو في المطلب الثاني :"السنة النبوية".

ومن هنا، كان الصحابةﷺ إذا سئلوا عن شيء من معاني القرآن وكان عندهم في تفسيره سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ أجابوا به، ومثال ذلك عندما سئل أبي الدرداء ﷺ من أهل مصر عن تفسير قوله ﷻ: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2]، فقال له: «ماسألني عنها أحد منذ سألت رسول الله ﷺ عنها، فقال ﷺ: ﴿ماسألني عنه أحد غيرك منذ أنزلت، هي الرأيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له﴾[3]، وكذلك أنهم لا يبادرون إلى بروز الرأي أو الاجتهاد في التفسير إلا بعد ما لم يجدوه في القرآن أوالسنة، وهذا قد ذكرناه في المطلب الرابع من مبحث مصادر التفسير في هذا العهد.

وهذان عنصران يبين لنا كيف كان المرويات النبوية في التفسير وغيره منقول أو مروي عن بعض الصحابة إلى بعضهمﷺ، إذ كانوا يبلغون مَن سمع من النبي ﷺ مباشرة إلى من لم يسمع به، وينقلون من سمعه من الصحابة إلى غيره الذى لم يسمع.

3. ومما يساعد ويدعم على صدق وصحة الروايات النبوية الصحيحة التي ينقلونها ويبلغونها الصحابةﷺ بعضهم بعضا فهو لأن كان الصحابة ﷺ بجانب يتلقفون ويفهمون كذلك يحفظون مايصدر عن رسول الله ﷺ من تفسيرات للقرآن الكريم[4]، ووذلك من حيث أن لهم القوة والضبط في الحفظ[5]، ومثال ذلك ما رواه مسلم: عن طارق بن شهاب أن اليهود قالوا لعمر:

---

[1] عبد الله بدر: تفسير الصحابة، ص151.

[2] يونس:64.

[3] رواه الترمذي، رقم الحديث: 2115، كتاب التفسير، ج5،ص286.

[4] لطفي الصباغ: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير،ص201،وانظر موسى شاهين لا شين : اللآ لئ الحسان في علوم القرآن، ص297.

[5] عبد المهدي : السنة النبوية؛مكانتها وعوامل بقائها وتدوينها،ص68.

أنكم تقرؤن آية لو أنزلت فينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدا، فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت ونصف يوم أنزلت وأين رسول الله ﷺ حيث أنزلت بعرفة ورسول الله ﷺ واقف بعرفة[1].

وزيادة على ذلك، كان الصحابة ﷺ هم أعلم الناس بالتفسير، من هنا يقدر الشاطبي تَعيّن الاعتماد عليهم في البيان لأجل:

أ-«معرفتهم بالسان العرب، فإنهم العرب الفصحاء(...)فهم أعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان صح اعتماده من هذه الجهة.

ب- مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتترل الوحي بالكتاب والسنة»[2].

ومن جانب آخر يرى الزرقاني: أن مما جعل الكتاب والسنة يتمكنان في أذهان الصحابةﷺ، ويسهلان عليهم في الحفظ والاستظهار هو «وجود الرسول ﷺ بين ظهرانيهم، يَحَفّظُهم من الكتاب والسنة ما لم يحفظوه ويعلمهم ماجهلوه، ويجيبهم إذا سألوه، ويريهم شاكلة الصواب فيما أخطؤوه ويوقفهم على حقيقة الأمر إذا تشككوه في صبر وأناة وسعة صدر وكرم نفس وطيب قلب»[3]، ويقول أيضا : هذا من حكمة الله ورسوله ﷺ في تربية وتعليم جيل الصحابةﷺ، وحسن سياستهما في الدعوة والإرشاد[4].

4. وكما سبق أن ذكرنا أن الصحابة ﷺ من أحرص وأسرع على امتثال ماجاء من عند رسول الله ﷺ في حياتهم، وهذا من العوامل التي جعلت السنة تبقى محفوظة عندهم وكأنها أي السنة تمسي على الأرض، وهذا لا شك لأنهم تخرجوا من المدرسة النبوية الشريفة وتأدبو بآدابها ونهلوا من معين صاحبها ﷺ، فاقتدوا به في سائر شؤون حياتهم، ومما يدل على ذلك في فهمهم لآيات القرآن أنهم كانوا يطبقونها بعملهم، ولذلك قال أبو عبد الرحمن الجهني: «حدَّثنا من كان يقرئوننا من أصحاب النبي ﷺ، أنهم كانوا يقرأون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل[5].

---

[1] رواه مسلم، رقم الحديث: 3017، كتاب التفسير، ج4، ص2312.

[2] الشاطبي: الموافقات،ص251،وانظر نفس الرأي معه أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في التفسير،ص52،محمد حجازي: والتعريف بالتفسير ومنهاج رجاله،ج1، ص27.

[3] الزرقاني:مناهل العرفان،ج216،1.

[4] المصدر نفسه،ج1،ص211.

[5] رواه الإمام أحمد، باب حديث رجل من أصحاب النبيﷺ،ج5،ص410.

وقد ربّى الرسول ﷺ أصحابه ﷺ على القرآن الكريم، فتحوّل القرآن من مجرد كتاب مكتوب ومقروء إلى حياة عملية، تتحقق على ظهر الأرض، والجدير بالذكر هنا ماصوره الزرقاني لجيل الصحابة في امتثال ماجاء عن النبي ﷺ : وليس هناك طائفة في التاريخ تمثل فيها القرآن روحا كما تمثل في هذه الطبقة العليا الكريمة طبقة الصحابة الذين وهبوه حياتهم فوهبهم الحياة، وطبعهم طبعة جديدة حتى صاروا اشبه بالملائكة، وهكذا سواهم الله بكتابه خلقا آخر: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين[1]﴾[2].

5. ومما يدل على حفاظ الصحابةﷺ على المرويات النبوية الصحيحة، أنهم ينقلون مايسمعون منه ﷺ ويروونه لبعضهم البعض ثم ينقلونه إلى الجيل الذي بعدهم من التابعين[3]، ويرى الدكتور عبد المهدى، أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر بالقاهرة: «أن عدد الصحابة الذين رووا عن رسول الله ﷺ فوق المائة ألف، مابين رجل وامرأة، وصغير وكبير، وحر وعبد، زمن روى الكثير، ومن روى القليل حتى إن منهم من يروى الحديث الواحد عنه ﷺ، إما لقلة مجالسته أو لصغر سنه»[4]، ويقول ابن الجوزي: أن السنة النبوية مأثورة بنقلها عن سلف هذه الأمة و لم يكن هذا لأحد من الأمة.[5]

ولذا أن ظاهرة الرواية بمعنى يبلغ ماسمع من النبي ﷺ إلى من لم يسمع جاءت مبكرة وهو منذ عهد النبي ﷺ والصحابة ﷺ، إذ كان يروى بعضهم بعضا ما صدر عن النبي ﷺ، ويرى الدكتور الذهبي هذه رحلة الصحابة في التفسير بالخطوة الأولى في التفسير أي يتناقلون في الرواية، حيث يروي الصحابة ﷺ عن رسول الله ﷺ كما يروى بعضهم عن بعضا[6].

فدافع الأول للظهور تناقل الرواية بعضهم بعضا هو نبأ من الاستشعار لعظم المسئولية من منطلق ما وعوه عن رسول الله ﷺ[7] كمثل قوله ﷺ: «نضر الله امرءا سمع مقالتي ووعاها فأداها

---

[1] المؤمنون:14.

[2] الزرقاني: مناهل العرفان، ج1، ص210.

[3] محمد حجازى: التعريف بالتفسير ومنهج رجاله، ج1، ص37.

[4] عبد المهدى: السنة النبوية؛مكانتها وعوامل بقائها وتدوينها،ص67.

[5] أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي: كتاب الموضوعات، بيروت:دار الكتب العلمية، ط1، 1995،ص10.

[6] الذهبي:التفسير والمفسرون، ج1، ص104.

[7] محمد الزهراني : تدوين السنة النبوية،ص30.

كما سمعها،فرب مُبلغ أوعى من سامع»[1]، وبهذا انتشروا في الأمصار يبلغون الأمانة التي حملوها بصدق ويؤدّونها على أكمل وجه، وكانوا خير من حمل ماجاء من النبي ﷺ وخيرمن أداها بعد النبي ﷺ.

وأما بعد وفاة النبي ﷺ كانوا يسلكون مجالات أخرى العناية بسنة رسول الله ﷺ والحفاظ عليها، من ذلك حفظها والتثبت بها وحتى أحدهم يرحل في الحديث الواحد مسافة شهر ليثبت من حفظه، وكذلك كتابتها في الصحف والأجزاء، ثم نشرها بين الناس وغير ذلك من المجالات،[2] بيد مما يدل على حرص الصحابة ﷺ لحصول على الرواية من النبي ﷺ منها ماقال ابن مسعود ﷺ كما جاء ذلك في الرواية الصحيحة عنه: «والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»[3].

والجدير بالذكر هنا ماقاله الشيخ الزرقاني:«الناظر في تاريخ الصحابةﷺ، يروعه مايعرفه عنهم في تثبتهم، أكثر مما يروعه عنهم في حفظهم؛ لأن التثبت فضيلة ترجع إلى الأمانة الكاملة والعقل الناضج من ناحية،ثم هو في الصحابة بلغ القمة من ناحية أخرى،إذ كان تثبتا بالغا،وحذرا دقيقا،وحيطة نادرة،وتحريا عميقا لكتاب الله تعالى وهدى رسوله ﷺ في ما يتصل بهما عن قرب وبعد»[4].

وفي ضوء هذا كله يتبين لنا كيف اتخذ التفسير في هذا العهد المنحى الحديثي رواية، بل كان جزءا منه، وكيف كان دور هذه المرحلة في الحفاظ على الروايات النبوية في التفسير وغيره من السنن.

المطلب الثاني : التفسير المأثور عن الصحابة له حكم بالمرفوع

أن القيمة العلمية لتفسير الصحابة أمر لامراء فيه، ومنها تتجلى أهميته في حكم العلماء عليه، وهذا من القيمة العلمية لتفسير الصحابةﷺ.

---

[1] رواه الترمذي رقم الحديث :5657، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، ج5، ص34، وقال: حديث حسن صحيح.

[2] محمد الزهراني: تدوين السنة النبوية،ص29.

[3] رواه مسلم ، رقم الحديث: 2463، باب من فضائل ابن مسعود وأمه رضيالله عنهما، ج4،ص1913.

[4] الزرقاني: مناهل العرفان،ج1، ص219.

ذهب العلماء في الحكم على أقوال الصحابة ﷺ في التفسير إلى قسمين: قسم حكموا عليه بالرفع[1] وقسم منهم حكموا عليه بالموقوف[2]، وأما الذين يقولون بأنه من قبل المرفوع، فيمكنني أن أستخلص ماقاله بعض العلماء والدارسين في التفسير، كالسيوطي في الإتقان والذهبي في التفسير والمفسرون وما كتبه كثير من المؤلفين في دراسات التفسير وعلومه عنه، وهو:

1.يقول الحاكم في المستدرك: له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ، وقد قال ذلك في المستدرك.

2.ابن الصلاح وغيره من الفقهاء المتأخرين قالوا: إنما ذلك مخصص بما فيه سبب نزول أو نحوه، مما لا دخل للرأى فيه، وأما مايتعلق باللغة والأحكام والاجتهاد:فله من قبيل المرفوع[3].

فهنا نرى قولين: فالحاكم يرى حكم الرفع في تفسير الصحابة ﷺ مطلقا، وأما ابن الصلاح وغيره من الفقهاء يرى على الرفع إذا كان له قرائن أو لشروط، ولكن وجدنا أن الحاكم قد صرح نفسه بذلك في كتابه "علوم الحديث"، إذ يقول:ومن الموقوفات: تفسير الصحابة، وأما من يقول: إن تفسير الصحابة مسند -أي مرفوع-،إنما يقوله فيما فيه سبب نزول، فقد خصص هنا وعمم في المستدرك، فلعلّ هذا ما أراده في المستدرك أو رجع عنه إلى هذا[4].

وفى ضوء ذلك، ذهب جمهور العلماء على أن تفسير الصحابة ﷺ له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ بشروط[5]، فهو بأن يكون ماصدر عنهم ليس من قبل الرأي أو الاجتهاد أو ليس للرأي

---

[1] «ما أضيف إلى النبي ﷺ قولا أوفعلا عنه أو تقريرا سواء أضافه صحابي أو تابعي ولا يكون متصلا دائما قط»، انظر ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث،ص27.

[2] «ما يروى عن الصحابة ﷺ من أقوالهم، أو أفعالهم ونحوها، فيقف عليهم، ولا يتجاوز به إلى رسول الله ﷺ»، المصدر نفسه، ص27.

[3] جلال الدين السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف،ج1، د.ط، مصر: دار الفكر، د.ت، ص64-65، انظر التفسير والمفسرون،ج1،ص71.

[4] انظر السيوطي : الإتقان،ج2،ص505-506،وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1، ص71-72، وانظر أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير،ص53، وانظر محمد عبد الرحيم: تفسير الصحابة،ص40.

[5] انظر محمد عبد الرحيم : تفسير الصحابة،ص40، وانظر موسى إبراهيم الإبراهيم : تأملات قرآنية؛ بحث منهجي في علوم القرآن الكريم،د.ط، شركة الشهاب:الجزائر،1987، ص79-80، وانظر مناع القطان : مباحث في علوم القرآن،ص337.

فيه مجال كأسباب النزول، وأحوال يوم القيامة، أو من باب الرواية لا الرأي[1]، وأضاف على ذلك الدكتور صبرى متولى، يقول : مما لا يعقل أن يقول الصحابة فيها برأيه[2].

ومثال ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية كقول جابر رضي الله عنه:كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ[3]﴾[4] ، أو نحوه مما لا يمكن أن يؤخذ إلا عن النبي ﷺ ولا مدخل للرأي فيه[5].

ويقول الدكتور إبراهيم خليفة أن هذا الشرط—أي أن يكون ليس للرأي فيه مجال-ليس هذا الشرط الوحيد، فهناك شرط آخر نبهوا عليه علماء علوم الحديث وهو أن لا يكون الصحابي رضي الله عنه قد عرف بالأخذ عن بني إسرائيل أي في بعض الأحيان طبعا، وإلا لم يعط قوله حكم المرفوع لاحتمال أن يكون منقولاته عنه[6]، وهذا مما أيده الدكتور محمد أبو شهبة : أن المحققين من العلماء كالحافظ ابن حجر رحمه الله زاد بشرط واحد وهو: ألا يكون الصحابي معروفا بالأخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا، أي غير معروف برواية الإسرائيليات[7].

ويواصل الدكتور إبراهيم خليفة في قوله : أن هذا الشرط إنما يصلح في خصوص ما يمكن أن يكون له بما عند بني إسرائيل صلة تلقي في النفس احتمال أن يكونوا هم الأصل في العلم به، وإلا لم يصلح اعتبار هذا الشرط، وذلك كأحاديث بعض الصحابة رضي الله عنهم عن أسباب النزول ليس فيها ذكر لشيء من قول النبي ﷺ ولا فعله، فإن مثل هذه الأحاديث وإن لم تكن من المرفوع تعطى لا محالة حكمه[8].

---

[1] انظر السيوطي : الإتقان، ج2، ص506، وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص72، وانظر محمد عبد الرحيم : تفسير الصحابة،ص40، وانظر أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير،ص53، وانظر مناع القطان : مباحث في علوم القرآن،ص337، وانظر فهد الرومي : بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ص29.

[2] صبرى متولي: منهج ابن تيمية فى تفسير القرآن الكريم،ص25-26.

[3] البقرة:223.

[4] رواه البخاري، رقم الحديث: 4213، كتاب التفسير، ج17، ص36.

[5] محمد عبد الرحيم : تفسير الصحابة،ص40.

[6] انظر ابراهيم خليفة : دراسات في مناهج المفسرين،ص273.

[7] أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير،ص53-54.

[8] ابراهيم خليفة : دراسات في مناهج المفسرين،ص273.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد أبوشهبة: جاءت بعض الروايات الإسرائيلية- بل الكثير منها- موقوفاً على الصحابة ﷺ ومنسوباً إليهم، فيظن من لا يعلم حقيقة الأمر ومن ليس من أهل العلم بالحديث أنها متلقاة عن النبي ﷺ لأنها من الأمور التي لا مجال للرأي فيها، ثم يحكمها بالمرفوع إليه ﷺ وإن لم تكن مرفوعة صراحة، ومن هنا تتضح خطورتها[1] .

وبعد هذا كله، نرى أن العلماء قد اتفقوا على أن تفسير الصحابة ﷺ في مالا مدخل لرأي فيه أو من قبل الرواية[2]، له حكم الرفع إلى النبي ﷺ، ومن ثم فتفسيرهم لما له حكم المرفوع لا شك أن له قيمةً كبيرةً، وقد اتفق العلماء أن ماجاء من تفسير الصحابة مرفوعا إلى رسول اللهﷺ فواجب أخذه[3]، ويعتبر حديثا؛ فما صح منه وجب الأخذ به لأنه لا ينطق به عن الهوى[4]، وهنا أكد صاحب التفسير والمفسرون:«لا يجوز رده اتفاقا، بل يأخذه المفسر ولا يعدل عنه إلى غيره بأية حال»[5].

وأما تفسير الصحابة ﷺ الذي حُكم عليه بالموقوف فهو إذا كان تفسيره مما يكون للرأي فيه مجال أو من قبيل الاجتهاد والاستنباط أو ليس متعلقا بأسباب النزول، ومادام لم يسنده إلى رسول الله ﷺ[6].

وأما عن قيمة تفسير الصحابةﷺ الذي لا يرفع إلى النبي ﷺ حكما أي من الموقوف فقد اختلف العلماء فيه:

1. أن الموقوف على تفسيرهم إنه رأي، فلا يلزم الأخذ به.
2. أنه يلزم الأخذ به والرجوع إليه[7].

أما الفريق الأول فأخذ يستدل بأدلة وإليكم بيانها:

---

[1] الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير،ص94-95.

[2] انظر علي جمعة : قول الصحابي عند الأصوليين،ط1، القاهرة: دار الرسالة ،2004،ص44، انظر الزركشي: البرهان في علوم القرآن،ج2،ص157.

[3] انظر السيوطي : الإتقان،ج2،ص505، وانظر محمو حوّا: التفسير ورجاله، ص28،وانظر علي الصابوني: التبيان في علوم القرآن، ص156، وانظر صبرى متولي، منهج ابن تيمية فى تفسير القرآن الكريم، ص25-26.

[4] وانظر محمد على الحسن:المنار في علوم القرآن،ص142.

[5] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1، ص72.

[6] صبرى متولي: منهج ابن تيمية فى تفسير القرآن الكريم،ص26، مناع القطان : مباحث فى علوم القرآن،ص337.

[7] التفسير والمفسرون،ص72،وانظر محمد عبد الرحيم:تفسير الصحابة،ص41.

أ-لأنه من قبل الرأي أو الإجتهاد، والمجتهد قد يخطئ ويصيب والصحابة ﷺ في اجتهادهم كسائر المجتهدين[1].

ب-لأن الصحابة ﷺ ليس بالمعصومين[2]، وكما يتبوأ غيرهم من الناس؛ مكان الخطاء والنسيان.

ج. ظهور اختلاف بينهم في التفسير.

وأما الفريق الثاني فاستدل بأدلة وهي فيما يلي:

أ- إن الصحابة ﷺ شهد قرائن الأحوال وأدرك أسباب نزول القرآن والتي تعين على فهم آياته ووقائعه[3].

ب- عدم الشك في أنهم أهل اللغة والفصاحة باللغة العربية[4].

ت- كونهم أنهم أدرى بكتاب الله -بعد النبيﷺ-لما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح[5].

وبعد ذكر رأي كل فريق وبعض أدلة كليهما، يترجح عند النظر أن القول الثاني أقرب إلى الصواب، لأن الأدلة التي قدمها الفريق الأول في القول أن اجتهاد الصحابة ﷺ كغيرهم من الناس فهذا لا يقبل، وذلك أن اجتهاد الصحابة ﷺ قد تميز وليس كغيرهم من الناس-هذا قد ذكرت في التفسير عند البحث عن خصائص التفسير في هذا العهد-، ولأنهم يدركون تماما قرائن الأحوال لفهم القرآن، وكذلك قول بأن الصحابة ﷺ ليس بمعصومين فهو صحيح، ولكن لهم الفضل والمكانة والقيمة كما شهد ذلك تاريخ، وكما شهد الله[6] ورسوله ﷺ على مكانتهم، ولهذا فمن المستحيل أن يساوى بينهم وبين الناس غيرهم، وأما الاختلاف بينهم في التفسير كما

---

[1] المصدر نفسه.

[2] صبري المتولي : منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم، ص177.

[3] محمد حسين: المبادء العامة للتفسير القرآن، ص85، وانظر موسى شاهين لا شين : اللآلئ الحسان في علوم القرآن، ص297،وانظر مناع القطان : مباحث في علوم القرآن،ص337.

[4] لطفي الصباغ: لمحات علوم القرآن واتجاهات التفسير،ص206-207،و201، وانظر الزركشي: البرهان،ج2،ص172، وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1، ص72،وانظر محمد عبد الرحيم: تفسير الصحابة،ص41.

[5] انظر مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص337، وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص72،وانظر محمد عبد الرحيم : تفسير الصحابة،ص41، وانظر ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير،ص59، وانظر مصطفىأكرار: التفسير الفقهى،ص67.

[6] انظر مثلا: الفتح:29،الحشر:9،8، التوبة:100،الأنفال:73.

قلنا إنما هو من قبيل اختلاف التنوع لا التضاد وهذا قد ذكرت في المطلب الثاني عند المبحث خصائص التفسير في هذا العصر.

ومن ثم ما تميل إليه نفسي أن كونهم ﷺ أعلم الناس بالظروف والملابسات التي احاطت بنزول القرآن، وأنهم أهل اللغة العربية والفصاحة بها، دليل على رسوخ فهمهم وعق درايتهم لكتاب الله –بعد الله ورسولهﷺ–لما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، وأن الاجماع يقول بأن الصحابةﷺ كلهم عدول[1]، فأخذ تفسيرهم من قبل الموقوف أولى من تركه.

ومما يجدر التنبيه عليه هنا، أن أخذ أقوال الصحابة ﷺ في التفسير الذي يتعين الأخذ به فهو إذا كان الصحابي قد رأى –في التفسير– و لم يعارض رأيه من طرف صاحبي آخر، أومما لا أحد من اعتراضه فإن رأيه يجب الأخذ به وتقديمه على غيرهم، وهنا يقول الدكتور إبراهيم خليفة[2]: إذا كان تفسير الصحابة ﷺ من أن يعرف كونه محلا لاجماع الصحابة وأنه لم ينشد به أحد منه فيما ثبت عن مأثور الصحابة ﷺ وجب الأخذ بمقتضاه كسابقه في التفسير القرآن المجيد لأجل الاجماع، فإن الأمة معصومة في كل عصر من عصورها ولا سيما عصر الصحابة الأطهار من أن تجمع على خطأ أو ضلالة.

وفي هذا الصدد يقول صاحب "الموافقات": «أما بيان الصحابة ﷺ فإن أجمعوا على مابينوه فلا إشكال في صحته أيضا،كما أجمعوا على الغسل من التقاء الختانين المبين لقوله ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا[3]﴾»[4].

ومن ثم أنه إذا اتفق الصحابة ﷺ على شيء وإن كان فيه مجال للرأي لزم الأخذ بقولهم، وإن اختلفوا فللمفسر أن يختار من أقوالهم ما يكون أكثر انسجاما مع سياق مقصود للقرآن الكريم[5].

---

[1] عبد الهدى: السنة النبوية؛ مكانتها وعوامل بقائها وتدوينها،ص72.

[2] إبراهيم خليفة : دراسات في مناهج المفسرين،ص275.

[3] المائدة:6.

[4] الشاطبي: الموافقات ص251.

[5] انظر : محمود حجازي: التفسير ورجاله ،ص28.

وكذلك إذا فسر الصحابةﷺ آية باللغة، فهو -كما عرفنا- فإنهم أهل اللغة والفصاحة باللغة العربية، فلذا يرى الزركشي والسيوطي: «إن فسره من حيث اللغة فهم أعلى باللسان، أو بما شاهده من أسباب النزول والقرائن فلا شك فيه»[1].

ومن ثم من المفترض فالمفسر عند تفسيره للقرآن فيبدأ أولا بالذكر ماجاء عن الرسول ﷺ عنه إن وجد، فإن لم يجد فإنه يتحرى ماقدمه الصحابةﷺ، فإن لم يجد فإنه يتقصى التابعين، وقد يختلفوا في مدى الاعتماد على الرواية، فالذين يفسرون بالمأثور يعتمدون اعتمادا كليا عليه[2]،

ومما ينبغي التنبيه هنا أن الإمام السيوطي يرى أن من شروط وآداب المفسر فهو الاعتماد على النقل عن النبي ﷺ والصحابة[3].

وأذكر هنا أقوال بعض الدارسين في القرآن وعلومه اتجاه تفسير الصحابةﷺ، يرى الدكتور محي الدين بلتاجي : أن المرتبة الثالثة في التفسير يقع عند تفسيرات الصحابةﷺ باعتبارها بيانا للقرآن مما صح صدوره عن النبي ﷺ[4]، ويرى الدكتور مناع القطان:«والموقوف على الصحابيﷺ من التفسير يوجب بعض العلماء الأخذ به لأنهم أهل اللسان، ولما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم الصحيح»[5]، ويقول ابن كثير في مقدمة تفسيره : « إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابةﷺ، فإنهم أدرى بذلك لما شهدوه من القرئن الأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح»[6]، ويقول محمد علي الصابوني: أن الصحابة ﷺ يفهمون القرآن أكثر من أي انسان[7]، ويقول الزرقاني: أن الصحابة بعيد أن يقولوا في القرآن بمجرد الهوى والشهوة[8].

وأما أهل السنة والجماعة عموما يرون بالأخذ بالمأثور عن الصحابةﷺ، وذلك لأمور ثلاثة:

---

[1] السيوطي: الإتقان،ج2،ص518.

[2] جمال البنا : تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، القاهرة: دار الفكر الإسلامي، د.ط،ص54.

[3] السيوطي : الإتقان،ج2،ص498.

[4] محي الدين بلتاجي: دراسات في التفسير وأصوله،ص24.

[5] مناع القطان: مباحث في علوم القرآن،ص337.

[6] المرجع نفسه.

[7] محمد علي الصابني:التبيان في علوم القرآن،ص65.

[8] الزرقاني: مناهل العرفان،ج2،ص47.

1.أن هؤلاء الصحابةﷺ ينبغي أن يكونوا أخبر الناس بهذا التنزيل المجيد من جهة أن أكثرهم عرب خلص، فينبغي التحاكم إليهم فيما هو بلسانهم عربي مبين غير ذي عوج.

2. وأن أكثرهم كذلك حضروا الوحي وشهدوا وقائع التنزيل فينبغي أن ينتهي الأمر إليهم فيما حضروه وشهدوا وقائعه.

3. أن لهم فوق هذا كله من الفهم التام والعلم الصحيح ماليس لسواهم، فهم إذا أحق أن يؤخذ بفهمهم وعلمهم[1].

وفي هذا الصدد يجدر التنبيه لما قاله ابن تيمية : «كانوا أعلمهم بالحق الذي بعث به رسول اللهﷺ، فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعا»[2].

ومن ثم فإن من يقرأ كتب التفسير وبخاصة التفسير بالمأثور يلحظ حشدا كبيرا من مأثورات الصحابة وغيرهم من السلف الصالح مبثوثة بين دفتي هذه الكتب[3].

المطلب الثالث: قيمته في استنباط الأحكام الفقهية

كما أنه من المعلوم، أن مما تضمنه القرآن الكريم هو لآيات المتعلقة بالأحكام الفقهية، وهي التي تهتم بمصالح العباد في دنياهم وأخراهم[4]، وكما أُشرت من قبل –وذلك في الفصل الأول– أن المسلمين في عهد النبوة رجوا في فهم ما تحمله هذه الآيات –من الأحكام الفقهية وغيرها–لمقتضى سليقتهم العربية، وإذا أشكل عليهم في فهمها رجعوا إلى رسول الله ﷺ، فهو ﷺ كان يوضح لأصحابه ﷺ ماجاء في القرآن الكريم من تشريع أوعقيدة أو قصص[5]، فقد بين لأصحابه ﷺ كثيرا مما يتعلق بالأحكام الشرعية، ومثال ذلك آيات الظهار واللعان، وكما ذكرت أن الحكمة في ذلك أن الأحكام الشرعية التي ترتبط بفرائض الحلال والحرام أو الأحكام

---

[1] إبراهيم خليفة : دراسات في مناهج المفسرين،ص278، وانظر إبراهيم خليفة: الدخيل في التفسير،ص29-30، وانظر ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير،ص59.

[2] ابن تيمية:مقدمة في أصول التفسير،ص55.

[3] محمد عبد الرحيم: تفسير الصحابة،ص44.

[4] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج2،ص250، انظر مصطفى أكرور التفسير الفقهي،ص63.

[5] مصطفى أكوار: التفسير الفقهي، ص56.

التشريعية ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان أو الأشخاص، ومن هنا فقد أبان ذلك كله رسول الله ﷺ عن طريق الوحي أي من عند الله[1].

وبعد أن توفي الرسول ﷺ حدث تغير للأحوال والحوادث، وهذا نتيجة الفتوحات ودخول أهل البلاد المفتوحة في الاسلام واختلاف ظروف الحياة وظهور، ومن ذلك ظهور قضايا فقهية جديدة تتطلب من الصحابة ﷺ أن يحكموا عليها حكما شرعيا صحيحا، ودلالة النصوص القرآنية لا تظهر بصورة كاملة -للحكم- في كثير من الأحوال، وكذلك لاتدل بصورة قطعية على الأحكام في بعض الأحوال[2]، ولهذا كانوا يجتهدون في فهم الأحكام، وكان أول شيء يفزعون إليه لاستنباط هذه الأحكام الشرعية من القرآن الكريم؛ فينظرون ويتدبرون آياته ويعرضونها على علومهم ويستنبطون أحكامه[3]، فإن لم يجدوا فيه الحكم لجأوا إلى سنة رسول الله ﷺ فإن لم يجدوا اجتهدوا، وأعملوا رأيهم على ضوء القواعد الكلية للكتاب والسنة، ثم خرجوا بحكم فيما يحتاجون إليه[4].

وفي هذا الصدد يقول ابن حزم رحمه الله: «فالصحابة ﷺ بالإضافة إلى الضوابط الأساسية لتفسير القرآن الكريم يجتهدون في تفسير كثير من الآيات في إطار المشاكل التي ظهرت في عصرهم ولا سيما امتزاج ثقافات أمم دخلت في الإسلام نتيجة للفتوحات الإسلامية التي كان من نتائجها دخول أقوام كثيرا إلى الاسلام محتفظة ببعض عاداتها وتقاليدها وأنماط حياتها الاجتماعية التي لا تتصادم مع مرونة الإسلام»[5].

ومن ثم أصبح في غالبه مجال اجتهاد، واعمال ذهن واستنباط، بل يقال فقهًا، وبهذا تكون نشأة علم الفقه مبكرة في صدر الاسلام[6]، واشتهر نوع من هذا الاتجاه في التفسير وهو التفسير الفقهي الذي يعنى بالأحكام الفقهية وبيان استنباطتها وتفريعاتها[7]، وكان هذا التفسير

---

[1] محمد إبراهيم عبد الرحمن: التفسير النبوي للقرآن الكريم وموقف المفسرين منه، ص. 51.

[2] فهد الرومي:بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ص92.

[3] انظر مناع القطان : مباحث في علوم القرآن، ص376.

[4] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج2،ص250، انظر مصطفى أكرور: التفسير الفقهي، ص73.

[5] علي بن حزم الأندلسي الظاهري : الأحكام في أصول الأحكام، تحقيق لجنة من العلماء، بيروت: دار الجيل،1987، ج1، ص16.

[6] فهد الرومي :بحوث في أصول التفسير، ص92.

[7] محمد حمّا : التفسير ورجاله، ص42.

يمثل أهم اتجاهات التفسير في عصر الصحابة، ويعد في هذا العصر هو بداية التفسير الفقهي[1]، ثم اشتهر هذا النوع من التفسير تحت عنوان "أحكام القرآن".

وبعد هذا العرض، أرى أن من القيم العلمية لتفسير الصحابةﷺ استنباط الأحكام، وكذلك مكانته في مواجهة المشكلات والأقضية الفقهية الجديدة في عهدهم، وبجانب ذلك يعتبر مرجع لمن جاء بعدهم، ولهذا يعد قول الصحابي ﷺ في التفسير مصدر في التشريع الإسلامي.

وهنا أرى أن مما يجعل تفسير الصحابةﷺ في استنباط الحكم ذا قيمة علمية عظيمة لعدة أسباب:

1. كون الصحابةﷺ ممن لهم الفضل في العلم والكرامة ومجالستهم للنبي ﷺ وهو أدرى بكتاب الله –بعد الله –، قال الزرقاني: « الصحابة ﷺ كانوا مغرمين بالتفقه والتعلم، مولعين بالبحث والتنقيب، مشغوفين بكلام الله وكلام رسول الله ﷺ يعقدون المجالس لدارسة القرآن وفهمه ويركبون ظهور المطايا لطلب العلم وأخذه»[2].

2. كان الصحابة ﷺ يعتمدون في استنباطهم للحكم الشرعي على المعلومة التشريعية التي تكونت لديهم[3]، وهي قائمة لفهم عميق لكتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، وأضف لذلك ملاحظاتهم الدقيقة للعلاقات القائمة بين النصوص ومدى موافقتها للواقع، وادراكهم لمقاصد الشارع ومزايا التشريع الإسلامي وعلل الأحكام، وإمتلاكهم ناحية اللغة، ووقوعهم على أسرار البيان العربي، وعلمهم بأحوال المجتمع، ومعرفتهم بحوادث التاريخ وأسباب النزول، ولذا كان اجتهادهم في إطاره الواسع والذي يشمل القياس والإستقراء والاستنباط وغير ذلك مما وضع له العلماء بعدهم مصطلحاته وقواعده الخاصة[4].

وبهذه الملكة العلمية الواسعة القيمة هم يجتهدون في فهمهم للقرآن والسنة النبوية، فيحلون ما فيهما من حلال، ويحرمون مافيهما من حرام، ويتبعون ماجاء فيهما من نصح

---

[1] عبد الله بدر: تفسير الصحابة، ص125.

[2] الزرقاني: مناهل العرفان، ج1، ص221-222.

[3] عبد الحميد متولي : مناهج التفسير في الفقه الإسلامي، جدة: عكاظ، د.ط، 1983، ص35.

[4] عبد الله بدر: تفسير الصحابة ،ص175-176.

ورشد، ويتعهدون ظواهرهم وبواطنهم بالتربية والآداب الإسلامية، دستورهم القرآن، وإمامهم الرسول ﷺ[1].

3. وكان غاية الصحابة في التفسير الفقهي ليس إلا خدمة الدين ونشر الحق والجواب على مقتضيات الجديدة في عصرهم، فلا نجد الأغرض الدنيوية أو المذهبية، وكذلك من هنا تميز منهج الصحابة ﷺ بعدم الجمود على حرفية النصوص[2]، ولهذا نجد في التفسير عن هؤلاء أثرا قيما وعلمية في استنباط الحكم الفقهى[3].

ومن ثم اتفق العلماء على ضرورة العمل بالقواعد الفقهية: «إذا لم نجد في القرآن ولا في السنة الأحاديث عن النبي ﷺ، رجعنا في ذلك إلى ماصح وثبت عن الصحابة ﷺ فإنهم أدرى منا بتفسير القرآن الكريم»[4].

والمتأمل في الكتب الفقهية أو تفسير الأحكام يجد هناك تفاسير الصحابة ﷺ لاستنباط الحكم، الفتاوى والاجتهادات والأحكام نقلت عن الصحابة ﷺ، وقد دونت في مصادر التشريع الاسلامى[5] كما نراه اليوم متداولا في مكتبات، وكذلك «أن الآثار التفسيرية التى خلفها الصحابة ﷺ المفسرون وجهودهم الفكرية الأخرى المتصله بالنص، والخادمة له ظلت عصورا طويلة متناثرة فى بطون كتب التراث،كما ظلت مروية في مؤلفات الحديث والفقه وغير ذلك»[6].

ومما يدل على بروز الصحابة ﷺ في استنباط الأحكام أن بعضهم اشتهر بالعلم والاجتهاد وصدر عن هؤلاء الفقهاء والمجتهدين فتاوى في حوادث ووقائع التى استجدت أي لم تكن في عهد النبيﷺ و لم يكن نص عليها و لم يفت فيها ونقل عنهم أحكام في مسائل فرعية[7].

---

[1] الزرقاني: مناهل العرفان،ج1،ص215.

[2] عبد الحميد متولي : مناهج التفسير في الفقه الاسلامي،ص38.

[3] أحمد آمين: فجر الإسلام،ص206، انظر أنس حسيب حسن السامرائي: مدرسة ابن مسعود التفسيرية فى العراق، باتنة-الجزائر: المعهد الوطني للتعليم العالي للعلوم الاسلامية،1988،ص28.

[4] أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص52.

[5] رمضان علي السيد الشرنباصى :المدخل لدراسة الفقهي الإسلامي، بيروت: الدار الجامعية ،2000،ص235.

[6] عبد الله بدر: تفسير الصحابة،ص37.

[7] رمضان علي السيد الشرنباصى :المدخل لدراسة الفقهي الاسلامي،ص235.

ومما يجدر بالذكر هنا أن عدد أحاديث الأحكام في نصوص السنة التشريعية بأنواعها المختلفة نحو:4500 حديث جاءت تبيانا لما أجمله القرآن الكريم من أحكام، أو تقريرا اوتوكيدا أو إيضاحا، أو إفصاحا عما لم يصرح به القرآن من تشريع[1]، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] مصطفى أكرور: التفسير الفقهي،ص63.

الفصل الثالث:

التفسير في عهد التابعين رضي الله عنهم

وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: مدارس التفسير في عهد التابعين وأشهر المفسرين فيها
- المبحث الثاني: هل دون التفسير في هذه المرحلة؟
- المبحث الثالث: مصادر التفسير في عهد التابعين
- المبحث الرابع: خصائص التفسير في عهد التابعين
- المبحث الخامس: القيمة العلمية للتفسير في هذه المرحلة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التمهيد:

انتهت مرحلة التفسير في عصر الصحابة ﷺ وانتقل هذا التراث الثمين إلى الجيل الذي يليهم، ويأتي كمرحلة ثالثة للتفسير وهي عهد التابعين[1]، وذلك في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني، والذي يعد من "خير القرون".

في عهد الصحابة ﷺ اتسعت الفتوحات الإسلامية، فهم لم يبقوا في المدينة وإنما تفرقوا وانتقلوا كثيرًا إلى الأمصار المفتوحة، وهذا للدعوة إلى الله وتبليغ هذا الدين الحنيف وتوسيع دائرة الإسلام، فمنهم الولاة، ومنهم الوزراء، ومنهم القضاة، ومنهم المعلمون وغير ذلك.

فنشأ مجالس والمدارس للعلم حسب المواقع التي ذهب إليها أصحاب رسول الله ﷺ، وعلى أيد هؤلاء تلقى التلاميذ من التابعين علمهم، وأخذوا عنهم، فاتبعوهم باحسان، فغالبا ماكانوا يتلقون كل المعلومات عنهم، ومن ثم لم يكد ينقض عهد الصحابة ﷺ إلا وقد نبغ رجال أكفاء ربانيون ليخلفوهم في حمل أمانة الله وبلاغ رسالته في الأرض.

ومن أهم المعلومات التي تلقاها التابعون عن أصحاب رسول الله ﷺ فهي تفسير القرآن الكريم، وذلك لأنه الأصل الأول في التشريع الإسلامي، فأخذوه عنهم وحفظوا ما وعوه من العلم عن رسول الله ﷺ، وزادوا عليه ما استنبطوا وفهموه بأنفسهم مما كان غامضا على الناس في عصرهم، ومازال في توسع حتى تجمع منه الشيء الكثير، وظهرت عدة مدارس في التفسير.

ولهذا كان المفسرون من التابعين كثيرون، أكثر من مفسري الصحابة ﷺ، والناظر في كتب طبقات المفسرين ليجد كثيرا من التابعين الذين اشتهروا بالتفسير، وكذا المتأمل في كتب التفسير يجد فيها كثيرا من أقوال التابعين.

يقول ابن تيمية: «إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين»[2]، فمن ثم، لا مراء أن التفسير في عهد التابعين ﷺ ذو أهمية ومكانة عظيمة في تفسير القرآن، وله خصائص وقيمة علمية مميزة، وحول ذلك سيدور الكلام في الفصل الثالث، إن شاء الله تعالى.

---

[1] قال الخطيب البغدادى:«التابعي من صحب صحابيا»، انظر ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث،ص179، وانظر السخوى: فتح المغيث، ج4، ص145، وانظر ابن كثير : الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث، دار الفكر: د.م.، د.ط، د.ت، ص520.

[2] ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير،ص65.

المبحث الأول: مدارس التفسير في عهد التابعين ﷺ وأشهر المفسرين فيها

كما قلنا في التمهيد، أن التفسير في عهد التابعين ﷺ قد تميز عما سبقه بظهور ما عرف فيما بعد بمدارس التفسير، وهي التي تقوم على مجموعة من الاتجاهات المتميزة في معالجة التفسير[1].

قامت في هذا العهد مدارس التفسير حسب المواقع التي ذهب إليها الصحابة ﷺ، وهي كثيرة، كمدرسة التفسير بمكة، ومدرسة التفسير بالمدينة، ومدرسة التفسير بالكوفة، ومدرسة التفسير بالبصرة، ومدرسة التفسير بالشام، ومدرسة التفسير باليمن، ومدرسة التفسير بمصر[2]، وأما أشهرها فهي: مدرسة التفسير بمكة و ومدرسة التفسير بالمدينة، ومدرسة التفسير بالكوفة، وهذا كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: «أما التفسير فأعلم الناس به أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس ﷺ وغيرهم من أصحاب ابن عباس ﷺ كطاووس، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبير، وأمثالهم، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود ﷺ، ومن ذلك ما تميزوا به على غيرهم، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير، وأخذ عنه أيضاً ابنه عبد الرحمن، وأخذه عن عبد الرحمن: عبد الله بن وهب»[3].

سأذكر فيما يلي هذه المدارس الثلاث بإيجاز ومعرفا لأبرز المفسرين[4] من كل مدرسة.

المطلب الأول: مدرسة التفسير بمكة وأشهر المفسرين فيها

قامت هذه المدرسة على يد عبد الله بن عباس ﷺ، ومن أشهر من تتلمذ على يديه: سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وطاووس بن كيسان اليماني وعطاء بن أبي رباح رحمهم الله

---

[1] محي الدين بلتاجي: دراسات في التفسير وأصوله،ص23.

[2] محمد حوّا: التفسير ورجاله،ص29.

[3] ابن تيمية: مجموع فتاوى، ج 13، ص347.

[4] لا أذكر كل من تلاميذ هذه المدارس وذلك خيشة الإطالة في البحث ماليس لب الموضوع بحثي، ومن أراد أن يتوسع في هذا الصدد فاليراجع بشيء من التفصيل كتاب الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص77-95، ومحمد الخضيري: تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة ،ص87-524.

تعالى، يقول الذهبي: «هؤلاء كلهم كانوا من الموالى، وهم يختلفون فى الرواية عن ابن عباس ﷺ قلة وكثرة، وكما اختلف العلماء في مقدار الثقة بهم والركون إليهم»[1].

وأرجع العلماء أهمية هذه المدارس إلى موقعها وظروف ساعدت على هذه الاهمية في التفسير[2]، فمن حيث موقعها فمكة هي قبلة المسلمين ويجتمع فيه المسلمون من كل مصر لأداء العمرة أو للحج في كل سنة، وأما مدرسة تفسيرها فقد تميزت عن غيرها ببروز نوعين من التفسير وهما التفسير بالرأي واالاجتهاد[3]، وكذلك شهد العلماء أنها أحسن من غيرها، كما قال ذلك ابن تيمية: وذلك لأن شيخها من أعلم الناس بالتفسير وهو ترجمان القرآن[4]، ولذا يقال طبقة أهل مكة أعلم الناس بالتفسير[5]، ومن هنا تكون مكة منطلق الحركة العلمية في ذلك العهد التي اهتمت بجمع التفسير[6]، ويقول الأستاذ الذهبي: مدرسة مكة هي أشهر مدارس التفسير في ذلك العهد[7].

وأشهر المفسرين فيها مجاهد بن جبر رحمه الله.

– مجاهد بن جبر رحمه الله:

هو الإمام الثقة شيخ القراء والمفسِّرين، أبو الحجاج المكي الأسود مولى السائب بن أبي السائب المخزومي القارئ، ولد في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ سنة 21 هـ، روى عن ابن عباس ﷺ فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه، وتوفي رحمه الله بمكة وهو ساجد سنة 104هـ، وعمره ثلاث وثمانون سنة[8].

---

[1] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص77، ومناع القطان:مباحث في علوم القرآن، ص339.

[2] محمد حجازى: التعريف بالتفسير ومنهج رجاله،ج1،ص7.

[3] أنس حسيب حسن السامرائي : مدرسة ابن مسعود التفسيرية في العراق، رسالة الماجستير، المعهد الوطني للتعليم العالي للعلوم الاسلامية باتنة-الجزائر، ص95.

[4] ابن تيمية : مجموع الفتاوى،ج13، ص365.

[5] الزرقاني: مناهل العرفان،ج2،ص16.

[6] عبد الرزاق اسماعيل هرماس:لمحات عن المدونات الأولى في التفسير، ص19.

[7] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص77.

[8] انظر كاملا سير أعلام النبلاء ج4 ، ص449-456، وانظر شهاب الدين محمد بن علي بن حجر العرقلاني، بيروت: دار الفكر، د.ط،د.ت، ج10،ص38-41، وانظر سليمان معرفي:في علوم القرآن، دط،، مجلس النشر العلم جامعة كويت:كويت، 2003،ص13، وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص79.

-مكانته في التفسير:

ولمجاهد رحمه الله مكانة عظيمة في التفسير، أستخلصها من النقاط الآتية:

أ- تتلمذ على يد ابن عباس ﷺ وهو ترجمان القرآن وحبر الأمة، وقد أثنى عليه الرسول ﷺ بالدعاء لـه أن يعلمه الله التأويل[1]، فمن المتوقع أن مجاهد رحمه الله أخذ منه تفسير الرسول ﷺ وتفسيره الاجتهادى.

وكذلك كان دائم ملازمة ابن عباس ﷺ، وقد تميز عن غيره بكثرة العرض والسؤال والمراجعة لـه إما في القراءة الخاصة أو في التفسير، حتى إنه قرأ عليه القرآن ثلاثين مرة، وقد روى الفضل ابن ميمون أنه سمع مجاهدا يقول: «عرضت القرآن على ابن عباس ﷺ ثلاثين مرة»[2]، وعرض عليه التفسير ثلاث مرات، يستوقفه عند كل آية، ويسأل عنها[3]، كما جاء في الرواية، قال مجاهد :«عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها»[4]، أي يعرض عليه ويسأل عن كل آية من سورة الفاتحة إلى الناس، ولذا كان أكثر تلاميذ ابن عباس أخذا عنه، مع أنه أقلهم رواية فى تفسيره[5].

ب-وهو أوثق تلاميذ مدرسة التفسير بمكة[6]، ولهذا اعتمد الكثير من العلماء على تفسيره، منهم الإمام الشافعى، والبخارى، والمتأمل في كتاب التفسير من الجامع الصحيح يجد كثيرا من التفسير عن مجاهد، يقول الدكتور الذهبي: «فربما هذا أكبر شهادة من البخارى عن ثقته وعدالته واعترف منه بمبلغ فهمه لكتاب الله تعالى»[7].

ج- كان يكتب ما فسره ابن عباس ﷺ من القرآن الكريم، كما ذُكرَ في كتاب "مقدمة في أصول التفسير"[8]، وفي الرواية عن ابن أبي ملكية، قال: «رأيت مجاهدا سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه

---

[1] ابن تيمية: مجموع فتاوى،ج13، ص347.

[2] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص79، وانظر عثمان الذهبي :سير أعلام النبلاء، ج4،ص450.

[3] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛عرض ودراسة مقارنة،ج1،ص125.

[4] ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير،ص65

[5] محمد الخضيرى: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج1،ص90،الذهبي: والتفسير والمفسرون،ج1،ص79.

[6] الزرقاني: مناهل العرفان،ج2،ص16.

[7] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص79.

[8] ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير،66، وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص79.

ألواحه، فقال ابن عباس : اكتب، حتى سأله عن التفسير كله»، ولهذا يقال أن مجاهد أول من كتب لتفسير القرآن كله[1].

د-قد أثنى عليه جمع من العلماء في التفسير، وأذكر بعضهم:

قال سفيان الثوري[2]: «إذا جاءك التفسير من مجاهد فحسبك به»[3]،وذُكر في الإتقان، يقول سفيان الثوري:«خذوا التفسير عن أربعة: عن سعيد بن جبير، ومجاهد وعكرمة والضحاك»[4]، وقال ابن تيمية: مجاهد آية في التفسير[5]، وقال خصيف:« أعلمهم بالتفسير مجاهد»، وقال النووي:«إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به"[6]، ويقول ابن عطية[7] في مقدمته: «من المبرزين في التابعين الحسن بن أبي الحسن[8]، ومجاهد، وسعيد بن جبير وعلقمة، وقرأ مجاهد على ابن عباس قراءة تفهم والوقوف عند كل آية، ويتلوهم عكرمة»[9]، وقال قتادة: «أعلم من بقي بالتفسير مجاهد»[10]، فمن هذه ثناء العلماء يتضح لنا عظمته ومكانته في التفسير.

المطلب الثاني: مدرسة التفسير بالمدينة وأشهر المفسرين فيها

قامت هذه المدرسة على يد أبي بن كعب ﷺ «الذي يعتبر بحق أشهر من تتلمذ له مفسرو التابعين بالمدينة، وذلك لشهرته أكثر من غيره في التفسير، وكثرة ما نقل لنا عنه في

---

[1] يوسف خليف:دراسات في القرآن والحديث، القاهرة :مكتبة الغريب، د.ط، د.ت،ص120

[2] سفيان بن مسروق بن حبيب الثورى الكوفى، التابعي الجليل، محدث كبير، توفي 161هـ، تذكرة الحفاظ،ج1،ص302، (انظر تهذيب التهذيب :ج 7،ص99-103) .

[3] انظر تفسير ابن كثير،ج1،ص9.

[4] السيوطي : الإتقان،ج2، ص537.

[5] ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير،ص65.

[6] السيوطي : الإتقان،ج2،ص536، وانظر عبد الله بدر: تفسير الصحابة ،ص32.

[7] أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية المحاربي الأندلسي الغرناطي، المفسر الفقيه القاضي النحوى، له مصنفات منها: المحرر الوجيز في التفسير، توفي سنة 541 هـ، (سير أعلام النبلاء،ج20،ص133).

[8] انظر ترجمة الحسن البصرى.

[9] أرثر جيفري :مقدمتان في علوم القرآن،ص263.

[10] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص79، محمد حجازي:التعريف بالتفسير ومنهج رحاله،ج1.ص12

ذلك»[1]، بيد أنه أحد أعضاء اللجنة الجامعة للقرآن لحفظه من الضياع، وذلك في عهدى أبي بكر وعثمانﷺ[2].

وكان أشهر من تتلمذ علي يد أبي بن كعب: أبو العالية وزيد بن أسلم ومحمد بن كعب القرظي رحمهم الله تعالى.

ومن المعلوم، أن المدينة المنورة هي دار الهجرة، وتعتبر عاصمة أو مركز الدولة الإسلامية في ذلك الوقت، ويُقال لها مدينة الرسول ﷺ إذ عاشﷺ فيها، فبطبيعة الحال كان جمع كبير من الصحابة ﷺ يسكنونها، أما بعد انتشار الإسلام واتساع الفتوحات الإسلامية فالذين أقاموا بهـا من الصحابةﷺ هم الذين لم يتحولوا عنها إلى غيرها من بلاد المسلمين[3].

وكانت مدرسة التفسير بالمدينة تعدّ من أقل المدارس اشتغالا بالتفسير، لأن المدينة «مهد السنن، وموطن الفتاوى المأثورة، يتلقى فيها حديث المصطفى ﷺ ويؤخذ منها آثار الصحابةﷺ، فأصبحت من أكثر المدارس اشتغالا بالمغازي والسير، والسنن والآثار، فصارت السنة شعار أهلها، والحديث وروايته محط اهتمام أصحابها»[4].

وأشهر المفسرين فيها أبو العالية رحمه الله.

-أبو العالية

هو أبو العالية رفيع بن مهران الرياحى مولاهم، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين، وهومولى امرأة من يربوع من بني رياح، رأى أبا بكر وقرأ القرآن على أبي بن كعبﷺ وغيره، وتوفى سنة تسعين من الهجرة على أرجح الأقوال[5].

-مكانته في التفسير

أبوالعالية له مكانة مميزة في تفسير القرآن الكريم، أستخلص منها:

---

[1] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص86.

[2] محمد حجازي:التعريف بالتفسير ومنهج رحاله،ج1،ص15،

[3] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1,ص86.

[4] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج1،ص505.

[5] انظ كاملا سير أعلام النبلاء، ج4،ص207-208، وانظر تهذيب التهذيب، ج12،ص160، وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص86، وانظر تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة، ج1،ص288.

1. روي أبو العالية التفسير عن كبار الصحابةﷺ، منهم علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وأبي بن كعب وغيرهم ﷺ[1] من أكابر الصحابة، وهذا تجعله مجمعا على ثقته، وأبو العالية من رواة أبي بن كعب، وقد روى عنه الربيع بن أنس.[2]

2. كان من أكثر الناس علما بالقراءاة، ويحفظ القرآن ويتقنه[3]، يقول الدكتور محمد الخضيري أن سبب براعته في القراءة أنه قرأ على سيد القراء أبي بن كعب ﷺ ولازمه[4]، وروى قتادة ﷺ عنه أنه قال: «قرأت القرآن بعد وفاة نبيكم بعشر سنين»، وروي معمر عن هشام عن حفصة عنه أنه قال:«قرأت القرآن على عهد عمر ثلاث مرات، وقال فيه أبي داود: «ليس أحد بعد الصحابة ﷺ أعلم بالقراءة من أبي العالية»[5]، وهذه الروايات تبين لنا أبا العالية مميز ويعد من أحسن التابعين في القراءة والتفسير، وهنا يرى الدكتور محمد الخضيري: «أنه اهتم في إيراد القراءات بجانب المعنى، فأورد القراءة شاهدا لإيضاحه»، ومثال ذلك، ما ورد عنه في قوله ﷻ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾[6]، قال في قراءة أبي بن كعب ﷺ: «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام»، قال تأتي الملائكة في ظلل من الغمام، ويأتي الله ﷻ فيما شاء[7].

3. وهو من ثقات التابعين المشهورين بالتفسير، ذكر الذهبي بعض العلماء القائلين بثقته، فمنهم، «ابن معين وأبو زرعة، وأبو حاتم ثقة، وقال اللا لكائي: مجمع على ثقته، وقال العجلى:تابعى ثقة»[8]، ومما يدل على ثقته أنه من أشد البصريين في قبول الأخبار أو الرويات.

4. خلوص تفسيره من الهوى والتعصب المذهبي، وهنا يقول الدكتور الخضيرى :أن مما يميز أبو العالية لبعده عن الأهواء والنحل التى كانت منتشرة بالبصرة كالحرورية والقدرية، وكان يقول:

---

[1] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص86-87، محمد حجازي: التعريف بالتفسير ومنهج رجاله،ج1،ص15.

[2] الزرقاني: مناهل العرفان،ج2،ص17.

[3] محمد الخضيرى: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج1،ص288-289، والتفسير والمفسرون،ج1،ص86-87.

[4] المصدر نفسه،ج1،ص289.

[5] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص87.

[6] البقرة:210.

[7] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج2،ص190.

[8] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص87.

«تعلموا القرآن، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وإياكم وهذه الأهواء فإنها توقع العداوة والبغضاء بينكم، فإنا قد قرأنا القرآن قبل أن يقتل (يعنى عثمان بن عفانﷺ) بخمس عشرة سنة»[1].

وهذا كله مما يؤيد مكانته في التفسير، والجدير بالذكر هنا، أنه يروى عن أبي بن كعب ﷺ نسخة كبيرة في التفسير يرويها أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى وهذا الإسناد مما اشتهرت صحته، كما أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم والحاكم في مستدركه والامام أحمد في مسنده[2].

المطلب الثالث: مدرسة التفسير بالكوفة وأشهر المفسرين فيها

قامت هذه المدرسة على يد عبد الله بن مسعود ﷺ، وكان غيره من الصحابة ﷺ جالسوه في الكوفة فأخذ عنهم أهل الكوفة التفسير، ولكن نظرا لشهرة ابن مسعود في التفسير وكثرة المروي عنه في ذلك فهو يعتبر الأستاذ الأول لهذه المدرسة، ومن أشهر من تتلمذ على يديه : قتادة بن دعامة السدوسى وعلقمة بن قيس، ومسروق، والحسن البصري رحمهم الله تعالى.

وكانت مدرسة الكوفة هي ثالث المدارس رتبة في العناية والاهتمام بعلم التفسير[3]، ومع أن أهلها يمتازون بأنهم من أهل الرأي[4]، ولذا من مميزاتها يعد هذه المدرسة من مدارس التفسير بالرأي[5]، ومع ذلك فقد آثرت الإقلال والورع فيه، وبذلك متأثرة بمنهج شيخها ابن مسعود ﷺ وتربيته[6]، واشتهر أصحابها بتفسير آيات الأحكام أكثر من غيرهم[7].

ومن أشهر المفسرين فيها:

---

[1] محمد الخضيرى: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة، ج1، ص295-296.

[2] محمد حجازي: التعريف بالتفسير منهج رجاله،ج1،ص16.

[3] محمد الخضيرى: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة، ج1،ص458.

[4] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص89.

[5] عبد الله شحاته: التفسير بين الماضى والحاضر، تونس : دار بوسلامة، د.ط،1981، ص14.

[6] محمد الخضيرى: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة، ،ج1،ص458.

[7] المصدر نفسه،ج2،ص726.

-قتادة بن دعامة

هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، وقيل: قتادة بن دعامة بن عكابة، عربي الأصل، وكان يسكن البصرة حافظ العصر، قدوة المفسِّرين والمحدِّثين، أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمه*، وتوفي بواسط بالبصرة ودفن بها سنة 117هـ، وعمره خمس وخمسون سنة[1].

-مكانته في التفسير

لقتادة مكانة مميزة في القرآن وتفسيره متمثل في النقاط الآتية:

1. كان عالما كبيرا واشتهر بقوة حافظته[2]، وفى هذا الشأن، يقول الدكتور محمد الخضيرى: هناك كثير من أقوال العلماء يؤيد سعة علمه وقوة حفظه، وذكر بعض منها: محمد بن سيرين: «قتادة أحفظ الناس»[3]، وقال سعيد بن المسيب: «ماأتاني عراقي أحفظ من قتادة»[4].

ومما يدل على مكانته، كان رحمه الله من أوعية العلم وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ، قال معمر: سمعت قتادة يقول: «ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئًا»، وكان رحمه الله يختم القرآن في سبع أيام، وإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث أيام، فإذا جاء العشر ختم كل ليلة، قال أحمد بن حنبل: «كان قتادة عالمًا بالتفسير وباختلاف العلماء، والترمذي قال:حدثنا الحسين بن مهدي البصري، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، قال: «ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئا»[5]، ويقال «وكان قوي الحافظة واسع الاطلاع في الشعر العربى بصيرا بأيام العرب عليما بأنسابهم متضلعا في اللغة العربية»[6].

---

* الأكمه: الذي يولد أعمى، اللسان كمه.

[1] انظر كاملا ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج8، ص310-319، وانظر سليمان معرفي:في علوم القرآن،ص15، وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص93-94، وانظر علي الصابني:التبيان في علوم القرآن،ص82.

[2] محمد الخضيرى: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج1،ص252،250.

[3] طبقات المفسرين،ج2،ص43، محمد الخضيرى: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة ،ج1،ص252.

[4] محمد الخضيرى: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة ،ج1، ص252.

[5] الترمذي، رقم الحديث: 3957، ج5، ص200.

[6] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص93-94،م حمد حجازي: التعريف بالتفسير ومنهج رجاله،ج1،ص22، وانظر محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة، ج1،ص283.

وهذه كلها من أدوات التفسير للقرآن الكريم ويساعد من يفسر القرآن، وهنا كانت شهرته ومكانته في التفسير.

2.«كان قتادة رحمه الله أكثر التابعين أقوالا في التفسير، وقد سبق مجاهدا في عدد الآيات التي تعرض لها»[1]، والجدير بالتنبيه أن الدكتور الخضيري أحصى في تفسير الطبري المروي عن قتادة فبلغ (5379) قولا، وكان المروي عنه بغير المكرر (4443) قولا، في حين بلغ المروي عن مجاهد بالمكرر (6109) قولا، وبغير المكرر (3343) قولا[2]، وهذا مما يدل مكانته في التفسير.

3.ومما دفع مكانته في التفسير وشد المفسرين إليه أنه لم يدخل في شيء من الفتن[3] التي عاصرته ولا خاض فيها، و لم يميل إلى الفرق الحادثة فلم يختلط تفسيره بشيء عن الأغراض الدنيوية والأهواء الدنية أو انتصر لمذهب حادث أو حزب بارز، وهذا مما يجعل له مكانة في التفسير.

[1] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛عرض ودراسة مقارنة،ج1،ص252.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص252.

[3] المصدر نفسه ،ج1،ص287.

المبحث الثاني: هل دون التفسير في هذه المرحلة؟

قلنا في المبحث الثاني عن "التفسير في عهد الصحابةﷺ"، أنه لم يدون التفسير في ذلك العهد، وكان كحاله في عهد الرسالة؛ منتثرا بين الرجال، ومبثوثا بين أظهرهم، محفوظا في الصدور ويتناقل بطريق الرواية، أي كانوا يروون عن رسول الله ﷺ كما يروون عن بعضهم لبعض، والتابعون يروون عن الصحابة ﷺ كما يروى بعضهم عن بعض ثم ينقلونه إلى من بعضهم من التابعين[1]، وهذه الظاهرة تتجلى في مدارس التفسير التي ذكرتها سابقا، إذ يروي الأساتذة من الصحابة إلى تلاميذهم من التابعين وينق التابعون بعضهم بعضا.

وسبق أن ذكرنا، لما انقضى عصر الصحابة ﷺ وصار الأمر إلى تابعيهم كانت الفتوحات الإسلامية قد توسعت فانتشر الإسلام واتسعت الأمصار وتفرقت الصحابة ﷺ في البلدان، وحدثت بذور الفتن واختلفت الآراء بين بعض الصحابة ﷺ[2]، وفي هذه الأحوال قامت مدارس التفسير في الأمصار التي التي كان فيها علماء من الصحابة ﷺ.

ومن المظاهر المميزة لهذا العهد هو الكتابة، فلم يكتفوا بالحفظ بل استعانوا بها في الكثير من العلوم والشؤون.

فهناك جماعة من التابعين يكتبون لأنفسهم، واستجابوا ذلك اقتداءً بأولئك الصحابةﷺ[3]، الذين كانوا يكتبون التفسير في صحائف متفرقة، وإضافة على ذلك مما دعت للكتابة أيضا أن الكذب على رسول الله ﷺ قد كثر في عهدهم، وهذا بسبب بداية ظهور الفرق الإسلامية والسياسية التي بدأت بذورها مند مقتل عثمان بن عفانﷺ، وبسبب من دخل في الإسلام ممن لا يرجو له وقارا، ولا للمسلمين استقرارا[4].

فهذه كلها تعني ظهور بوادر تدوين تفسير القرآن الكريم في عهد التابعين رحمهم الله، وكان ظهور أول كتاب في التفسير ارتبط بابن عباس ﷺ والذي يعدّ من الصحابة ﷺ أكثر تحمسا كتابة التفسير[5].

---

[1] الذهبي: التفسير والمفسرون، ج 1،ص104، محمد حجازي: التعريف بالتفسير ومنهج رجاله،ج1،ص37.

[2] عبد الله شحاته: التفسير بين الماضي والحاضر، ص14.

[3] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج1،ص35.

[4] المصدر نفسه،ج1،ص36.

[5] إسماعيل هرماس:لمحات عن المدونات الأولى في التفسير، ص38-39، بتصرف يسير.

ومما يدل على ظهور حركة الكتابة والتدوين في هذا العهد بعض الروايات الآتية:

لما حجّ ابن عباس ﷺ بالناس في عهد علي بن أبي طالب ﷺ، خطب خطبة بليغة، ثم قرأ عليهم سورة النور، فجعل يفسرها، وكان يحض على قراءة القرآن وتفسيره، وكان تلاميذه كسعيد بن جبير، ومجاهد والضحاك و عطاء يكتبون تفسيره في ألواحهم، وقد ذكر موسى بن عقبة أن كريب بن مسلم -تلميذ ابن عباس ﷺ-قد حفظ حمل بعير من مؤلفات أستاذه، وكان علي بن عبد الله بن عباس يكتب لموسى بن عقبة بين وقت وآخر يطلب منه أن يرسل إليه صحيفة من كتب أبيه لينسخها ثم يرد إليه[1].

وروي أن سعيد بن جبير رحمه الله رحل إلى أقطار كي يكتب قول أصحاب رسول الله ﷺ في بيان آية أو تفسيرها وكان يرحل إلى ابن عباس ﷺ يسأله ويكتب ما سمعه منه،وهو يقول عن نفسه :«ربما أتيت ابن عباس فكتبت في صحيفتي حتى أملأها، وكتبت في نعلي حتى أملأها، وكتبت في كفي»[2].

ومن هنا لا مشاحة في القول أن عهد التابعين قد بدأ فيه تدوين التفسير، ومما يدل على ذلك أن أول كتاب ظهر في التفسير كان لمجاهد[3]، يقول أبو ملكية: «رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس ﷺ عن تفسير القرآن ومعه ألواحه فيقول ابن عباس ﷺ: اكتب، قال: حتى سأله عن التفسير كله»[4]، وهناك روايات أخرى في هذا المعنى، وهذه الرواية تبين لنا أن مجاهد رحمه الله قد دون تفسير القرآن كاملا.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد الخضيرى: هناك نسخة وحيدة لتفسير مجاهد وهي مصورة بدار الكتب المصرية[5]، ويجدر التنبيه هنا أن لهذا التفسير المطبوع الآن[6]، قد يروي فيه عن

---

[1] انظر سعود الفنيسان: اختلاف المفسرين، ص.32-33.

[2] سير أعلام النبلاء،ج4،ص335، السيد محمد نوح و عبد الرزاق خليفة : التابعون وجهودهم في خدمة الحديث النبوي،ص38.

[3] محي الدين بلتاجي: ودراسات في التفسير وأصوله،36، محمدالخضيرى: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج2،ص36 وج1،ص68، ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير،ص28، إسماعيل هرماس:لمحات عن المدونات الأولى في التفسير،ص23، عبد الله شحاته: التفسير بين الماضى والحاضر،ص14،أحمد إسماعيل نوفل: مجاهد المفسر والتفسير،ص 276.

[4] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص79، عبد الله شحاته: التفسير بين الماضى والحاضر، ص.14.

[5] رقم 1075 نسخت في سنة 544هـ عن مقدمة تفسير مجاهد، ج1،ص56، نقلا عن محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج1،ص78.

[6] مثلا طُبع في بيروت: دار المنشورات العلمية، بتحقيق عبد الرحمن السورتي الباكستاني.

غيره من التابعين، مثل الرواية عن سعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة وأبي العالية، ونسبة الروايات لمجاهد 80% [1] من غيره من التابعين[2]، ولذا يقول الدكتور إسماعيل نوفل[3] : أن هذا الكتاب أوالمخطوط الذى جمعها ابن خيرون هو تفسير مجاهد لغلبته أقوال المنسوبة إليه على الأقوال المنسوبة إلي غيره، وقد أشار العلماء التفسير كابن تيمية وابن نديم وغيره، هذا يدل على أن كتاب مجاهد في التفسير ظل موجودا إلى زمانهم.

وبعد هذا العرض، يمكن القول أن تفسير مجاهد لا مراء في وجوده،كما جاء ذلك في رواية الحديث، وإنما بسبب مرور الزمان الذى وصل إلينا 80%، وعلى الرغم مما سبق بيانه، فإنه لا بد من القول أن بداية تدوين التفسير عند مجاهد.

ومن المدونات الأولى في التفسير ما كان لسعيد بن جبير[4]، وهناك رواية القائلة أن عكرمة كتب التفسير، ويذكر في الإتقان أن عكرمة المتوفى سنة 105هـ يقول «لقد فسرت مابين اللوحين»[5]، ومما يؤكد عمل عكرمة أن ابن النديم[6] ذكر كتاب لعكرمة فيما أورده من الكتب المصنفة في تفسير القرآن، وأرجح الأقوال أن صاحب مدونة الأولى في التفسير هو تفسير مجاهد[7].

والجدير بالذكر ماقاله الدكتور محي الدين بلتاجي: كانت وسيلة نقل التفسير بالمأثور في أول أمره شأنه كسائر العلوم الإسلامية المشافهة بطريق الرواية، والمشهور أن أول من دون التفسير هو مجاهد بن جبر المتوفى عام 104 هـ، وهذا أن ذلك في القرن الأول الهجرى[8].

---

[1] «مجموع روايات الكتاب 2169 رواية، وينتهى لمجاهد منها-سواء مارفعه لغيره وهو قليل جدا، أو لم يرفعه-1760 أي نسبة حوالى (80%)، ولغير مجاهد (409) أي نسبة (20%)، أحمد إسماعيل نوفل: مجاهد؛ المفسر والتفسير،ص327.

[2] انظر أحمد إسماعيل نوفل:مجاهد المفسر والتفسير، ص312، محمد الخضيرى: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج1،ص69.

[3] المرجع نفسه،ص313، بتصرف يسير.

[4] انظر تفسير التابعين؛ محمد الخضيرى: عرض ودراسة مقارنة ج2،ص960، عبد الله شحاته: التفسير بين الماضي والحاضر، ص14، يوسف خليف:دراسات في القرآن والحديث، القاهرة : مكتبة الغريب،د.ط،د.ت، ص120، وانظر لطفي الصباغ: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير،ص213.

[5] السيوطي: الإتقان، ج2،ص190.

[6] ابن النديم: الفهرست،تعليق إبراهيم رمضان، بيروت: دار المعرفة، 1994، ص57،.

[7] إسماعيل هرماس: لمحات عن المدونات الأولى في التفسير،ص42.

[8] محي الدين بلتاجي:دراسات في التفسير وأصوله،ص36.

ومن هنا، الذين يقولون إن بداية التأليف في التفسير كانت في القرن الثالث الهجري ومن هؤلاء ابن ماجه (ت.273هـ) وابن جرير الطبري (ت.310هـ)، وابن المنذر النيسابوري (ت.318هـ) وغيرهم من المفسرين[1]، إنما المقصود قولهم تصنيف التفسير، وهو «التأليف الموسوعي والجامع، يتجه إلى استيعاب مجمل الآثار، ولا يتردد في الاستفادة من دعائم الرأي والاجتهاد»[2].

ومحصل القول، أن التفسير دون في عهد التابعين، والتدوين في هذا العهد لم يقتصر على التفسير، فقد نشطت الحركة العلمية فيه نشاطا هائلا، وكان من آثاره بدء مرحلة التدوين الرسمي للسنة النبوية الشريفة في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني، وذلك أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أمر أن يجمع أحاديث الرسولﷺ، وكان في تضمنها التفسير ما أثره عن الرسولﷺ وبعض ماهو موقوف على الصحابة ﷺ أو التابعين، وكانوا يدونون ويجعلونه أبوابا متنوعة، وكان التفسير بابا من هذه الأبواب[3]، والمحاولة الأولى في تدوين الحديث قام بها أحد التابعين الكبار وهو محمد بن شهب الزهري المتوفى سنة 124هـ، بأمر من خليفة الراشد عمر عبد العزيز[4].

❁❁❁

[1] انظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص105،وانظر أحمد أمين:ضحى الإسلام،ج2،ص142، وانظر سعود الفنيسان: اختلاف المفسرين، ص39-41، وانظر الشحاتة زغلول: من مناهج التفسير،ص81، وانظر صلة التفسير بالحديث: أمين الخلي، مادة تفسير في دائرة المعارف الإسلامية،ج5،ص349-350.

[2] إسماعيل هرماس:لمحات عن المدونات الأولى في التفسير،ص24.

[3] الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث،21.

[4] انظر يوسف خليف: دراسات في القرآن والحديث، ص165، وانظر محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة، ص38-39.

المبحث الثالث : مصادر التفسير في عهد التابعين

لم يكن ثمة فارق كبير بين مصادر الصحابة والتابعين في التفسير، وذلك لأن التابعون تلقوا تفسيرهم من الصحابةﷺ، وأنهم سلكوا منهج الصحابة ﷺ في التفسير؛ فيرجعون إلى القرآن أي تفسير القرآن بالقرآن، وإلى ما أثر عن النبي ﷺ من تفسيره وسننه عامة، وإلى ماروواه الصحابة ﷺ من تفسيرهم وأقوالهم، وإلى أهل الكتاب عند الحاجة إليهم، ثم إلى الفهم والاجتهاد[1]، وإن كان التوسع فيها مما ميز به هذا العهد.

فقد أضافوا إلى مصادرهم في التفسير بالرجوع إلى أقوال الصحابةﷺ، وكذلك زادوا ما اجتهدوا فيه[2] وقد توسعوا فيه، وهذا يرجع لميراث الصحابة ﷺ حيث لم يشمل تفسير آيات القرآن جميعها، فوجد التابعون أمامهم المجال رحبا لتفسير القرآن اعتمادا على ما تيسر لهم من مصادر وأدوات الفهم، فظهرت آثار جهودهم واضحة في عصورهم، وألجأهم إلى ذلك ما استجد من أحداث بسبب الفتوحات الإسلامية، وما طرأ عليهم من أحوال وقضايا، وما صادفوه من غموض في بعض جوانب التفسير في عصرهم[3].

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن

قد سبق أن ذكرنا أن القرآن الكريم كتاب يفسر بعضه بعضا[4] أي تفسير آية بغيرها من الآيات، ويعتبر القرآن أول مصدر التفسير؛ لأن المتكلم به هو الله ﷻ أولى من يبين مراده بكلامه؛ فلذا تبيّن مراده به منه، فإنه لا يُعدل عنه إلى غيره.

ومن ثم كان النبي ﷺ وأصحابه الطاهرين ﷺ يتوجهون في تفسيرهم أول ما يتوجهون إلى القرآن، فجاء الجيل من بعدهم من التابعون يسلكون هذا المنهج في التفسير، وكان أول مايرجعون إليه في تفسيرهم القرآن.

---

[1] انظر التفسير والمفسرون،ج1،ص76، انظر فهد الرومي: بحوث في أصول التفسير ومناهجه،ص30-31.

[2] لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجهات التفسير،ص208، محمد محمود حجّا: التفسير ورجاله،ص29.

[3] التفسير والمفسرون،ج1،ص126، وانظر عزيز لعواش : خصائص المنهج اللغوي في التفسير حتى نهاية القرن الثالث الهجري، رسالة الماجستير، الأمير عبد القادر، 1999-2000،ص25.

[4] التفسير والمفسرون،ج1، ص31، وانظر سعود الفنيسان: اختلاف المفسرين، ص25، وانظر أبو شهبة: الإسرائيليات والموضعات في كتب التفسير، ص44.

ولقد نهج التابعون مسالك كثيرة في تفسير القرآن بالقرآن، فتلاميذ مدرسة مكة هم الأكثر استعانة بهذا المنهج، وأما مجاهد فهو أكثر نتاجا في هذا الباب[1]، وهذا كما تشهد كتب التفسير، ومن أبرز هذه الكتب، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، وتفسير القرآن العظيم، لإبن كثير، ومفاتيح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن، للأمير الصنعاني، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي.

ومثال ذلك ماورد عن قتادة رحمه الله في تفسير قوله ﷻ: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾[2]، أي بطاعته، وقال في آية أخرى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾[3]، فهنا نرى كيف كان قتادة يفسر معنى الآية بآية أخرى متقاربة في بعض اللفظ، ومثال آخر جاء في تفسير قوله ﷻ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[4]، قال مجاهد: قوله ﷻ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾[5]، حتى فرغ منها[6]، وهنا فسر مجاهد الآية بآية أخرى تحمل موضوع نفسه وإن اختلف اللفظ[7].

وهذان نوعان نوعين من طرق التابعين وأساليبهم في تفسير القرآن بالقرآن: تفسير معنى الآية بآية أخرى متقاربة في بعض اللفظ، وتفسير الآية بآية أخرى تحمل موضوع نفسه وإن اختلف اللفظ[8].

---

[1] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج2،ص610.

[2] مريم:87.

[3] طه:109.

[4] البقرة:37.

[5] الأعراف:23.

[6] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص194.

[7] تفسير التابعين؛عرض ودراسة مقارنة،ج2، ص611-612.

[8] وقد ذكر الدكتور محمد الخضيري غيرها وهي كثير، انظر كاملا المصدر نفسه،ج2،ص611-627.

ومما ينبغي التنبيه إليه، أن طريق الوصول إلي التفسير بالقرآن هو الرأي والاستنباط، ولذا لا يلزم قبول كل قول، لأن هذا الاجتهاد قد يكون غير صواب، ومن ثم إذا ورد تفسير القرآن بالقرآن عن مفسر مشهور معتمد عليه فإنه يدلّ على علو ذلك الاجتهاد؛ لأنه من ذلك المفسر.

فورود التفسير بالقرآن عن علي بن أبي طالب ﷺ أقوى من وروده عن من بعده من التابعين وغيرهم،، وهذا لا يمكن القول بحجيّة تفسير القرآن بالقرآن مطلقاً، بحيث يجب قبوله ممن هو دون النبي ﷺ، بل هو مقيد بأن يكون ضمن الأنواع التي يجب الأخذ بها في التفسير، وإنما تفسير القرآن بالقرآن يكون أبلغ التفاسير إذا كان المفسّر به من كبار المفسرين من الصحابة ﷺ ومن جاء بعدهم من التابعين.

وكلما كان تفسير القرآن بالقرآن صحيحاً، فإنه يكون أبلغ التفاسير، ولذا ورُود تفسير القرآن بالقرآن عن النبي ﷺ أبلغ من وروده عن غيره؛ لأن ما صح مما ورد عن النبي ﷺ مَحَلّهُ القبول، بيد أن قبوله لم يكن لأنه تفسير القرآن بالقرآن، بل لأن المفسّر به هو النبي ﷺ.

المطلب الثاني: السنة النبوية

قلنا فيما سبق، أن النبي ﷺ قد فسر الكثير من آيات القرآن، وأن السنة مفسرة للقرآن، وكانت تفاسير النبي ﷺ والسنة النبوية يرويها الصحابة ﷺ عن النبي ﷺ فيروي بعضهم لبعض، ثم يروون للتابعين ويروي بعضهم لبعض كما يروون أقوال الصحابة في التفسير.

ومن هنا كان المصدر الثاني لتفسير التابعين هو السنة النبوية إقتداءً بالصحابةﷺ، وأرى هذا يرجع لسببين:

1.لاشك أن التابعين من أحسن الناس اقتداء وامتثالا بهدي النبي ﷺ، فهم من "خير القرون"، فلذا كانوا دائما يرجعون إلى النبي ﷺ قولا وفعلا لأمورهم ومنها في تفاسيرهم اقتداء بالصحابة ﷺ، يقول االدكتور محمد الخضيرى: «أن مما يبين على عظيم احتفاء وعنايتهم بالمروي عنه ﷺ أنه قل أن نجدهم من يخالفون ماصح عنه ﷺ من تفسيره»[1].

[1] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة، ج2، ص638.

2.مراعاة الحاجة إلى البيان لما غمض فهمه في عصرهم الذي لم يكن في عهد النبي ﷺ وأصحابه، فلذا توسعوا في مجال التفسير بالسنة وذلك مراعاة للحاجة في عهدهم، ومع ذلك كانوا يحرصون على الرجوع إلى الشواهد من السنة النبوية.

مثال ذلك ما ورد عن الحسن البصري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾[1]، قال: كان الرجل يطلق ويقول: كنت لاعبا ويقال: كنت لاعبا، وينكح ويقول: كنت لاعبا، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾، وقال رسول الله ﷺ :﴿من طلَق أو نكح أو أنكح، جادا أو لاعبا، فقد جاز عليه»[2].

من هذه الأمثلة تبين لنا كيف كان التابعون يرجعون ويستشهدون في تفسيرهم بالسنة النبوية.

ويجدر التنبيه هنا إلى ماقاله الدكتور محمد الخضيرى عند بيان مقدار اعتماد التابعين للسنة في تفسيرهم، أن مدرسة التفسير بالمدنية تعد من أكثر مدارس عناية بالسنة رواية في المقام الأولى ثم ودراية، إلا أن المنقول عنهم في هذا الباب حفلت به كتب السنة أكثر مما حفلت به كتب التفسير، وأما المدرسة التي كثر النقل عنها في كتب التفسير مما اعتمد فيه على مصدر السنة المدرسة البصرية[3]، فكان إمام البصرة : الحسن وقتادة يكثران من ذلك[4].

وقد ذكر في كتابه تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة بعض أمثلة وكذلك بين فيه مسالك التابعين في تفسيرهم للقرآن الكريم[5].

---

[1] البقرة:231.

[2] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1،ص499.

[3] «بلغ عدد الروايات التي اعتمد فيها التابعون ماجاء عن النبي ﷺ (394) رواية منها (287) رواية عن المدرسة البصرية أي نسبة (0،73) من مجموع المروي جاء عن البصريين، في حين كانت نسبة المروي عن المكيين لم يزد عن (0،16) وعن الكوفيين (0،06) فقط»، محمد الخضيرى: انظر تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج2، ص634.

[4] المصدر نفسه،ج2،ص633-634

[5] انظر تفصيلا المصدر نفسه،ج2،ص642-650.

المطلب الثالث: أقوال الصحابة ﷺ

وبعد تتبع مصادر الصحابةﷺ؛ الإعتماد على القرآن والسنة، كان التابعون يرجعون في تفسيرهم إلى أقوال الصحابةﷺ، وهذا المصدر يعد أهم المصادر التي اعتمد عليها التابعون، حيث كان الغالب على مكثريهم في التفسير العناية والاهتمام بها[1].

كان التابعون يدركون مكانة وفضل الصحابة ﷺ، وذلك من حيث أن الصحابةﷺ عاشوا في خير القرون مع النبي ﷺ وتربوا في مدرسته النبوة الشريفة، وفطنوا أنهم أقدر الناس بتفسير القرآن بعد النبي ﷺ، وفضلا سلامة فطرتهم وصفاء نفوسهم وصالح أعمالهم كما شهدوا القرآن بين ظهرانيهم مباشرة.

ولقد سبق أن ذكرنا، أن الصحابة ﷺ يفسرون القرآن، والتابعون تلقوا وأدركوا واستوعبوا هذه كلها -بجانب أقوالهم غير التفسير-، وذلك في مدارسهم التفسيرية.

ومما يدل على اعتماد التابعين على أقوال الصحابة في تفسيرهم، عرض بعض التابعين قراءتهم على أساتذتهم من الصحابةﷺ، فمع هذا العرض أي أثناءه قد يأتي توضيح من الصحابي التفسير أو عند سؤال التابعي عنه كلما مرت بآية تكون غامضة عنده فيبين الصحابة ﷺ باعتبار أنهم أقدر الناس على تفسير القرآن بعد النبيﷺ، وهذا مجاهد رحمه الله يقول: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها»[2]، وهذا أبو العالية يقول: «قرأت القرآن على عمر ثلاث مرات»[3].

من هنا، يتبين لنا أن التابعين يستعينون بأقوال الصحابة ﷺ في تفسيرهم، وهنا يقول صاحب "مناهل العرفان": تفسير التابعين غالبا ما تلقوه عن الصحابة[4]، ويقول صاحب الإتقان: أن من التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابةﷺ[5].

وكان التابعون يقدرون ويعظمون أقوال واجتهاد الصحابةﷺ ويقدمونها على آرائهم ويقتدون بأفعالهم، وهنا يقول الشعبي لبعض أصحابه: «وماحدثك عن أصحاب محمدﷺ فخذ

[1] المصدر نفسه،ج2،ص900.

[2] ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير،ص65.

[3] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج1،ص289.

[4] الزرقاني: مناهل العرفان، ج2،ص12.

[5] السيوطي : الإتقان،ج2،ص500.

به»[1]، وهذا لأنهم تلقوا عنهم وأدركوا قيمتم في التفسير، ولذا المتأمل لتفاسير التابعين يجد أنهم يرجعوا إلى أقوال الصحابة ﷺ في تفسيرهم، فمن هنا نقول أن من مصادر التفسير في هذا العصر أقوال الصحابة ﷺ.

ويجدر التنبيه هنا، أن الأخذ عن الصحابة ﷺ من أكثر المصادر في هذا العصر وأهمها التي عني بها التابعون واعتمدوا عليها واستفادوا منها، والمتأمل تفاسيرهم يجد أن جانبا كبيرا منها مأخوذ عن الصحابة ﷺ، سواء صرح بذلك التابعي أو لم يصرح به في تفسيره -وهو في أصله قول الصحابي-[2]، وهذا من باب تقدير التابعين لقيمة تفسير الصحابة ﷺ.

وأما منهج التابعين في الرجوع إلى أقوال الصحابة ﷺ فقد ذكر الدكتور محمد الخضيري[3] ما يلي:

1. إذا كان التفسير الصحابي يرفعه للنبيﷺ ومما لا مجال للرأي فيه، يأتي موقف التابعين بعدم مخالفته وتجاوزه.

2. وإذا كان التفسير الوارد عن الصحابي من باب الاجتهاد وجار على مقتض اللغة، فإنهم غالبا لا يخالفونه، وهنا يرى الزركشي والسيوطي: إن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان والفصاحة باللغة العربية، أو بما شاهده من أسباب النزول والقرائن فلا شك فيه[4].

3. وإذا تعارضت الأقوال المنقولة عن الصحابةﷺ فيما بينهم، فإن التابعين يسلكون مسلك الترجيح بينها، والترجيه قد يكون باللغة، أو السنة النبوية، أو بقول صاحبي آخر يجمع به بين الأقوال.

المطلب الرابع: الرأي كمصدر من مصادر التفسير

لقد ذكرنا في الفصل الثاني، أن التفسير بالاجتهاد أو التفسير بالرأي كان نشأته إلى جانب نشأة التفسير بالمأثور وهو في عهد الصحابة ﷺ، وكان من مصادر التفسير في عهد الصحابة ﷺ هو الرأي والاجتهاد ولكن كان في إطار ضيق جدا، ينحصر فيما لم يسمع أحدهم

[1] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛عرض ودراسة مقارنة،ج2،ص652.

[2] المصدر نفسه،ج2،ص677.

[3] انظر تفصيلا المصدر نفسه،ج2،ص6659-660.

[4] السيوطي : الإتقان،ج2،ص518.

تفسيره من رسول الله ﷺ[1]، وكذلك ذكرنا تفصيلا عن خلوصه تفسير الصحابة عن التفسير بالرأي المذموم.

وقلنا في بداية هذا المبحث أنه لم يكن ثمة فارق كبير بين مصادر الصحابة ﷺ والتابعين في التفسير، ومن ذلك لأن التابعون يرجعون في تفسيرهم إلى الرأي والاجتهاد.

وفي نظرى جاء الرأي كالمصدر في تفسيرهم لسببين وذلك كما كان يسبب ظهورها عند الصحابة ﷺ، وهما:

1. لأن رغم كثرة المنقول عن النبي ﷺ والصحابة ﷺ ولكن لم تستوعب بيان كل آية القرآن، ولذا جاء التابعون باجتهادهم ما لم يجدوا من المأثور عن النبي ﷺ وأصحابه ﷺ.
2. أن مستلزمات في عصرهم وكثرة قضايا جديدة فيه داعت إلى ابراز أكثر البيان من القرآن، وخاصة إذا كانت تعلق بالقرآن والتشريع، ولذا كان سؤال الصحابة ﷺ للنبي ﷺ عن التفسير قليلا، وأما سؤال التابعين للصحابة ﷺ أكثر، وسؤال تابع التابعين للتابعين أكثر[2].

والجدير بالذكر، أن التابعين قد توسعوا عند رجوعهم إلى الرأي والاجتهاد والاستعانة والاعتماد عليه، سوف يأتى تفصيل لهذا الموضوع عند البحث عن خصائص التفسير في هذا العهد، إن شاء الله تعالى.

ومثال التفسير بالرأي عند التابعين، جاء في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[3]، يقول أبو العالية :«فإذا جاءت آجالهم وانقطعت مدتهم، صاروا كالبعوضة، تحيا كاجاعت وتموت إذا رويت، فكذلك هؤلاء الذين ضرب لهم هذا المثل إذا امتلأوا من الدنيا ريا أخذهم الله فأهلكهم»، ويقول مجاهد:«الأمثال كبيرها وصغيرها، يؤمن بع المؤمنون، ويعلمون أنه الحق من ربهم ويهديهم الله به»[4].

---

[1] محمد حوّا: التفسير ورجاله،ص41.

[2] عبد الله بن أحمد المنصور: مشكل القرآن الكريم، دار ابن الجوزى: السعودية،ط1، 1426هـ،ص90.

[3] البقرة:26.

[4] تفسير مجاهد،ج1،ص72، نقلا عن عبد الرحمان بن أبي حاتم : تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، تحقيق أسعد محمد الطيب، بيروت : المكتبة العصرية، ط2، 1999،ج1، ص68.

وأما عن مواطن الرأي في تفسير التابعين أستخلصه ماقاله الدكتور محمد الخضيرى[1] مـــا يلي:

1.بيان المراد من النص، وذلك إذا كان النص خفي الدلالة بسبب إجمال فى اللفظ أو التركيب.

2.رفع التعارض بين النصوص التي يوهم ظاهرها التعارض، وهذا أكثرها.

3.استنباط بعض الأحكام من النصوص القرأنية.

4.بيان الفروقات بين ماتشابه من الكلمات، والمعنى والتفسير بين النظائر.

5. العناية الفائقة بدقائق من علم الكتاب العزيز، كمباحث عد الآي والكلمـــات في القـــرآن وغيرها.

وبعد العرض السابق يتبين لنا أن التابعين يرجعون كـــثيرا إلى الـــرأي أو الاجتـــهاد في تفسيرهم كمصدر من مصادرهم في التفسير.

المطلب الخامس : أهل الكتاب من اليهود والنصارى

ثبت أن ذكرنا، أن الصحابة ﷺ كانوا يرجعون إلى أهل الكتاب، وذلك لأن من أهل الكتاب من أسلم وعاش مع أصحاب النبي ﷺ، فسألوا بعضهم عن قصص ماتضمنها القرآن والتي وُجدت في التوراة والإنجيل مفصلا، رغم رجوع بعض الصحابة ﷺ إلى أهل الكتاب ولكن كان تلقوه في حرص وحذق، ولهذه ما تشربت إلي تفاسيرهم من أباطل الإسرائيليات أو الإسرائيليات الواهية.

وكان في عهد التابعين تزايد عدد من دخل الإسلام من أهل الكتاب ومـــن العجـــم، وكـــانـــت الـــنـــفوس ميالة لسماع تفاصيل ما جاء اجمالها في القرآن الكريم، ولا سيما فيما يعود إلى أحـــداث يـــهـــودية أو نصرانية مما جاء في العهدين، فكان المسلمون يستمعون إلى أقاصيص هؤلا من أهل الكتاب، ويصغون مسامعهم إلى تلكم الأساطير، فظهرت في ذلك العهد عدد من المفسرين أرادوا أن يسدوا هذه الثغرات القائمة في التفسير بما هو موجود عنـــد أهـــل الكتاب من اليهود والنصارى فحشوا التفسير من قصص متناقض[2]، وحتى يُقال أن التابعين قـــد

[1] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج2،ص711.

[2] محي الدين بلتاجي: دراسات في التفسير وأصوله، ص28-29.

توسعوا وتساهلوا في أخذ عنهم[1]، وهناك من اشتهر برواية الإسرائيليات من التابعين، منهم كعب الأحبار وهب بن منبه[2]، ولذا رأى العلماء أن رواية التابعين للإسرائيليات سواء كانت في التفسير أم في غيره أكثر من قبلهم أي في عهد الصحابة ﷺ[3].

ومثال ذلك جاء في قوله ﷻ:﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[4]، في هذه الآية يقول قتادة: «كتبت الشياطين كتبا فيها سحر وشرك، ثم دفنت تلك الكتب تحت كرسي سليمانﷺ، فلما مات سليمان ﷺ استخرج الناس تلك الكتب، فقالوا: هذا علم كتمناه سليمان، فقالى الله جل وعز تلك الأية»[5].

ويجدر التبيه هنا، ليس كل التابعين سواء في أخذهم عن أهل الكتاب، فمنهم اعتمد به كثيرا، ومنهم من ترك الاعتماد على هذا المصدر[6].

المطلب السادس : مراجعة اللغة في صميمها

ومما لاشك فيه أن ماتضمنه القرآن المنزل باللغة العربية هو مايفهم العرب من لغتها أي فإذا قرئ على العرب أو ممن يتمكنوا من الفهم اللغة العربية فإنهم يفهمونه، كما قال ذلك ابن عباسﷺ[7]، ولذا جائت اللغة العربية بوصفها مصدرا رئيسا في وقت مبكر[8]، وكان الصحابة «يفهمون القرآن ويعرفون معانيه، شأن أي كتاب يقرؤد قوم»[9]، ويقول ابن خلدون:« أن

---

[1] سيأتي تفصيل عن توسع التابعين في أخذ من أهل الكتاب عند البحث عن خصائص التفسير خلال العهد، إن شاء الله تعالى.

[2] انظر الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص74.

[3] انظر إبراهيم خليفة: دراسات في مناهج المفسرين،ص324، وانظر الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص50، وانظر السيوطي : الإتقان،ج2، ص502،وانظر مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص355، وانظر محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج2،ص891.

[4] البقرة:102.

[5] انظر محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة ،ج2،ص892.

[6] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج2،ص882.

[7] انظر السيوطي:الإتقان،ج2،ص415، وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1،ص42.

[8] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارن،ج2،ص681.

[9] المصدر نفسه.

القرآن نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمون ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه»[1].

وفي عهد التابعين كان مدرسة التفسير بمكة هي التي وضعت الأساس العامة لهذا اللون من التفسير، وكان صاحب هذا الاتجاه هو عبد الله بن عباس ﷺ رأس هذه المدرسة، وقد استعان في تفسير كثير من غريب لفظ القرآن وتركيبه بالشعر العربي ماكان منه جاهليا، وما رددته ألسنة الفحول لصدر الاسلام[2].

وكان في عهد التابعين –كما قلت سابقا–تزايد كثيرا عدد المسلمين ومن مختلف درجاتهم؛ فمنهم متعلمين ومنهم غير ذلك ومنهم مالهم فصاحة جيدة فى اللغة ومنهم غير ذلك، فقد تزايدت القضايا في ذلك العصر، يقول الدكتور الذهبي: أن المشتغلون بالتفسير في هذا العهد لابد له أن يكملوا ماغمض فهم القرآن على معاصريهم[3]، وكان ما غمض على فهمهم منها من الناحية اللغوية، وذلك ترجع لسبب ضعف بعض منهم في اللغة العربية، أو لم تعد سليقة عند كثير من الناس وأهل الخضر خاصة[4]، أو لقلة اهتمام باللغة العربية عند بعض المسلمين في هذا العهد، ومن ثم نجد عدد المفسرين من التابعين الذين يفسرون القرآن باللغة العربية.

وكان التابعون يعيشون مع أفصح العرب وهم الصحابة ﷺ وأخذ وتعلم منهم اللغة العربية، فلا شك حفاظ الصحابة ﷺ للغة العربية وحرصهم عليها وذلك لفهم وراثة النبي ﷺ؛ القرآن والسنة، ولذا نجد ابن عباس ﷺ يوصي أصحابه بل يحضهم على مراجعة أشعار العرب للتعرف على غريب القرآن[5]، فمن هنا كان التابعين تلقوا هذا الوضع أي باهتمام للغة العربية مع الصحابة ﷺ.

ومثال تفسير التابعين باللغة العربية كثيرا، مثال ذلك في تفسير قوله ﷻ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ

[1] ابن خلدون: المقدمة،ج1،ص438،الشحات زغلول: من مناهج التفسير،ص51.

[2] محي الدين بلتاجي: دراسات في التفسير وأصوله،ص114.

[3] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص76.

[4] أحمد أمين:ضحى الإسلام، ج2، ص144.

[5] الذهبي: التفسير و المفسرون، ج1، ص 75.

ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]،يقول مجاهد في قوله :﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ مذابحنا[2]، وفي قوله ﷻ:﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[3]، يقول أبو العالية :«نكالا أي عقوبة»[4].

ومن ثم كثيرا من الأئمة التابعين كانوا اذا سئلوا عن معنى كلمة في القرآن رجعوا إلى شعر العرب واستشهدوا به وجعلوا ذلك ميزانا حاكما فيما يحبون به، وأشهرهم عكرمة والحسن البصري[5]، ومما أكد أهمية اللغة العربية عند المفسرين من التابعين، يأتي من قوله مجاهد :«لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغة العرب»[6].

❁❁❁

[1] البقرة:128.

[2] تفسير مجاهد،ج1،ص89، نقلا عن عبد الرحمن بن أبي حاتم : تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله ﷺوعن الصحابة والتابعين،ج1،ص235.

[3] البقرة:66.

[4] عبد الرحمن بن أبي حاتم : تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله ﷺوعن الصحابة والتابعين،ج1،ص134.

[5] محمد حسين علي صغير: المبادء العامة التسير للقرآن الكريم،ص67-68.

[6] الزركشي: البرهان في علوم القرآن،ج1،ص292، والسيوطي : الإتقان،ج2،ص510.

المبحث الرابع: خصائص التفسير في هذه المرحلة

ورغم أن هذه المرحلة استمرارية لمرحلة الصحابة ﷺ كما تبين من حيث مصادر التفسير، وإنما قد دخل الطابع الجديد والتوسع على تفسير التابعين، فكثرت فيه الإسرائيليات والأخذ عن أهل الكتاب وكما كثر الخلاف في التفسير وظهور الخلاف المذهبي.

ولذا يختص التفسير في عهد التابعين بخصائص تفصلها عن تفاسير في مراحل قبلهم؛ أي عن النبي ﷺ والصحابة ﷺ، وذلك راجع إلى اتساع الفتوحات الاسلامية وكثير من الأجانب قد دخلوا في الإسلام، بجانب ظهور قضايا ومستلزمات الجديدة وظاهرة الضعف للقمة اللغة لكثير من الناس في هذ العهد الذين لم تعد سليقتهم باللغة العربية كما كان في عهد الصحابة ﷺ وخاصة أهل الحضر، وهذه كلها من أهم الخصائص في هذه المرحلة.

وفي نظري وجوه خصائص التفسير في هذه المرحلة التي كثر ظهورها فهي: التوسع في مجال التفسير، ودخول كثير من الإسرائيليات، وظهور نواة الخلاف المذهبي، وإن شاء الله سيتناول هذا المبحث من هذه العناوين الرئيسية.

المطلب الأول : التوسع في التفسير

ولما كان تفسير الصحابة ﷺ لم يكن شاملا لجميع القرآن فهذا الواقع سبب من أسباب الداعية إلى مزيد من التفسير وإلى تفسير القرآن كاملا من الأمر لابد به، فاحتاج المشتغلون — بمراعاة الحاجة—بالتفسير من التابعين أن يكملوا هذا النقص ويستجيبوا الحاجة بشرح ما لم يرد فيه شرح في عهد الصحابة ﷺ الذي بدأ التحرج الذي يخف أثره على الباحثين في القرآن.

ومن هنا وجد التابعون أمامهم المجال رحبا للتفسير القرآن والتوسع فيه، وكانوا متمسكون في ذلك باعتماد على ما تيسر لهم من مصادر تفسيرهم وأدوات التي علمها الصحابة ﷺ فظهرت آثار جهودهم واضحة فيما أثروه في عصورهم[1]، وإلى يومنا هذا.

ومن مجال التوسع في التفسير عند التابعين يتمثل في النقطتين هما:

أ— التوسع في استخدام الرأي أو الاجتهاد.

ب—التوسع في مجالات التفسير.

---

[1] الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1، 126، وانظر عزيز العرائش : خصائص النهج اللغوي في التفسير حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص23.

أما الأول، بمعنى أنهم يقولون في التفسير بالرأي ما كان يخرجون عنه الصحابة ﷺ، فيتكلموا بالرأي والاجتهاد مالم يكن فيه عند الصحابة ﷺ أثرا، يقول ابن تيمية: كان التابعون يتكلمون في بعض تفاسير النبي ﷺ والصحابة ﷺ بالاستنباط والاستدلال[1].

وكما قلنا سابقا، أن الصحابة ﷺ يتحرجون في التفسير بالرأي خشية أن لايواق الله تعالى عنه، فلذا فهم يفسرون بالرأي بقدر مراعاة للحاجة وذلك في إطار ضيق جدا، ويعتمدون أكثر على المأثور من النبيﷺ، ومن ثم كان التابعين يروون وينقلون تفسير الصحابة ﷺ من جهة، واجتهدوا في التفسير من جهة أخرى[2]، ولذا إذا قرأنا تفاسيرهم وجدنا ها تعتمدكثيرا على التفسير بالرأي، مع أن أغلبيته لا يزال في إطار الاجتهاد المحمود، وغالبا مما سكت عنه الصحابة ﷺ[3]، ومن نتيجة هذه الظاهرة كانت طبقات المفسرين في هذا العهد تتسع شيئا فشيئا مع اتساع دائرة الاجتهاد واعمال الرأي[4].

والشيء الذى أود أن ألفت النظر إليه هو أن رجوع التابعين إلى رأيهم في تفسيرهم قد توسعوا في الاستعانة والاعتماد عليه وأعطوا له الحرية، فيفسرون القرآن حسبما يبدو لهم من ظاهر اللفظ، ويرشدهم اليه عقلهم الرشيد وفطرتهم السليمة، بعد احاطته بمفاهيم الكلمات والاوضاع اللغوية والمعرفية وما كان قد عهدهم من مباني الشريعة وأسس الدين القويمة وبعد مراجعة كلمات أعلام الأئمة وخيار الصحابة الأولين.

فمثال ذلك، يقول مجاهد عند تفسيره لقوله ﷻ :﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[5]، لم يمسخوا قردة، و إنما هو مثل ضربه الله، كما قال :﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[6]، وقال : «إنه مسخت قلوبهم فجعلت كقلوب القردة لا تقبل وعظا ولا تتقي زجرا»[1].

---

[1] مقدمة ابن تيمية فى التفسير،ص38، محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج2،ص709.

[2] عدنان محمد زرزور: مدخل إلى القرآن والحديث، بيروت: المكتب الاسلامى ، ط1، 1999،ص221، وانظر السيوطي : الإتقان،ج2، ص500.

[3] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة، ج2، ص710.

[4] عدنان محمد زرزور: مدخل إلى القرآن والحديث، ص221، وانظر السيوطي : الإتقان،ج2، ص500.

[5] البقرة:65.

[6] الجمعة:5.

فهنا نرى، أن مجاهد قد توسع في تفسيره وتمكن رأيه بالحرية في التفسير تلك الأية ما لم يقول ذلك النبيﷺ وأصحابهﷺ، في هذا الصدد يرى إجنتس جولد تسيهر: هذا مما يأيد ميله إلى التفسير بالرأي[2].

والجدير بالذكر هنا، ما قاله الدكتور محمد الخضيرى، أنه قد يختلف التابعون في تعاملهم بالرأي في تفسيرهم؛ فمنهم من يفسر بالقاعدة والكلية، وأحيانا ومنهم من يفسر بالمثال، والقصة ولذا تنوع عبارتهم[3].

ونقف على جانب الإيجابي في هذا العمل العظيم، وذلك من حيث أن التابعين قد فسروا ما لم يفسر الصحابة ﷺ وذلك لمراعاة الحاجة التي ما استوجدوها من أحداث، وما طرأ عليهم من أحوال، وما صادفوه من غموض في بعض جوانب التفسير وذلك بآراءهم أي بعد ماوجدوه في القرآن أو المأثور من النبي ﷺ وأصحابهﷺ، وكذلك لأن تفسير التابعين في هذا الباب أي التفسير بالرأي من ضمن مفهوم الرأي المحمود[4] ولا يغفل على ما أثر من النبي ﷺ والصحابةﷺ وتوفر لهم أداوات لفهم القرآن فتمكن لمعالجة الحاجة في ذلك العهد، ولذا ظهرت آثار جهودهم في التفسير بالرأي واضحة في عصرهم ومابعده من عصور[5].

وأما الثاني، فهو التوسع فى ميادين أو مجالات التفسير أقصد التوسع على ما كان عليه تفسير الصحابةﷺ، وكما قلنا سابقا أن تفسير الصحابة ﷺ يدور في إطار ضيق جدا-ولم يشمل جميع القرآن-، مقتصرا على جوانب محدودة من اللغة، وشأن النزول، وبعض المفاهيم الشرعية، وهذه هي ميادين التفسير في مرحلة التفسير قبل التابعين أي أغلبيتها، وذلك لعدم الحاجة إلى ميادين أخرى والحرج الدينى الذي تمثل عند الصحابةﷺ.

وفي عهد التابعين اتسعت ميادين التفسير، وذلك لمراعاة الحاجة بأسباب التى ذكرناها من قبل، ومما لم يعرض له الصحابةﷺ، ولذا فقد تعرض التابعون لمختلف أبعاد التفسير،

---

[1] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج1، ص 263، وبعد ذكر هذا القور يقول الطبري: «هذا القول الذي قاله مجاهد قول لظاهر مادل عليه كتاب الله مخالف، وذلك أن الله أخبر في كتابه أنه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت».

[2] إجنتس جولد تسيهر: مذاهب التفسير الاسلامى،ص129.

[3] محمد الخضيرى: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة، ،ج2،ص713.

[4] المصدر نفسه،ج2، ص709.

[5] محي الدين بلتاجي: دراسات في التفسير وأصوله، ص23.

وخاضوا معاني القرآن من مختلف الجهات والمناحي، لرفع ما أبهم على الناس من هذه الجهات فحسب فقد خطا تفسير التابعي خطوات أوسع وفي جوانب وميادين أكثر.

وهذا بغض النظر كون القرآن يهدى الناس في كل مكان وأوان، «يجيب عن حاجات الأمة المتجددة ويستوعب مشاكلها ويحلها، فكرية كانت، أم عقدية، أم تشريعية أم خلقية أم سياسية»[1]، ولذا أن القرآن يحتاج إلى بيان أو تفسير لمراعاة هذه الحاجة في كل مكان وأوان.

ومن ثم فالتوسع في ميادين التفسير الذي قام به التابعون يعتبر ميزة كبرى حظي بها عهدهم، وذلك من حيث أنهم يرعون حاجات الأمة إليه، وكذلك «لئلا يعطل القرآن، وتعطل الأحكام التي جاءت فيه»[2].

ولأجل ذلك قام عديد من كبار العلماء ذاك العهد، فاعملوا النظر واجتهدوا في كثير من مسائل الدين، «بل ربما لم يتركوا مجالا كبيرا لأتباع التابعين للاجتهاد فيه»[3]، وكذلك من مجال اجتهادهم فهو في مسائل قرآنية وتفسيره والتي منها تتمثل في معاني الصفات، و اسرار الخليقة، و أحوال الأنبياء والرسل، وما شاكل ذلك، فكانوا يعرضونها على شريعة العقل وعلى وفق حكمه الرشيد، وربما يؤولونها إلى ما يتوافق مع الفطرة السليمة.

ومثال ذلك كان الرسول ﷺ يفسر "القوة" في قوله ﷻ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[4] بالرمي[5]، وبذلك يرد تفسير مجاهد بالخيل[6].

وهنا نرى كيف فسر مجاهد تلك الكلمة أي "الرمى" بالخيل توسعا ماكان فسرها الرسولﷺ "بالرمي".

ومثال آخر في قوله ﷻ:﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[1]، يقول مجاهد: «ورود المؤمن النار: مس الحمى جسده فى الدنيا، تكفيرا لسيئاته، لأن الحمى من في جهنم»[2].

---

[1] أحمد اسماعيل نوفل: مجاهد المفسر والتفسير،ص389.

[2] محي الدين بلتاجي:دراسات الفسير وأصوله،ص104.

[3] محمد الخضيرى: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة ومقارنة،ج2،ص953-954.

[4] الأنفال:60.

[5] رواه مسلم، رقم الحديث: 1917، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، ج3، ص 1522.

[6] الزركاشي: البرهان في علوم القرآن،ج2،ص161.

في هذا المثال نرى مجاهد قد توسع في تفسيره شيء من باب الغيبيات أي في رأيه أن الحمى الذي أصابه الناس تكفيرا لسيئاته، فربما يتحرجون الصحابة ﷺ في هذه الأية بالتفسير من الرأي إلا إذا جاء المأثور من النبي ﷺ، ومثال ذلك كثير.

ومثال آخر، كما ذكره الدكتور أحمد اسماعيل نوفل[3] أن مجاهد قد توسع في تفسيره إلى المعنى السياسى، وذلك عند تفسيره لقوله ﷻ:﴿ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾[4]، فيقول: «سفك الدماء بغير حقها»، وعلق الدكتور إسماعيل نوفل : هذا «يشير إلى مايقع من مقاتل في الناس ظلما بلا وجه وشروع، فيرى أنه عين الإشراف، وأن فعلته هم المسرفين»[5].

و من ثم كان التفسير في هذا العهد قد توسع كثير مما فسره الصحابة ﷺ، واستنبطوه التابعون بأنفسهم وذلك مراعاة ما احتاج الناس إلى تفسيره من القرآن، حتى اجتمع فيه شيء الكثير، بل حتى شمل القرآن كله[6].

ويجدر بي هنا أن أذكر باب من أبواب التوسع في التفسير الذي سلكه التابعون ومن ذلك كانوا قد يخالفون شيخهم من الصحابة ﷺ وذلك في الآيات التي للرأي فيها مجال، ومثال ذلك، كان مجاهد له رأي آخر يخالف رأي شيخه ابن عباس ﷺ في تفسير قوله ﷻ: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[7]، قال فيها ابن عباس ﷺ:«فهذا ونحوه نزل بمكة والمسلمون يومئذ قليل، وقال مجاهد:«وقاتلوهم فيه كما قاتلوكم»[8].

---

[1] مريم: 71.

[2] أحمد إسماعيل نوفل؛ مجاهد المفسر والتفسير،ص374، جولد تسيهر: مذاهب التفسير الاسلامى،ص179.

[3] أحمد إسماعيل نوفل : مجاهد المفسر والتفسير،ص391.

[4] المؤمن: 43.

[5] المصدر نفسه.

[6] انظر لطفى الصباغ: لمحات في علوم القرآن، ص210، وانظر فهد الرومي: بحوث في التفسير ورجاله، ص32.

[7] البقرة:194.

[8] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج2،ص116.

ومما ينبغي التنبيه بعد هذه كلها، أرى أن قدرة التابعين على الاجتهاد والاستنباط تفوق قدرة من جاء بعدهم من صغار التابعين ومن بعضهم، وكذلك مكانة اجتهادهم أحسن من أجيال لبعضهم، وذلك لعدة أسباب، ومنها:

1. تربيتهم على أيد الصحابة ﷺ الذين عاشوا مع النبي ﷺ وتخرجوا من المدرسة النبوية الشريفة ونال التابعون منهم التفسير وعلوم شتى.

2. أن لديهم أداوات الكافية وعظيمة لاجتهاد،كمعرفتهم للغة العربية القوية، ومعرفة أسباب النزول آيات وغيرها من علوم القرآن التي علمها الصحابةﷺ، ومعرفة عادات العرب بكل أحوالها، وبفضل ما وهب الله لهم بقوة الذاكرة وسعة الادراك[1].

3. صفاء نفوسهم وصالح أعمالهم وقوى إيمانهم، وهذه كلها مما تدفعهم إلى الحفاظ على الصحيح في اجتهادهم، وقد يجعلهم التحرج في استعمال الرأي في التفسير، ولذا هناك عديد من التابعين يتحرجون القول في القرآن بالرأي، ومثال ذلك روى أن سعيد بن المسيب رحمه الله كان إذا سئل عن تفسير آية القرآن قال لا نقول في القرآن شيئا[2]، وقال الشعبي: «ثلاثة لا أقول فيهن حتى أموت: القرآن والروح والرأي»[3].

ومن أثر هذه العناصير المفضلة لديهم وجدنا مميزات حميدة في اجتهاداتهم في التفسير، ومن ذلك كما عبرها الدكتور الخضيرى[4]، وهي: عمق التأمل ودقة التفسير، ومثال ذلك من تفسير قتادة لقوله ﷻ: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾[5]، يقول قتادة:«فالسحر سحران:سحر تعلمه الشياطين، وسحر يعلمه هاروت وماروت»[6].

---

[1] انظر محمد الخضيرى: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج2،ص712.

[2] ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير،ص31.

[3] الشحات السيد زغلول: من مناهج التفسير، ص63.

[4] محمد الخضيرى: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج2،ص715-717، بتصرف.

[5] البقرة:102.

[6] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، 1،ص360.

وكذلك لهم الفضل في قوة استنباطهم، ومثال ذلك كما جاء في تفسير الطبرى عند قوله ﷻ: ﴿ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[1] ،يقول قتادة –مستنبطا الفرق بين أهل الكتاب، والمشركين من هذه الأية–: «فلعمري لمن رجع من أهل الشرك أكثر ممن رجع من أهل الكتاب، ثم يدلل على ذلك فيقول:إنما آمن من أهل الكتاب رهط يسير»[2].

المطلب الثاني: دخول كثير من الإسرائيليات في تفسير التابعين

ولقد تحدثنا بشيء من التفصيل عن الإسرائيليات في البحث عن خصائص التفسير في عهد الصحابةﷺ، وتبين لنا مفهومها وأن أول ظهورها كان في عهد الصحابةﷺ، وكذلك أكدنا خلوصه الصحابةﷺ عن أباطل أو عن الاسرائيليات الواهية، وليس مرادي الآن تكرار ماسبق، وإنما هنا أحاول أن نصل إلى نتيجة من خصائص التفسير في هذا العهد هو دخول كثير من الإسرائيليات في تفسير التابعين.

وفى هذا الصدد يقول جمع من العلماء أن في عهد التابعين دخل كثير من الإسرائيليات[3]، وهذه الظاهرة ترجع إلى عدة عوامل، فهنا أود أن أتحدث تفاصيل هذه عوامل، ومن خلالها سوف نعرف كيف تسربت كثير من الإسرائيليات إلى تفسير التابعين.

وهذه عوامل هي:

1. كثرة من دخل الإسلام من أهل الكتاب[4]، وذلك بعد اتساع الفتوحات الإسلامية وانتشار الدعوة الإسلامية الحنيفة في كل بلدان، وطبعا بفضل هداية الله تعالى.

وكان بعض أولئك من أحبارهم[5]، كذالك كثير من مشركى العرب الذين لقنوا علومهم من علماء اليهود كانوا لا يزالون عالقا بأذهانهم من الاقاصيص وأساطير أسلافهم، وكان لم تتغير معارفهم فيما يرجع إلى الأخبار والمواعظ كبدء الخليقة وأسرار الوجود وبدء الكائنات

---

[1] البقرة:88.

[2] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج1،ص323.

[3] انظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص128،وانظر الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث،ص22.

[4] انظر المصدر نفسه،ج1،ص128،وانظر محمد حجازي: التعريف بالتفسير ومنهج رجاله،ج1،ص60-61، وانظر الشحات زغلول: من مناهج التفسير،ص217.

[5] أحمد إسماعيل نوفل: مجاهد؛ المفسر والتفسير،ص599.

وأخبار الأمم الماضية وأحاديث أو قصص الأنبياء أي التي لم يتوقف القول فيها على نص النبي ﷺ، ولذلك لما توفي الرسول ﷺ كانوا يفصلون مجمع تلك أخبار على ماهو منقوش في أذهانهم من علومهم الإسرائيلية[1].

وهذه الحالة أي اتصال المسلمين بإخوانهم من مسلمي أهل الكتاب أو الذين لهم ثقافة ومعرفة من أهل الكتاب فهي كما كانت عليها في عهد الصحابةﷺ، وذلك مما يسبب بسبب ظهور الإسرائيليات في التفسير، وقد تحدثنا حول هذا فلا داعي لتكرار، والشيء الذي أود الفت النظر إليه هو كانت هذه الحالة أكثر تأثرا في عهد التابعين كما ظهر ذلك في تفسيرهم، بل رأى الدكتور الذهبي هو عامل الرائسى لتوسع وكثرة الإسرائيليات في تفسير التابعين[2].

ومن ثم، لما بدروا على أذهان بعض مسلمي أهل الكتاب—في ذلك الوقت- عن أشياء ماتضمنه القرآن، كالقصص أو غيرها التي وُجدت عند هم، فمن المتوقع سيقولون كل ماعندهم من البيان من كتبهم السابقة.

2. ميل النفوس القوم في هذا العهد لسماع تفاصيل لم يشير إليها القرآن من أحداث مجملة من اليهود والنصارى[3]، وهذا عامل يعد من الأسباب الرئيسة عن ظهور كثرة الإسرائيليات فيه.

وكذلك هذه طبيعة العرب في ذلك الوقت كما أيده ابن خلدون في مقدمته[4]، فربما هي تنتج عن عامل الأجتماعى وهو غلبة البداوة والأمية على العرب وضعف الحالة الثقافية لديهم[5]، وخاصة الثقافة الدينية الإسلامية، وذلك ترجع إلى كثرة عدد المسلمين في ذلك الوقت وليس كلهم من تلاميذ مدارس الصحابةﷺ.

فربما هذا العامل -أي التشويق إلى معرفة شيء-ليس محدودا على المسلمين الذين ليس لهم ثقافة العلمية الكافية وثقافة الدينية القاوية، وهذا مجاهد الذي يعتبر شيخ المفسرين من التابعين بعامة، كان قد شغف إليه بمعرفة العجائب والغرائب حتى إنه كان لسافر لرأية الأماكن

---

[1] الشحات زغلول : من مناهج التفسير،ص217، وانظر أحمد أمين: ضحى الاسلام،ج2 ص143.

[2] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص128.

[3] انظر المرجع نفسه، ج1،ص128، وانظر محمد حجازي: التعريف بالتفسير ومنهج رجاله،ج1،ص60-61، وانظر الشحات زغلول: من مناهج التفسير،ص217.

[4] انظر ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص490-491، الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث،ص25.

[5] الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث،ص25، أحمد إسماعيل نوفل: مجاهد؛ المفسر والتفسير،ص598.

التي جاء ذكرها في القرآن كبئر هاروت وماروت وغيرها[1]، وإذا كان هذا شأن مجاهد فكيف كان غيره من التابعين، فلا شك غالبيتهم في هذه الحالة، وخاصة غير المتعلّمين منهم.

3. عدم وجود البيان من المأثور عن النبي ﷺ والصحابة ﷺ، بمعنى أن رجوع التابعين في تفسيرهم إلى أهل الكتاب إنما بعد بحثهم عن المأثور من النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، وهذا يعد منهج التابعين في أخذ مصدر أو مرجع لتفسيرهم[2]، وقد تحدثت عن هذا سابقا وذلك عند المبحث عن مصاد التفسير لهذه المرحلة، فلا داعي لتكرار، وهنا يقول الدكتور محمد الخضيري: قد يرجع التابعي إلى التفسير أخذا من الإسرائيليات من باب أنه لا يجد غير ذلك عن المأثور من النبي ﷺ أو أصحابه ﷺ، فيجذبه ما عليه من أهل الكتاب حتى يرويه في التفسير[3].

4. احتوى القرآن الكريم كثير من قصص المجملة وتوجد في التوراة والإنجيل كثير تفاصيل عنها[4]، ولذا المتأمل في التوراة والإنجيل ليجد أنهما قد اشتملا على كثير ماورد في القرآن ويعرضها بتفاصيل وذكر جزئياتها، من وقائع وأحداث وبخاصة ماكان له تعلق بقصص الأنبياء عليهم السلام، وبينما القرآن يقتصر على موضع العظة، ولا يفصل جزئياتها، فلا يذكر جانب تاريخ الواقع، ولا أسماء البلدان، ولا يذكر –في الغالب–أسماء الأشخاص الذين جرت على أيديهم بعض الحوادث، وإنما يتخير ما يمس لب الموضوع وحكمته[5]، وذلك راجع إلى أن ماتضمنه القرآن من القصص لم يكن من غايته التاريخية وإنما العبر فيه[6]، وكذلك ليس من مقاصد هذا القرآن والدين الإسلامي تزويد الناس بمعلومات تاريخية مفصلة.

وهذا العامل من الذي يسبب ظهور كثير الإسرائيليات في تفسير التابعين، وذلك لأن بعضهم لم يجدوا معلومات عن تفاصيل قصص الأنبياء–مثلا– في القرآن،–بدافع حالة الإجتماعية عند أغلبيتهم– فتشوقوا إلى معرفة أكثر التفاصيل عنها فأخذوا عن أهل الكتاب.

---

[1] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛عرض ودراسة مقارنة،ج2،ص896.

[2] انظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص76.

[3] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛عرض ودراسة مقارنة ،ج2،ص896.

[4] أحمد إسماعيل نوفل: مجاهد؛المفسر والتفسير،ص599.

[5] انظر الذهبي: الوحي والقرآن الكريم، ص113-114، وانظر الإسرائيليات في كتب التفسير والحديث، ص22.

[6] محي الدين بلتاجي: دراسات في التفسير وأصوله،ص21، وانظر أحمد إسماعيل نوفل: مجاهد؛المفسر والتفسير،ص599.

يقول الذهبي[1] :«فظاهر جماعة من المفسرين أرادوا أن يسدوا الثغرات القائمة في التفسير بما هو موجود عند اليهود والنصارى فحشوا التفسير بكثير من القصص المتناقض والتفصيلات التي لايحتاج إليها هذا القصص وخاصة مايصادم العقل ويجافي المنطلق»، ولذا كان رواية عن الإسرائيليات في تفسير التابعين أكثر من رواية عن الصحابةﷺ[2].

ومما يجدر الإشارة إليه هنا، ما أكده صاحب "تفسير التابعين"[3] أن التابعين الذين اعتمدوا منهج الأخذ عن بني إسرائيل، لكنهم لم يكثروا في الأخذ عنها، بل بقيت النسبة في حدود مقبولة في سائر عصر التابعين، وإن كان بعض المتأخرين منهم كالسدي قد خالف هذا المنهج، وانفرد بالإكثار من الرواية أما بقيتهم بل جميعهم، فلم ينقل عنهم إلا القليل، وكذلك منهم مقاتل بن سليمان الذى قال عنه أبو حاتم: «أنه أستقى علومه بالقرآن من اليهود والنصارى وجعلها موافقة لما فى كتبهم»[4]، وأكد الدكتور محمد الخضيرى: إنما تظهر الإسرائيليات كثرت في تفسير هم فهي عن طريق نقل أتباع التابعين لها بخلاف التابعين[5]، حتى صاحب سير أعلام النبلاء عندما ذكره يقول مقاتل بن سليمان المفسر الضعيف[6].

ويواصل الدكتور الخضيرى تثبت دراسته عن وجود الإسرائيليات في كتب التفسير، أن المروي عن التابعين في التفسير (17172) أثرا، منها (355) في الإسرائيليات، أي أن نسبة المروي عن أهل الكتاب لا تزيد على (02،0)من مجموع تفسيرهم[7].

وفي الختام، أقول إذا لاحظنا أحوال التابعين في أخذ عن أهل الكتاب فنجدهم يروون الآثار دون حرج يذكر من يرويها، وكذلك فهم يوردون الإسرائيليات للاستشهاد لا للاعتقاد، ولذلك فإن القصة التي تنقلها هذه الرواية لا يعتمدون عليها، بل يذكرونها لكونها حدثا تاريخيا، وذلك عندما يوضح الصحابي شيئا من المراد من قصة ولا يؤدي هذا إلى تصديقها مع الأثر

---

[1] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص128،ن وانظر الإسرائيليات في كتب التفسير والحديث،ص23.

[2] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج2،ص889.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص889.

[4] وفيات الاعيان،ج2،ص528، انظرالذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص128،وانظر حجازي:التعريف بالتفسير ومنهج رحاله،ج1،ص60-61.

[5] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة ،ج2،ص964.

[6] انظر شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج6،ص341.

[7] المرجع نفسه،ج2،ص882.

الوارد :﴿لا تصدقوا أهل الكتاب﴾، وثمة عذر آخر، وهم أنهم تركوا لمن بعدهم فرصة التعرف عليها وبيان سقيمها من صحيحها[1]، يقول الدكتور الذهبي عن مجاهد—من أبرز المفسرين من التابعين-: «وإن صح أنه كان يسأل عن أهل الكتاب فما أظنه أنه تخطى حدود ما يجوز ذلك، لاسيما وهو تلميذ حبر الأمة ابن عباس»[2].

المطلب الثالث: ظهور نواة الخلاف المذهبي

كماأشرت سابقا، كان الفرق السياسة ظهرت بدورها بعد مقتل عثمان ﷺ، ثم عندما نشبت الحب والتأييد بين علي ومعاوية ﷺ من أجل الخلافة، وكان لكل منهما أنصار مؤيدون لهما، وتبقى هذه الحالة إلى انشقاق أنصار على كرم الله وجهه وهو في سنة 37هـ حتى ظهرت من ذلك الوقت فرقة الشيعة والخوارج والمرجئة.

وفرقة أخري تناصر معاوية وتؤيد الأمويين على وجه العموم، ويترقى حينا بعد حين إلى ظهر في أيام المتأخرين من الصحابة ﷺ خلاف القدرية وهو على يد أول من جهر به معبد الجهني[3].

وقلنا، أنه رغم ظهور مذاهب أو فرق جاءت في عصر الصحابةﷺ، ولكن لم يتأثر في تفسير القرآن، وليس هناك تفسير المذهبي أو لإنتصار فرقة معينة[4] —حسب علمي-، فربما هذا بوجود الصحابة ﷺ بين أيد الناس يحافظون على فهم الصحيح للقرآن، وكذلك لتأخر وفاة المفسرين من الصحابة ﷺ كإبن عباسﷺ، وابن عمر وأبو هريرة وأنس بن مالك ﷺ، وكانوا ينكرون القدرية[5]، بيد تفرغ العلماء من الصحابة ﷺ في مجال العلم والتعليم، ولا يشارك كثيرا إلى السياسة.

---

[1] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة ،ج2،ص883.

[2] الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1،ص80.

[3] المصدر نفسه، ج1،ص259.

[4] انظر عبد الله بدر:تفسير الصحابة،ص55.

[5] المرجع نفسه، ص55.

فلما جاء عصر التابعين وكان أنصار تلك الفرق تزايد في هذا العصر، فظهر فيه نواة الخلاف المذهبي[1]، فمثلا في زمان الحسن البصري بالبصرة ظهر خلاف واصل بن عطاء في القدر، وفي القول بالمنزلة بين منزلتين، ومجادلته للحسن البصري في ذلك، واعتزاله مجلسه، ومن ذلك الوقت ظهرت فرقة المعتزلة[2].

وكذلك ظهر في هذا العهد فرقة الرافضة، والتي ظهرت في أوائل المائة الثانية، ومن أقوالها بالتشبيه والتجسيم لله ﷻ ويثبت أن لله ﷻ الأعضاء والجوارح[3].

وغير ذلك، كان في هذا العهد قد حدثت الفتنة والخلافات بسبب الزندقة المتمثلة في التظاهر بالإسلام والحب له مع كراهيته دينا[4] وتهزم الإسلام والمسلمين من الداخل بإسعال نار الفتنة بينهم.

وفي ضوء ذلك، نقول أن ثمة الخلاف المذهبي حدثت في هذا العهد، ومما يدل ذلك ماقاله إجتس جولد تسيهر: كان الخوارج المتقدمون استخرج من القرآن يستندون إليها في خصومتهم لعلي ﷺ و من غال فيه من الشيعة، وكذلك جاء التفسير المعادى للأمويين[5].

و كذلك ثبت أن قتادة ينسب الخوض في القضاء والقدر عند تفسيره وحتى يتهم أنه قدري فبدون الشك له أثر في تفسيره، ولذا كان بعض الناس يحرجون من رواية عنه[6]،

ومثال ذلك نجد ابن جرير الطبرى ينقل عن مجاهد أنه فسر قوله ﷻ:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[7] ، بقوله: «تنتظر الثواب من ربها، وفي رواية أخرى زيادة: لا يراه من خلقه شيء»[8]، ويقول الدكتور الذهبي: وهذا التفسير عن مجاهد كان فيما بعد متكئا

[1] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص97، وانظر محمد الخضيرى: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج2، ص963.

[2] المرجع نفسه،ص259-260.

[3] الشحات زغلول: من مناهج التفسير،ص239.

[4] محمد نوح وعبد الرزاق خليفة الشايجي : التابعون وجهودهم في خدمة الحديث النبوي، ص54.

[5] جولد تسهر:مذاهب التفسير الاسلامي، ص287-288.

[6] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص94.

[7] القيامة:22-23.

[8] انظر أحمد إسماعيل نوفل: مجاهد ؛المفسر والتفسير،ص535، وانظر جولد تسيهر: مذاهب التفسير الاسلامى،ص129.

قويا للمعتزلة فيما ذهبوا إليه في مسألة رؤية الله تعالى[1]، وهذا كما يرى فيما بعد من مفسري المعتزلة كالزمخشرى الذي يرى في تفسيره "الكشاف" بنفي رؤية الله في الجنة[2].

ومن ذلك ثبت أن من أقوال مجاهد في تفسيره ردا لأقوال ومفاهم الفرق أو المذاهب المنتشرة في عصره وهو عهد التابعين، ومثال ذلك جاء واضحا في تفسيره لقوله ﷻ: ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم﴾[3]، قال:«هم المكذبون بالقدر»[4]، وهذا ردا على القدرية وفكرتها المنتشرة بين الناس في عصره[5].

وبهذا العرض السابق، أن ثمة الخلاف المذهبي وظهور الفرق بين صفوف المسلمين قد حدث في عهد التابعين ولها أثر اتجاه الخلاف بين التابعين في التفسير وإن كان قليلا[6]، وأنا أؤيد رأى الدكتور محمد الخضيرى إذ يقول: أن هذا الأثر ليس إلا نتيجة لظهور الفرق وتشعبها في هذا العصر، وكان المنهج السلفي وهو منهج النبيﷺ وأصحابه في التفسير هو الأغلب علي أئمة التابعين، وكذلك غالبه ليس من الخلاف العقيدى والمذهبي وكذلك غالبه في إطار خلاف بين الصحابة وهو خلاف التنوع، وإن كان وُجد شيء من اختلاف التضاد إلا أنه قليل[7]، ولذا في نظرى أن أقوال تفسير بعض التابعين التى تتصل بمفاهم أو آراء مذاهب أو فرق المتداولة في عهدهم فهي ليست بمعنى أنهم من أنصار فرقة أو مذهب معين، وإنما هذا من وجه اجتهادهم في التفسير، والله أعلم.

❁❁❁

[1] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص80-81.

[2] انظر الزمخشرى: الكشاف،ج4،ص262.

[3] القمر:48.

[4] أحمد إسماعيل نوفل: مجاهد؛المفسر والتفسير،ص393.

[5] انظر المصدر نفسه،ص393.

[6] أكثر من الخلاف الذى حدث في عهد الصحابةﷺ، انظر ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير،ص17.

[7] محمد الخضيرى: تفسير التابعين؛عرض ودراسة مقارنة،ج2،ص963-964،بتصرف.

المبحث الخامس: القيمة العلمية للتفسير في هذه المرحلة

وإذا قرأنا كتب الإسلامية، من كتب التفسير كانت، أوكتب الفقه، أوغيرهـــا مـــن كتب الإسلامية لوجدنا من خلال صفحاتها أقوال التابعين، وهذا من أدلة على مكانة أقـــوالهم وقيمتها العلمية وفضلا عن أهميتها في علوم الدين والتشريع الإسلامي.

وبالخصوص أقوالهم في التفسير أي تفسيرهم للقرآن الكريم فلا مـــراء علـــى قيمتـــه العلمية، ولقد عدّ العلماء من أحسن طرق التفسير للقرآن الكريم، وذلك يأتى مكانته بعد تفسير النبي ﷺ والصحابةﷺ، وكذلك له أثر القيم في حركة التفسير لأجيال من بعدهم وإلي يومنـــا هذا.

وفي ضوء ذلك سيتناول هذا المبحث، وهو عن القيمة العلمية لتفسير التابعين، وأختار قيمته العلمية في ثلاثة مجال وهي من حيث دوره في الحفاظ على أقوال الصحابةﷺ، وحكـــم العلماء فيه ومنزلته عند العلماء، والأخير، عن أثره لتفسير بعد التدوين، وهذه عندى أبرز القيمة العلمية لتفسير في هذه المرحلة، وسأحاول أن أوضحه متجنبا قدر الامكان التكرار.

المطلب الأول: الحفاظ على أقوال الصحابة ﷺ

أدرك التابعون فضل الصحابة ﷺ ومنزلتهم من حيث أنهم عاشوا في خير القرون مـــع النبيﷺ وتربوا عندهﷺ، ومن حيث أنهم ورثوا كل ماصدر عن النبي ﷺ من الأقوال والأفعـــال والتقريرات والصفات فضلا عن القرآن وتفسيره، وهذا لمكانتهم الحميدة عند الله ورسوله ﷺ – كما شهدهما في القرآن والسنة– وسعة علمهم وقوة إيمانهم.

فمن ثم أدركوا أن عليهم واجب إرث وأخذ ما عند هـــؤلاء مـــن علـــوم الـــدين واجتهاداتهم وبما ورثوه عن رسول الله ﷺ قبل أن يلقوا ربهم، وهذا كي تستمر حجة الله علـــى الناس من ناحية وليظفروا بلأجور والمثوبة من ناحية أخرى، فبـــادروا بملازمتـــهم ويتعلمـــون عندهم.

فلا شك كان التابعون يدركون تمام الإدراك مكانة الصحابة ﷺ وأقـــوالهم، ومنـــها أقوالهم في التفسير، ولهذا لهم عناية واضحة لحفاظ أقوالهم، وأرى هذا الجانب من قيمة العلميـــة

التي سعى التابعون فيها لخدمة الإسلام والمسلمين من جاء بعدهم، وهو بالحفاظ أقوال الصحابة ﷺ والتي لا مراء بمكانتها –كما قلنا في الفصل الثاني–.

وفي هذا المبحث سأتحدث عن العوامل الأربعة التي قام بها التابعون والدالة على مبلغ الاهتمام حفاظ التابعين على أقوال الصحابةﷺ، وأركز من عنايتهم وحفظهم لأقوال الصحابة ﷺ من خلال تفسيرهم للقرآن الكريم، فهي تتمثل على ما يلي:

أ.ملازمة الصحابة ﷺ

كما قلنا سابقا، كان التابعون يلازمون الصحابةﷺ، وذلك لأنهم أدركوا مكانتهم وفضلهم، ومن معنى ملازمة الصحابة ﷺ أنهم يدرسون ويأخذون علوما كثيرة منهم، فوجود مدارس في عهد الصحابة أكبر دليل على ملازمة التابعون مع الصحابةﷺ.

وهذا علقمة بن قيس لازم ابن مسعود وأخذ كل ماعنده من قراءة القرآن والتفسير، ومن الحديث ومن الفقه حتى أنه يعتبر من خاصته وعلم الناس به[1]، وهذا مجاهد كان دائم ملازمة ابن عباس، فأخذ من شيخه ﷺ تفسير الرسول ﷺ وتفسيره الاجتهادي، وبجانب العلوم الأخرى المتعلقة بالدين، وقد اشتهر بكثرة العرض والسؤال والمراجعة له إما في القراءة أو في التفسير خاصة، حتى إنه قد قرأ عليه القرآن ثلاثين مرة، وهكذا شأن أغلبية التابعين و غيرهم[2].

وكان من شدة ملازمة التابعين للصحابة ﷺ حتى أنهم يستطيعون أن يعقدوا المقارنة بينهم، ومثال ذلك أن سعيد بن جبير يقول:«كان ابن عمر حسن السرد للرواية عن النبيﷺ و لم يبلغ في الفقه والتفسير شأن ابن عباس»[3].

وهكذا نرى أن الملازمة أسهمت في إرث هؤلاء التابعين لكل ماعند الصحابة ﷺ من علوم وخاصة علومهم في التفسير، هذا لأن التابعين تلقوا علوما كثيرة منهم ﷺ.

ب.الرجوع والاعتماد بأقوال الصحابة ﷺ في تفسيرهم.

وهذا الموضوع قد تحدثنا في المبحث السابق عند ذكر أقوال الصحابة ﷺ كمصدر من مصادر تفسيرهم، بل إن أكثر إعتمادا عليها، وليس مرادي الآن تكرار ماسبق، وإنما أود أن

[1] انظر السيد محمد نوح وعبد الرزاق خليفة الشايجي: التابعون وجهودهم في خدمة الحديث النبوي،ص22.

[2] انظر بعض أمثلة عن ملازمة بعض التابعين للصحابة ﷺ في الكتاب: التابعون وجهودهم في خدمة الحديث النبوي،ص20-37.

[3] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج2،ص673.

أذكر جانب رجوع التابعين إلى أقوال الصحابةﷺ لأن عندى هذا من باب حفظهم لأقوال الصحابةﷺ، هذا الجانب هو أنهم يقدمون تفسير الصحابة ﷺ على أقوالهم[1]، وأيضا عند رجوعهم إلى أقوالهم في التفسير فكانوا لا يذكرون إلا قولا واحدا الذي يتفق مع رأيهم فحسب، بل يذكر كل أقوال الصحابة ﷺ حتى وإن كانت مختلفة، وذلك كما أكده الدكتور محمد الخضيرى[2]: أنهم «ينقلون بفهم، فقد نقلوا الخلاف أيضا مفرقين بين قول الصحابين فأكثر، فمثلا قتادة يذكر الإيلاء[3]، فيذكر قولا لعليّ ولعبد الله قولا آخر عن غيرهم ﷺ، ثم يقول: «قول علي، وعبد الله أعجب إلي في الإيلاء»[4].

وهكذا رجوع التابعين إلى أقوال الصحابة ﷺ وشدة اعتمادهم عليها هو أكبر الشهادة على قيمة اهتمامهم وحفاظهم على أقوالهمﷺ.

ج. الحرص على الرواية والتزام بالإسناد

العامل الثالث الدال على مراعة التابعين للحفاظ أقوال الصحابة ﷺ في تفسيرهم، فهو كان بين التابعين بعضهم بعضا يحرصون على الرواية بينهم من أقوال الصحابة —وطبعا أقوال النبيﷺ—ومنها أقوالهم في التفسير، لأنهم كانوا يروون على بعضهم البعض ماسمعوه من الصحابةﷺ، وهذا كما عبره الدكتور الذهبي بالخطوة الأولى في التفسير أي يتناقلون في الرواية، حيث يروي التابعون عن الصحابة كما يروى بعضهم عن بعض[5].

وفي هذا الصدد مما ينبغى التنبيه إليه ماقاله الدكتور لطفى الصباغ[6]: كان التابعون من أهل كل مصر يعنون ويرون ماسمعوه من التفسير عن الصحابي الذي يقيم في بلدهم، وأصبح فى كل بلد لهم المختصون برواية التفسير عن الصحابى المقيم ويدرس في بلدهم.

---

[1] فهد الرومى:بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ص31.

[2] محمد الخضيرى: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج2، ص673.

[3] في تفسير سورة البقرة: 226.

[4] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،ج2، ص253.

[5] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1، ص104.

[6] لطفى الصباغ:لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير،ص208-209، وانظر فهد:بحوث في أصول التفسير ورجاله، ص32.

فاختص المكيون برواية ماورد من التفسير عن ابن عباس، وأشهرمن قاموا بذلك: مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، وحتى يقال أن الحرص والاكثار على رواية تفسير ابن عباس قد شغل بعض أصحاب مدرسة المكة عن الاجتهاد في التفسير كسعيد وعكرمة[1].

واختص المدنيون برواية ماورد من التفسير عن أبي بن كعب، وأشهرهم: أبوا عالية وزيد بن أسلم.

وأما الكوفيون الذين يختصون برواية عن ابن مسعود، وأشهرهم: علقمة بن قيس وابراهيم النخعي والشعبي.

وعد أحمد أمين أن الظاهرة كل جماعة من التابعين يجمع رواية تفسير شيخ مصرهم من الصحابة من مرحلة «تجريد ماورد في الحديث المرفوع والموقوف من التفسير»[2]، ولذا يرى الدكتور محمد الخضيرى: أن نفسير التابعين في جملته أصح وأكثر طرقا وأقوى إسنادا[3].

وأظيف على ذلك، كان التابعون يلتزمون بوجود الإسناد عندما يتنقلون ويروون أقوال الصحابة بينهم، وهذا لما وقعت الفتنة التي تبدأ بدورها مند مقتل عثمان بن عفان-كما قلنا من قبل- فبدأ الدس والكذب على الرسول ﷺ وانتشار أقوال وتفسير أحاديث الموضوعة لدفاع أو لتأييد مذهب وفرقة معينة، ومند ذلك الوقت أخذ شيئا فشيئا بوضع الإسناد عند الرواية، لحفاظ على الرواية الصحيحة والحفاظ على السنة وكذلك لحصن على الرواية المكذوبة[4].

قال ابن سيرين:«لم يكونوا يسئلون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيأخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[5].

قال الدكتور فهد سليمان الرومي: «كان التفسير في ذلك العهد مرويا بإسناد كل قول إلى صاحبه ونسبته إليه حتى تُعرف الأقوال ويميز بين قويها وضعيفها، وصحيحها

---

[1] محمد الخضيرى: تفسير التابعين؛عرض ودراسة المقارنة،ج2،ص676.

[2] أحمد أمين:ضحى الإسلام،ص139.

[3] محمد الخضيرى: تفسير التابعين؛عرض ودراسة المقارنة ،ج2،ص1179.

[4] محمد نوح وعبد الرزاق خليفة الشايجى:التابعون وجهودهم في خدمة الحديث النبوي،ص54-55،و عبد المهدى: السنة النبوية،ص83-84.

[5] رواه مسلم، مقدمة صحيحه، ج1،ص15.

وسقيمها»[1] ولذلك نرى في كتب التفسير رواية التابعين عن أقوال الصحابة نجدها مقرونة بأسانيد، وبطيعة الحال فإن اهتمام وتقدير التابعين بأقوال الصحابة بالتزام الرواية بعضهم بعضا وبوضع أسانيد لهذه الروايات من عمل عظيم وله قيمة علمية وذلك للحفاظ على أقوال الصحابةﷺ، فربما من هذا العمل الكريم أنهم قد امتثلوا قول النبي ﷺ: ﴿ نضر الله أمرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه﴾[2].

د. الكتابة والتدوين

وقد ذكرت هذا الموضوع في المبحث الثاني عن تدوين التفسير في هذا العهد، فلا داعى للتكرار.

والشيء الذي وودت أن ألفت إليه هو أن العامل الأخير التي تدل على حفاظ التابعين على أقوال الصحابةﷺ هو كتابتها وتدوينها أعظم وأكبر تأثيرا والعمل الممتاز للحفاظ على أقوال الصحابةﷺ، إذ كما أنه من المعلوم، أن الكتابة والتدوين أوثق من الحفظ، وقد يضيع الحفظ بموت صاحبه وستبقى الكتابة والتدوين حتى وإن مر بمرور الزمان.

ومن ثم صحيح من يقول لو لا بفضل التابعين بالتدوين وكتابة أقوال النبيﷺ والصحابةﷺ في التفسير وغيره ماكان ليصل إلينا كثيرا أو أقل بكثير مما وصلت إلينا الآن.

وبعد هذا كله، يتبين لنا مبلغ اهتمام ومدى خدمة التابعين لحفظ أقوال الصحابة ﷺ وذلك من خلال تفسيرهم وعملهم له، ومن المتوقع هذا اسهام عظيم يعد قيمة العلمية لتفسير في هذه المرحلة، ولذا المتأمل في كتب التفسير التي وصلت إلينا، لا يعجزه أن يجد الكثير من أقوال الصحابة ﷺ مسندا من التابعين، ونقول إن تفسير التابعين للقرآن الكريم يشكل حلقة مهمة، وركيزة أساسية في فهم القرآن الكريم من جهة، ومن جهة أخرى أن هؤلاء التابعين قد نقلوا إلينا أقوال الصحابة واجتهاداتهم في ذلك.

[1] فهد الرومي:بحوث في التفسير ورجاله،ص33.

[2] رواه الترمذي، رقم الحديث: 2661، باب ماجاء في الحث على تبليغ السماع،ج5،ص33-34.

المطلب الثاني: حكم التفسير المأثور عن التابعين

ومما لا شك فيه، أن تفسير التابعين ذا مكانة ومنزلة عظيمة لدي المسلمين مند عصور ماضية إلى عصرنا اليوم، فيهتمون العلماء به في علوم شتى ويرجعون إليه في كثير من مجال علوم الدين، وخاصة عند المفسرين منهم، فأرى وجود هذا التكريم والإهتمام منها يولد حكم ومنزلته عند العلماء.

ومن هنا وقع في نظري القيمة العلمية لتفسير التابعين من خلال تقديره ومنزلته وحكمه عند العلماء، فلذا يجب علينا أن نقف وقفة عن هذه القيمة، وفي هذا المبحث سأتحدث عن هذه القيمة من حيث حكم العلماء عليه ومنزلته عندهم.

قد تفاوتت أنظار العلماء في حكم الرجوع إلى تفسير التابعين والعمل بأقوالهم[1]:

1. ذهبت طائفة ومنهم ابن عقيل ورواية عن الإمام أحمد وشعبة[2]، أنه لا يجب أخذ تفسير التابعين، واستدل أصحاب هذا الرأى بعدة أدلة:

أ-ليس لهم سماع من الرسول ﷺ فلا يمكن أن يُحمل تفسيرهم على أنهم سمعوا منه كالصحابةﷺ.

ب-أنهم لم يشهدوا القرائن والأحوال التي نزل عليها القرآن فيجوز عليهم الخطاء في فهم المراد وظن ماليس بدليل دليلا.

ج-وأيضا أن عدالة التابعين غير منصوص عليها كما نص على عدالة الصحابة ﷺ، كما نقل عن ابن حنيفة أنه قال:«ماجاء عن رسول اللهﷺ فعلي الرأس والعين، وماجاء عن الصحابة تخيرنا، وماجاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال».

---

[1] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص96، وهناك من يرى اختلاف العلماء في حكم على تفسير التابعين في عد تفسيرهم من المأثور أو غير المأثور، كما ذكر ذلك الزرقاني: مناهل العرفان،ج2،ص12، ومحي الدين بلتاجي:دراسات في علوم القرآن،ص24-25، ولطفي الصباغ: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير،ص263-264، والذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص112-113، ومحمد حجازي: التعريف بالتفسير ومنه رجالص،ج1،ص36، وغيره، وهذا التقسيم ليس في مكانه إذ هناك الفرق بين كون حكم تفسير التابعين وحكم على اعتبار هل أنه من المأثور أو ليس من المأثور، وذلك لأن من الواضح أن التفسير بالمأثور هو «المأثور هو ما أثر عن رسول الله ﷺ وعن صحابته وعن التابعين وعن تابعيهم ممن عُرفوا بالتفسير ، وكانت لهم آراء مستقلة مبنية على اجتهادهم»، انظر تفصيلا رأي مساعد بن سليمان الطيار:http://www.quranway.net.

[2] انظر الزركشي: البرهان،ج2،ص158، وانظر السيوطي : الإتقان،ج2،ص473-474.

2.وذهبت طائفة وهم أكثر المفسرين ورواية أخرى عن الإمام أحمد أنه يؤخذ بقول التابعين في التفسير إذا لم نجد تفسيره في السنة ولا في أقوال الصحابة ﷺ لأنهم تلقوا التفسير عن الصحابة ﷺ وحضروا مجالسهم ونهلوا من علمهم وسمعوا منهم ما لم يسمع غيرهم، وانتهى كلام الذهبي،

وهنا يرى الدكتور لطفي الصباغ: أننا غير ملزمين بأخذ أقوال التابعين فهم رجال ونحن رجال، إلا اجتمع التابعون على رأي فعندئذ يتوجب الأخذ به لأن إجماعهم يدل على وجود نص ملزم[1].

أرى محصلة القول من هذه الآراء نتيجتين وهما:

1. أن تفسير التابعين المأثور عن رسول الله ﷺ وصحابته الكرام فحكمه كحكم على تفسير النبي ﷺ وحكم على تفسير الصحابة ﷺ، وقد سبق أن ذكرنا عن هذين موضوعين، فلا داعي لتكرار.
2. وأما تفسير التابعين ما ليس من المأثور عن رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ، أي من عند أنفسهم ومن اجتهادهم فهي ترجع إلى:

أ. إذا كان يأخذ من أهل الكتاب فلا اعتماد عليه[2]، يقول الزرقاني:من الأولى تقديم التفسير بالرأي على المنقول من أهل الكتاب[3].

ب. إذا أجمع التابعون على رأي في التفسير فإنه يجب علينا أن نأخذ به ولا نتعداه إلى غيره، ولا يرتاب في كونه حجة[4].

ت. فإن اختلفوا التابعون فيه «فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك»[5].

---

[1] لطفي الصباغ: لمحات في علوم القرآن واتجهات التفسير،ص210

[2] الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1، ص96.

[3] انظر الزرقاني: مناهل العرفان،ج2، ص48.

[4] انظر الذهبي: التفسير و المفسرون، ج1، ص96، وانظر ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير،ص68، محمد حسين: التفسير ورجاله،ص30، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص56-57.

[5] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1،ص10.

ث. الرجوع إلى تفسير التابعين يعتبر من أحسن طرق التفسير[1]، وكثير من المفسرين يرجعون إليه[2].

وبعد هذا كله، تبين لنا حكم العلماء لتفسير التابعين، وكذلك من هنا تبين لنا قيمة تفسير التابعين، وأرى ذلك من حيث ثلاث نقاط الآتية:

1. أنه يجب أخذ تفسير التابعين إذا كان من المأثور ومن إجماع التابعين.
2. أن أغلبية المفسرين يرى بأخذ تفسير التابعين إذا لم يجد تفسيرها في السنة ولا في أقوال الصحابةﷺ، وهذا ماطبقه أكثر المفسرين كما أكد ذلك الزركشي والسيوطي بعد ذكرهم آراء العلماء في حكم عليه[3].
3. وأيضا تأتي قيمته العلمية في مرحلة تفسير التابعين وكذا الرجوع إليه بعد التفسير بالسنة النبوية الشريفة والتفسير بأقوال الصحابةﷺ، كما صرح لذلك أكثر المفسرين آنفا.

وأضيف هنا أن شيخ الإسلام ابن تيمية عدّ الاعتماد بتفسير التابعين من "أحسن طرق التفسير"، ويقول صاحب "البرهان في علوم القرآن": التفسير قسمان: «أحدهما ورد تفسيره عمن يعتبر تفسيره، وهو من النبيﷺ، والصحابة ﷺ والتابعين، وأما القسم الثاني فهو قسم لم يرد النقل فيه، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق»[4]، ويقول ابن كثير: فقد رجع كثير من الأئمة في التفسير إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر فإنه كان آية في التفسير، وذلك إذا لم يجدوا في القرآن ولا في السنة ولا عن الصحابة ﷺ[5].

ومن ثم، في العادة يبدأ المفسرون -قديما وحديثا- أولا بالذكر ماجاء عن الرسول ﷺ عن آية التي تفسرها إن وجد، فإن لم يجد فإنه يتحرى ماقدمه الصحابة ﷺ، فإن لم يجد فإنه يرجع إلى التابعين[6].

---

[1] ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير، ص57، وانظر موسى إبراهيم: تأملات قرآنية،ص76.

[2] الزركشي: البرهان،ج2،ص158.

[3] انظر البرهان،ج2،ص158، وانظر الإتقان،ج2،ص473-474.

[4] المرجع نفسه،ج2، ص172.

[5] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم،ج1،ص9.

[6] جمال البنا : تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، د.ط، القاهرة : دار الفكر الإسلامي، د.ت، ص54.

ومما يدل على ذلك إن الأئمة المفسرين المشتغلون بالتفسير وعلومه والذين يهتمون به فهم يعتمدون كثيرا إلى مرويات التابعين ويرجحون بها، فمثلا كما ورد ذلك في كتب التفسير: تفسير الطبرى وتفسير الدر المنثور للسيوطي، وتفسير ابن كثير، وتفسير القرطبي ورد في هذه الكتب وغيرها كثير من أقوال وتفسير التابعين.

وبعد هذا العرض عندى مما جعل تفسير التابعين له قيمة العلمية حكما ومترلة عند العلماء والمفسرين خاصة يرجع إلى عدة أسباب:

1. قُرب عهدهم بعهد الرسالة، حيث كانت لا تزال الفطر سليمة، والنفوس لا سبيل لها للقول في كتاب الله ﷻ وفق أهوائها ورغباتها. ولذا لهم المدح والمترلة من الرسولﷺ، كما جاء في قولهﷺ:﴿ خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم﴾[1]، وجاء قوله ﷺ:﴿لا تزالون بخير مادام فيكم من رآنى وصاحبني، والله لا يزالون بخير مادام فيكم رأى من رآنى وصاحبني﴾[2].

2.لهم مبلغ كفائة العلمية وسعة المعارف وقوة الذاكرة، وهذا بلا شك لأنهم من متخرجي مدارس الصحابة ﷺ وقد تلقّفوا علومهم عدد كبير منهم الذين لازموا، وتأثروا بمنهجهم، وساروا على سننهم في تفسير كتاب الله، وبفضل عن سلامة فطرتهم وصفاء نفوسهم وصالح أعمالهم.

وكذلك أن آراؤهم ونظراتهم في التفسير فهي مستنبطة من أصول متينة ومن مناهل صافية، من خير الوسائل السليمة التي أخذوها من الصحابةﷺ، ولذا يقول السيوطي: «من عدل عن مذاهب الصحابة ﷺ والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك من كان مخطئا في ذلك كالمبتدعة،لأنهم كانوا أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله»،[3] وفي هذا الصدد يقول ابن تيمية عن بعض مفسرى التابعين: «وأما ماروي عن مجاهد وقتادة، وغيرهما من أهل العلم، أنهم فسروا القرآن؛ فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن أو فسروه بغير علم، أو من قبل أنفسهم»[4].

---

[1] قد سبق تخريجه.

[2] السيد محمد نوح وعبد الرزاق خليفة الشايجى:التابعون وجهودهم في خدمة الحديث النبوي،ص16.

[3] السيوطي : الإتقان،ج2، ص504-505.

[4] ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير، ص68.

وإضافة مما ذكرت، أن مما يدل علي ذلك كان التابعون قد نجحوا في استجابة حاجات الناس وقضايا في عصرهم في تفسيرهم، وهذا ما ذكرته في مطلب "التوسع في التفسير" في عهدهم.

وبهذا العرض السابق يتضح لنا أن من قيمة العلمية التي تحمله التفسير في عصر التابعين هو من حيث حكم العلماء فيه ومنزلته عندهم، والله أعلم.

المطلب الثالث: أثره القيم لمرحلة التفسير بعد التدوين

وبعد حديثنا عن التفسير في عصر التابعين و ذكر بعض مكانته وخصائصه في المباحث السابقة، فيجدر بنا أن نقف وقفة عن آثاره فهي –حسب نظرى– قيمة أخرى للتفسير في هذه المرحلة.

ومن المعلوم، أن هذا الجيل قد ترك لأجيال من بعدهم ثروة علمية هائلة وكنوزا معرفة وثقافية زاخرة فربما لا يوجد مثلها ولا قريب منها في أية أمة من أمم الأرض إلى يوم الناس هذا.

ومن ثم نجد شخصيات متميزين وبارزين في أنواع معين من العلم، أذكر مثلا: أهل اللغة والغريب : الحسن والشعبي وغيرهما، ابن المسيب، وعطاء والنخعي هم من أهل الفقه، وأهل التفسير منهم مجاهد، وعكرمة، وقتادة والحسن[1]، وذكر السيوطي قول قتادة: «كان أعلم التابعين أربعة كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير وكان عكرمة أعلمهم بالسير وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام»[2].

ومن هنا أود أن ألفت النظر إلى آثار تفسير التابعين القيمة لأجيال من جاء بعدهم، وأحدد ذلك في بعض الأشياء المتعلقة بالتفسير، وأرى أن من آثار التفسير في عهد التابعين فهي تتجلى فيما يلى:

أولا: أن التابعين هم الذين وضعوا المعيار الأساسي في بعض مناهج التفسير، ومن ذلك منهج التفسير بالمأثور ومنهج التفسير بالرأي، والأجيال اللتي جآءت من بعدهم سلكوا هذا المنهج واصطلحوا بتلك المصطلحات.

---

[1] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة، ج2،ص968.

[2] السيوطي : الإتقان،ج2،ص499.

-التفسير بالمأثور هو تفسير القرآن بالقرآن وبما ورد عن النبي ﷺ وأصحابه ﷺ وجاء من التابعين[1]، ومع خلاف العلماء في التفسير بأقوال التابعين، فمنهم من اعتبره من التفسير بالمأثور ومنهم من اعتبره من التفسير بالرأي[2].

ومن هذا التعريف أرى أن هذا المنهج قد سلكه التابعين فى تفسيرهم، وذلك سواء كان من يرى أقوال التابعين منه أو ليس منه فإن تفسيرهم يشمل على الرجوع بأقوال الصحابة ﷺ وبأقوال بعضهم من التابعين.

ولهذا يُقال أن نشأة هذا الاتجاه مند وقت مبكر في عهد الصحابة ﷺ والتابعين[3] وذلك كما اشتهر في منهج مدرسة التفسير بمكة والمدينة بمدرسة التفسير بالمأثور والكوفة بمدرسة التفسير بالرأي[4]، ومن هنا نستطيع أن نقول أن من أثر تفسير التابعين القيم هو منهج التفسير بالمأثور الذي لا يزال يعتبر أحسن المنهج في تفسير القرآن، وقد ألّف كثير من كتب االتفسير بهذا الاتجاه، وأعظمه وأجلها تفسير الطبري[5].

-أما التفسير بالرأي وهو تفسير القرآن بالاجتهاد وذلك بعد معرفة المفسر بأداوات التفسير كمعرفة اللغة العربية ووأساليبها ومعرفة أسباب نزول آيات ومعرفة الناسخ والمنسوخ وغير ذلك[6].

---

[1] انظر الزرقاني:مناهل العرفان،ج1،ص10، وانظر الذهبي:التفسير والمفسرون،ج1،ص112، وانظر لطفي الصباغ:لمحات في علوم القرآن واتجهات التفسير،ص260، وانظر محمود محمد حوّا:التفسير ورجاله،ص35، وانظر فهد الرومي:أصول التفسير ورجاله،ص86، وانظر ومحمد عبد القادر حجازي: التعريف بالتفسير ومنه رجاله،ج1،ص36.

[2] انظر الزرقاني: مناهل العرفان،ج2،ص12، وانظر محي الدين بلتاجي:دراسات في علوم القرآن،ص24-25، وانظر ولطفي الصباغ: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص263-264، وانظر الذهبي: والتفسير والمفسرون،ج1،ص112-113، وانظر ومحمد حجازي: التعريف بالتفسير ومنهج رجاله،ج1،ص36.

[3] انظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص112، وانظر لطفي الصباغ:لمحات في علوم القرآن واتجهات التفسير،ص260، وانظر فهد الرومي:أصول التفسير ورجاله،ص86.

[4] لطفي الصباغ: لمحات في علوم القرآن، ص260.

[5] انظر الإتقان،ج2،ص500،و501.

[6] انظر الذهبي: والتفسير والمفسرون،ج1،ص183، وانظر الزرقاني: مناهل العرفان،ج2،ص36، وانظر لطفي الصباغ: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص279، وانظر محمود حوّا: التفسير ورجاله، ص40، وانظر فهد الرومي:أصول التفسير ورجاله،ص100.

وكذلك هذا المنهج قد سلكه التابعون وذلك كما قد أشرت من قبل أنهم قد تمكنوا بالاجتهاد وأحسن اجتهادهم وأنهم أكملوا ما لم يكن مفسرا في عهد الصحابة ﷺ وذلك لمراعاة الحاجات في عصرهم، وأيضا كان اجتهادهم بعيد عن معنى التفسير بالرأي المذموم، ونشأة هذا المنهج يرجع إلى عهد الصحابة والتابعين[1]، وكان التابعون هم الذين وضعوا بعض زيادات في هذا المنهج والتوسع فيه.

وقد سلك أجيال من بعدهم هذا المنهج، وألّف بعض العلماء بهذا المنهج، ومثل ذلك كتاب "البحر المحيط لأبي حيان الأندلوسي، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" لأبى الفضل الألوسي البغدادي.

وبالجملة، نستطيع أن نقول أن التابعين هم الذين وضعوا المعيار الأساسي لهذين المنهجين وتوسعوا وزادوا فيهما بعد أن كان من مسلك الصحابة ﷺ، وأن أجيال من بعدهم إلى يومنا هذا تأثروا بما وضعه التابعون رحمهم الله.

ثانيا: وأثره القيم وأعظمه هو مدونات التفسير في هذا العهد، وهذا كما سبق أن ذكرنا أن بداية تدوين التفسير كان في هذا العهد، بفضل كتابات التفسير في صحائف، ومن هذه المدونات وصلت إلينا، كتفسير مجاهد بن جبر[2] وتفسير سعيد بن جبير[3] تفسير الحسن البصري[4] وتفسير قتادة[5] وتفاسير غيرهم كما نرى في كتب التفسير[6].

ثالثا: ومن آثار التفسير لهذا العهد هو كما ذكرها الدكتور محمد الخضيري[7]، وأستخلصها فيما يلى:

---

[1] انظر محمد حوّا: التفسير ورجاله، ص40، وانظر فهد الرومى:أصول التفسير ورجاله، ص100.

[2] قد طبع باسم تفسير مجاهد ومع فيه بعض تفاسير غيره من التابعين، كما أشرت من سابقا، انظر تفسير مجاهد، تحقيق عبد الرحمن السورتي،دار المنشورات العلمية:بيروت.

[3] قد درس وجمع وحقق تفسير سعيد بن جبير على يد محمد أيوب يوسف، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة.

[4] انظر تفسير الحسن البصرى جمع وتوثيق محمد عبد الرحيم، القاهرة : دار الحديث.

[5] انظر تفسير قتادة؛ دراسة للمفسر ومنهج تفسيره، لعبد الله أبو السعود، القاهرة : عالم الكتب،1399هـ.

[6] وقد جمع أبي حاتم تفسير التابعين مع أسند إلى الرسولﷺ والصحابة 14مجلدا فى كتابه تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، تحقيق أسعد محمد الطيب،ط2، بيروت: المكتبة العصرية، 1999.

[7] انظر تفصيلا تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج2،ص983-1165.

1. أثره القيم في كتب التفاسير بالمأثور من حيث اعتمادها كثير بروايات تفسير التابعين، وكذلك ورود مرويات عنهم في كتب التفاسير الأخرى، ككتب التفسير بالرأي، ومن ثم إذا فتحنا كتب التفسير لوجدنا من خلال صفحاتها أقوال التابيعن في التفسير، وأنه لا يوجد آية انفرد بتفسيرها صحابي ولا يوجد عن التابعين فيها نقل وأثر، بينما وجد الكثير من الروايات عن التابعين في تفسير آيات لم ينقل فيها عن الصحابة تفسير لها، وذكر الدكتور الخضيري بعض أمثلة من تفسير آيات التي ما انفرد التابعون في تفسيرها.

2. وأكد الدكتور محمد الخضيري، أن من آثار تفسير التابعين تتجلى في كتب التفسير المعتبرة عند غير أهل السنة كالشيعة والخوارج ورد فيها كثير من أقوال التابعين، وثبت أن جمع من أئمة المفسرين منهم يعتمدون ويقدرون تفسير التابعين، وبغض النظر وجود مخالفة بعض منهم لتفاسير التابعين.

3. ويواصل الدكتور الخضيرى دراسته في آثار تفسير التابعين، ووجد أن أقوال التابعين كانت الأساس لوضع نواة أصول التفسير أو علوم القرآن، ومن أصول التفسير التي ترجع أساسها إلى أقوالهم منها:

أ. الوجوه والنظائر أو ما اصطلح اليوم بتفسير الموضوعى للقرآن، ونزول القرآن.

ب. علم أسباب نزول القرآن.

ت. معرفة المكي والمدني.

ث. المحكم والمتشابه.

ج. الناسخ والمنسوخ.

ح. أقسام القرآن.

وبهذا العرض السابق، يتبين لنا أن لتفسير في عهد التابعين له آثار القيمة لمراحل التفسير من بعدهم، ومن هذه آثار اللتي ذكرتها –بفضل غيرها من آثار وكثير–توضح وتأكد القيمة العلمية لتفسير في هذه المرحلة.

الفصل الرابع:

تقويم التفسير قبل التدوين

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: دخول الإسرائيليات
- المبحث الثاني: الوضع في التفسير
- المبحث الثالث: سقوط وانقطاع مسانيد في التفسير

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التمهيد:

قد تحدثنا فيما تقدم عن التفسير قبل التدوين في مراحله الثلاث: في عهد النبي ﷺ، وفي عهد الصحابة ﷺ، وفي عهد التابعين -رحمهم الله جميعا- ببعض من التفصيل، مع توضيح مصادرها وخصائصها وقيمتها العلمية، ومن خلالها تبين لنا ما امتاز به المفسرون فيها من اهتمام كبير بالتفسير، إضافة إلى ما امتازوا به من سعة إدراك و نظر ثاقب لا يقف عند ظواهر النصوص فحسب، بل ويتعداها إلى روح المعاني وأسرار التنزيل، ومن ذاك كان لتلك المراحل المكانة العليا والدرجة الفضلى على من سواها من المراحل التي تلتها، وعلى الرغم من هذا كله، فإنه قد تسرب إلى التفسير في عهد التابعين بعض الإسرائيليات والأحاديث الضعيفة، وذلك لقلة فحص الروايات عند بعض العلماء الغير متخصصين في علوم الحديث.

ومن ثم يجدر بنا أن نقوم بتقويم التفسير في هذه المراحل، من حيث دخول الإسرائيليات عليه والاستدلال بالأحاديث الضعيفة، والوضع واسبابه غيرها من الأمور التي ستجلي لنا المآخذ حولها.

وهذا ما سأحاول توضيحه في هذا الفصل، إن شاء الله.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: دخول الإسرائيليات

لقد تكلمنا فيما سبق عن الإسرائيليات في التفسير، وأثبتنا أن بداية ظهور الإسرائيليات في التفسير هو في عهد الصحابةﷺ، أما في عهد التابعين فقد زاد دخولها فيه، وليس مرادي الآن تكرار ماسبق، وإنما أود أن أتحدث عن تقويم الإسرائيليات في التفسير قبل التدوين.

- **تقسيم أخبار الإسرائيليات**

وقبل أن نقف على محاذير ومآخذ دخول الإسرائيليات في التفسير، يجدر بنا أن نبين تقسيم العلماء لها وحكمهم عليها، فمن حيث التقسيم فهي تنقسم إلى ثلاثة أنواع[1]:

الأول : ما يعلم صحته عن النبيﷺ صحيحا، وهذا القسم الحق والمقبول، يقول الدكتور محمد أبو شهبة: «هذا القسم صحيح، وفيما عندنا غنية عنه، ولكن يجوز ذكره، وروايته للاستشهاد به، ولإقامة الحجة عليهم من كتبهم»[2].

ومثاله مارواه البخاري وغيره عن ابن مسعود ﷺ قال : "جاء حبر من الأحبار إلى رسول اللهﷺ فقال : يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع ...وسائر الخلائق على إصبع فيقول : أنا الملك، فضحك النبيﷺحتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول اللهﷺ : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ[3]﴾[4].

الثاني : ما أنكره الإسلام أوما يعلم كذبه، بأن يناقض ماجاء صحيحا من التشريع الإسلامي، فهذا النوع باطل لا يصح قبوله ولا روايته.

---

[1] انظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص130-131، وانظر موسى إبراهيم: بحوث المنهجية في علوم القرآن، ص100، وانظر الذهبي: الوحي والقرآن الكريم، ص 146، وانظر خالد عبد الرحمن العك :أصول التفسير وقواعده، ص161-162، وانظر الزرقاني: مناهل العرفان،ج2،ص22.

[2] الإسرائيليات والموضعات في كتب التفسير، ص106.

[3] الزمر:67.

[4] رواه البخاري، رقم الحديث: 4492، كتاب التفسير، ج18،ص69-70.

ومثال ذلك: اليهود تقول إذا جامعها من ورائها، جاء الولد أحول؛ فنزلت: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ[1]﴾[2].

الثالث : ما هو مسكوت عنه أو مالخالف قواعد الإسلام، و لم ينكره، فيجب التوقف فيه.

لما جاء من قول النبيﷺ :﴿لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ... [3] ﴾[4]، وهذا غالب ما يروى عن أهل الكتاب، و ذلك مما ليس فيه فائدة في الدين، كتعيين لون كلب أصحاب الكهف وعصا موسى ونحوه[5].

ومن هنا نرى أن حكم التحديث بالنوع الثالث جائز،لقول ﷺ: ﴿بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده م النار﴾[6].

وقد فسر بعض العلماء "الإذن" من النبيﷺ، فابن حجر يرى : «كأن النهي قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك، لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار»[7]، ويقول الدكتور موسى إبراهيم: هذا في حدود الاستشهاد لا الإعتماد[8]، ومن هنا ذكرت في الفصل الثاني أن رجوع الصحابة ﷺ إلى أهل الكتاب في هذه الحدود فقط، أي يسألونهم عن أشياء لا تعدو أن تكون توضيحا للقصة، وبيانا لما أجمله القرآن منها وجاء تفصيله في كتبهم، مع توقفهم فيما يلقى إليهم، وهذا امتثالا لقوله ﷺ ﴿ لا تصدقوا أهل الكتاب...﴾»[9].

ومن ثم أن الإذن لا يليق بالسؤال أو الأخذ في أوامر الدين، لما رواه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: ﴿لا تسألوا أهل الكتاب عن شئ ؛ فإنهم لن

---

[1] البقرة: 223.

[2] رواه البخاري رقم الحديث :4213،كتاب التفسير، ج 17،ص36.

[3] البقرة:136.

[4] رواه البخاري، رقم الحديث: 4173، كتاب التفسير، ج17،ص13.

[5] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص131، وانظر خالد عبد الرحمن العك: أصول التفسير وقواعده، ص260.

[6] رواه الترمذي، رقم الحديث: 2674، باب ماجاء في الحديث عن بني إسرائيل، ج5،ص40.

[7] ابن حجر:فتح الباري،ج6،ص329.

[8] موسى إبراهيم لإبراهيم:بحوث المنهجية في علوم القرآن، ص100.

[9] رواه البخاري، رقم الحديث: 4173، كتاب التفسير، ج17،ص13.

يهدوكم، وقد ضلوا ، فإنكم إما أن تصدقوا بباطل، أو تكذبوا بحق، وإنه لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني﴾[1].

وروى البخاري عن عبد الله بن عباس ﷺ أنه قال : يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل على نبيهﷺ أحدث الأخبار بالله تقرءونه لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب قد بدلوا ما كتب الله، وغيروا بأيدهم الكتاب فقالوا : هو من عند الله ليشتروا بذلك ثمنا قليلا أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مُساءلتهم ؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلا قط يسألكم عن الذي أنزل إليكم﴾[2].

ومما سبق نجد أن ورود "الإذن" من النبيﷺ وكون بعض الصحابة ﷺ مع سعة علمهم في التفسير فإنهم ينقل عن الإسرائيليات كابن عباس ﷺ[3]، من أسباب كثرة الإسرائيليات في عهد التابعين،بالإضافة إلى دخول كثير من أهل الكتاب في الإسلام، وميل النفوس لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث أهل الكتاب[4]، ولقد عبر ابن خلدون عن ذلك بأنه قد: «امتلات التفاسير بالمنقولات عنهم في أمثال هذه الأغراض، وأخبار موقوفة عليهم، وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل، وتساهل المفسرون في مثل ذلك، وملئوا كتب التفسير بهذه المنقولات...»[5].

وفي هذه المرحلة هناك من اشتهر برواية الإسرائيليات، منهم: عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج[6]، حيث أن أغلب كتب التفسير تزخر بالمرويات التي تنسب إليهم، و هذا مما لا يقدح في فضلهم ولا مكانتهم العلمية عند جميع المسلمين.

---

[1] مسند الإمام أحمد، رقم الحديث:14672، ج3،ص387،338.

[2] رواه البخاري، رقم الحديث: 2506، كتاب الشهادات، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها، ج11،ص206.

[3] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج2،ص900.

[4] انظر أحمد أمين: فجر الإسلام،ج2، ص205

[5] ابن خلدون: المقدمة، ص 349.

[6] انظر تفصيل التعريف عنهم وموقف العلماء فيهم: الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص133-144، وانظر أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص97-105.

وفي هذا الصدد يجدر بنا التنبيه إلى ماقاله الدكتور أبو شهبة: أن الإسرائيليات المكذوبة والباطلة و المروية عن هؤلاء الصحابة والتابعين ليسوا هم الذين وضعوها أو اختلاقوها –كما زعم بعض الناس–وإنما هم الذين رووها، ونقلوها عن بعض الصحابة والتابعين من أهل الكتاب ومعارفهم[1].

- **مآخذ الإسرائيليات في التفسير قبل التدوين**

وبعد ذلك العرض، فلا شك من شيوع الإسرائيليات بين جنبات التفسير قبل التدوين، ومن ثم لابد لنا من تقويم هذه الظاهرة، وإبرازخطورتها.

1. خطورتها من حيث رفعها للنبي ﷺ:

وذلك أن بعض الزنادقة وأعداء الإسلام والوضاعين وضعاف الإيمان قد رفعواها إلى النبي المعصوم ﷺ ونسبوها إليه صراحة، وهنا يكون أكبر الضرر الفاحش والجناية الكبرى على الإسلام، لأنه كذب على الرسول ﷺ، وهو أعظم الكذب بعد الكذب على الله ﷻ، ومن المعلوم أن النبيﷺ بريء من هذه الأخبار، لقول الله ﷻ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾، ولذا فنسبة الغلط أوالخطأ أو الكذب إلى الراوي أياً كان أهون بكثير من نسبة ذلك إلى النبي ﷺ[2].

2. خطورتها من حيث وقفها على الصحابةﷺ:

جاءت بعضِ الروايات الإسرائيلية– بل الكثير منها– موقوفاً على الصحابةﷺ ومنسوباً إليهم، فيظن من لا يعلم حقيقة الأمر، ومن ليس من أهل العلم بالحديث أنها متلقاة عن النبي ﷺ لأنها من الأمور التي لا مجال للرأي فيها ولها حكم المرفوع إلى النبي ﷺ، وإن لم تكن مرفوعة صراحة[3]. ومن هنا تتضح خطورتها، وكذلك نسبة الإسرائيليات إلى الصحابة ﷺ مما لا تليق بعظمتهم.

3. خطورتها من حيث نسبتها إلى التابعين:

---

[1] أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير،ص96.

[2] انظر أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير،ص94.

[3] أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير،ص94.

وكذلك جاء الكثير من هذه الإسرائيليات عن التابعين، و احتمال أخذها عن أهل الكتاب الذين أسلموا، أكثر من احتمال أخذها عن الصحابة..، ويجوز ان يكون بعضها مما ألصق بالتابعين، ونُسب إليهم زورا ولا سيما أن أسانيدها معظمها لا تخلومن ضعيف أو مجهول، أو متهم بالكذب، أو اشتهر بالوضع،أو معروف بالزندقة، أو مغمور في دينه وعقيدته [1].

4. إن الإسرائيليات مشحونة بكثير من الأباطيل والخرافات التي تفسد عقيدة المسلمين، وذلك بما تحويه من تشبيه وتجسيم لله، ووصفه بما لا يليق جلت عظمة ﷻ، ونفي العصمة عن الأنبياء والمرسلين، وتجعل الإسلام دينا خرافيا بما تحويه من ترهات واهية وأباطيل لا أصل لها، وكلها نسيج عقول ضالة وخيال جماعات مضللة.

5. اعتقاد من لا يعلم حقيقة الأمر، ومن ليس من أهل العلم من العامة أن هذه الإسرائيليات صحيحة ويمكن الإحتجاج بها، مع أن بعضها مدسوس على الإسلام مشوّهة له، وساعد على ذلك وجودها بين ثنايا كتب مشهورة، مؤلفوها أجلاء،إضافة إلى أن بعض الدعاة وعند الكلام في التفسير بين عامة الناس فإنهم يتخذون من رواية الإسرائيليات وسيلة لجلب اهتمام الجمهور.

6. ومن خطورتها كذلك أن لها أثر سيء في التفسير[2]:

أ.فلقد كان لهذه الإسرائيليات التي اخذها المفسرون عن اهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله تعالى اثر سيء في التفسير، ذلك لأن الأمر لم يقف على ما كان عليه في عهد الصحابة،بل زادوا على ذلك فرووا كل ما قيل لهم إن صدقا أوكذبا، بل و دخل هذا النوع من التفسير كثير من القصص الخيالي المخترع، ومما جعل الناظر في كتب التفسير التي هذا شأنها يكاد لا يقبل شيئا مما جاء فيها، لاعتقاده أن الكل من واد واحد، وفي الحق أن المكثرين من هذه الإسرائيليات وضعوا الشوك في طريق المشتغلين بالتفسير، وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ماروووه من قصص مكذوب وأخبار لا تصح.

[1] ابو شهبة،ص94-97 بتصرف، وانظر محمد حجازي: التعريف بالتفسر ومنهج رجاله، ج1،ص65، وانظر ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير،ص26-27.

[2] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص130، فهد الرزمي بحوث في أصول التفسير ورجاله،ص87.

ب. إنها كادت تصرف الناس عن الغرض الذي أنزل القرآن من أجله، وتلهيهم عن التدبر في آياته بالاهتمام إلى القصص الخيالي وجانب التافه مضيعة للوقت فيما لا فائد من معرفته كالكلام عن لون كلب أصحاب الكهف وعن عصا موسى[1].

ج. التوسع فيما لا فائدة فيه، وهذا كمثل التوسع في بحث عن تفسير آيات عن لون كلب أهل الكهف واسم الشجرة التي أكل منها آدم، ونحوذلك[2].

د. قد تؤثر روايتها سلبا على الروايات المعتمدة في التفسير بالمأثور[3].

- **إيجابيات الإسرائيليات في التفسير قبل التدوين**

وأما إيجابيات ظهور الإسرائيليات في التفسير قبل التدوين فهي أقل من مآخذها، ومنها:

1. معرفة صدق ماجاء به الإسلام وأباطيل ماجاءت به كتب أهل الكتاب، نظرا لتحريفها ونسخها من قبل علمائ الزيغ والضلال وأهوائهم[4].

2. ظهور علم الرجال والإسناد،مفخرة الأمة الإسلامية، فهو علم انفردت به دون سائر الأمم، فالإسرائيليات -مما لاشك فيه- سبب من أسباب وجوده بسبب كثرة روايتها في عهد التابعين، كما ذكرنا سابقا.

3. معرفة أحوال أهل الكتاب، وذلك أن الإسرائيليات بما فيها من صحيح، تعطي للمتأمل معلومات معرفية عن أهل الكتاب وما كان من أخبارهم.

ويرى الدكتور محمد الخضيري : «أن من النتائج الإيجابية التي ترتبت عن الأخذ عن أهل الكتاب أن صار بعض المفسرين يرجح بين الأقوال المحتملة بما روي من الإسرائيليات»[5]، فمن الترجيح ماورد عن تفسير قوله ﷻ:﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾[6]، فقد أنكر مجاهد نزول

---

[1] الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث،ص29-34، بتصرف.

[2] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج2،ص902.

[3] محمد حجازي: التعريف بالتفسير ومنهج رجاله،ج1،ص42، وانظر محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج2،ص903.

[4] موسى إبراهيم: بحوث المنهجية في علوم القرآن، ص99.

[5] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج2،ص906.

[6] المائدة: 115.

المائدة حقيقية خلافا لظاهر الآية، وجعل سبب الترجيح أن أهل الكتاب لم يرد عندهم فيها شيء، وهذا مما تقدم الداعي على نقله، فلم يُنقل عنهم، فرأى مجاهد أن القول بعدم نزولها هو الأولى بالقبول»[1].

وبعد هذا العرض، يتضح لنا أن دخول الإسرائيليات في التفسير قبل التدوين فيه من المآخذ أكثر من الإيجابيات ، ومن ثم وجب على المفسرين عامة وعلى المحققين منهم خاصة أن ينبهوا على الصحيح والباطل منها أولا، ثم يعرضوا عن الباطل منها والتي لا طائل تحتها مما يعد صارفا عن تدبر القرآن في أحكام الله وحكمته[2]، ويقول الدكتور الذهبي: لابد للمفسر «أن يكون يقظا إلى أبعد حدود اليقظة، ناقدا إلى نهاية ما يصل إليه النقاد من دقة ورويه حتى يستطيع أن يستخلص من هذا الهشيم المركوم من الإسرائيليات ما يناسب روح القرآن، ويتفق مع العقل والنقل، كما يجب أن يترك النقل عن أهل الكتاب إذا كان في سنة نبينا ﷺ بيان لمجمل القرآن»[3].

[1] محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة ،ج2،ص907.

[2] خلد عبد الرحمن العك: أصول التفسير وقواعده،ص263.

[3] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص131.

المبحث الثاني: الوضع في التفسير

في هذا المبحث أحاول أن أوضح ظاهرة أخرى في التفسير قبل التدوين، وهي ظهور الوضع في التفسير أو التفسير الموضوع، ومن هنا سوف نتعرف المحاذير والمآخيذ لهذه المراحل في التفسير.

- **تعريف الموضوع**

لغة اسم مفعول من «وضع الشيء يضعه وضعا: «يدل على الخفض (للشيء) وحطّه، ووضعته بالأرض وضعا، ووضعت المرأة ولدها»[1] أي إذا ولدته، أو مأخوذ من الضعة وهي الانحطاط في الرتبة[2].

واصطلاحا: وهو المختلق المصنوع[3]، المختلق المكذوب على النبيﷺ أو على من بعده من الصحابة والتابعين[4].

والواضع فهو الذي صنع كلاما من عند نفسه فرواه ينسبه إلى النبيﷺ أو إلى الصحابي أو التابعي ﷺ، أو أخذ كلاما لبعض الصحابة أوالتابعين أو الحكماء أو مايروى عن الإسرائيليات غيرهم ثم وضعه على رسول اللهﷺ[5].

وإذن، المقصود بالوضع في الاصطلاح هو تلك المرويات التي اختلقها الوضّاعون، ونسبوها إلى رسول الله ﷺ، أو لبعض الصحابة أو لبعض التابعين ﷺ، فالوضع في التفسير[6] أي المرويات التي اختلقها الوضّاعون في تفسير القرآن الكريم ونسبوها إلى رسول الله ﷺ، أو لبعض الصحابة أو لبعض التابعين ﷺ.

---

[1] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة،ج6،ص117.

[2] انظر أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير،ص14،وانظر نذير حمادو: تيسير مصطلح الحديث،ج2، د.ط، ط.ن،د.ت،ص81.

[3] ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث،ص58.

[4] انظر أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير،ص14، وانظر نذير حمادو: تيسير مصطلح الحديث،ج2، ص81.

[5] ابن الصلاح : مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ص59، أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير،ص14.

[6] هو كالوضع في الحديث أو جزء منه.

● ابتداء الوضع في التفسير

ومن المعلوم، كان التفسير جزءا من الحديث لا يستقل أحدهما عن الآخر، فكما أن في الحديث الصحيح والحسن والضعيف وفي رواته من هو موثوق به ومن هو مشكوك فيه ومن عرف بالوضع، فكذلك شأنه في التفسير أي فيما روى من التفسير ومن روى من المفسرين، فلذا أن ظاهرة الوضع نشأت أولاً في الحديث النبوي، ثم ظهرت تبعاً لذلك في التفسير[1].

وقد حدد العلماء إبتداء تاريخ نشأة الوضع في السنة الحادية والأربعين للهجرة (41)، وذلك حيث اختلف المسلمين سياسيا حين تولى أول خلفاء دولة بنى أمية معاوية ﷺ بعد مقتل رابع الخلفاء الراشدين علي كرم الله وجهه ونزول الحسن بن علي له عن الخلافة، فتفرقوا المسلمون الشيعة والخوارج وجمهور أهل السنة الذين يلتزمون بالكتاب والسنة[2]، ومن ذلك نشأت الأحزاب والفرق والتي كانت الباذرة الأولى في فتنة عثمان واستشهاده[3].

● أسباب الوضع في التفسير

فإن ظاهرة الوضع عموماً ظهرت نتيجة لأسباب عديدة[4]، وهنا سأقتصر على هذا القدر خشية الإطالة فيما لا مجال للخوض في بحثي، فأستخلص من أقوال بعض العلماء[5] أسباب ظهوره في أربع نقاط الرئيسية وهي:

---

[1] انظر ابراهيم خليفة: دراسات في مناهج المفسرين،ص255، وانظر إبراهيم خليفة: الدخيل في التفسير،ج1،ص419، محمد حجازي: التعريف بالتفسير ومنهج رجاله،ص43، وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص115.

[2] انظر المصدر نفسه، نفس الصفحة، وانظر ابراهيم خليفة: الدخيل في التفسير،ج1،ص421-422، وانظر محمد حجازي: التعريف بالتفسير ومنهج رجاله،ص43، وانظر الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث،ص21، وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص116.

[3] محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين، لبنان : دار الفكر، ط3، 1980،ص182-183، الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص259.

[4] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص116، وإبراهيم خليفة عدها إحدى عشر سبب ولكن أرى يضم بعضها بعضا، انظر الدخيل في التفسير،ص434-448.

[5] انظر المصدر نفسه، نفس الصفحة، وانظر ابن الجوزي: كتاب الموضوعات،ص14-16، وانظر إبراهيم خليفة: الدخيل في التفسير،ص434-448، وانظر ابراهيم خليفة:دراسات في مناهج المفسرين،ص257-260، وانظر محمد حجازي: التعريف بالتفسير ومنهج رجاله،ص44-46.

1. التعصب المذهبي، فقد كان التعصب المذهبي الذي ابتليت به هذه الأمة نتيجة حتمية لانقسامها إلى فرق مختلفة ومذاهب متعددة، وإن العصبية المذهبية قد يدفع صاحبه إلى ارتكاب أي شيء لانتصار أولتأييد مذهبه حتى لو كان في سبيل الباطل والإفتراء، كما نسب الشيعة إلى النبي ﷺ وإلى علي ﷺ وغيره أقوالا كثير في التفسير لتأييد مذهبه وكما فعل ذلك الخوارج.

2. النزعة السياسة المتعصبة، واختلاف الولاء السياسي فيها؛ فبعد أن انقضى عهد الخلافة الراشدة بدأ عهد الملوك والذي تمثل في الخلافة الأموية ثم العباسية، فنجد اللون السياسي في أسباب ظهور الوضع في التفسير، فنجد ما نسب التفسير الموضوع إلى علي ﷺ من حيث أنه من يعظمه الشيعة وكذلك إلى ابن عباس ﷺ من حيث كان من نسله عن الخلفاء العباسيون.

3.لأغراض الدنياوية،كحب الشهرة واستمالة قلوب العمة بذكر الغرائب، ومن هذا المعنى استرضاء الخلفاء بما يوافق هواهم.

4. المكايدة للإسلام بإظهاره في مظهر المجافة للمنطق السليم أو الذاجة المفروطة المستجلبة لسخرية، وهذا مافعله أعداء الإسلام الذين اندسوا بين أبنائه متظاهرين بالإسلام، ومثال الوضع في التفسير فهو كثير أذكر بعض منها مايلي:

- ومنها الأحاديث الكثيرة الصريحة في الجهر بالبسملة، ومثل ما روي في قوله ﷻ :﴿ولكل قوم هاد﴾[1]، إنه علي، ﴿وتعيها أذن واعية﴾[2]، أذنك يا علي!![3].

-ماروى الإمام مسلم بسنده عن سفيان بن عيينة، قال: سمعت رجلا سأل جابرا عن قوله عز وجل:﴿فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين﴾ فقال جابر: «لم يجيء تأويل هذه!!» قال سفيان: «وكذب»، فقلنا لسفيان:«وما أراد بهذا؟» فقال:«إن الرافضة تقول:«إن عليا في السحاب، فلا نخرج مع من خرج من ولده، حتى ينادي مناد من السماء-يريد عليا-أنه ينادي: اخرجوا مع فلان، يقول جابر:«فذا تأويل هذه الآية، وكذب، كانت في إخوة يوسف عليه السلام»[4].

وهناك أمثلة أخرى فربما لا تحصى.

---

[1] الرعد:7.

[2] الحاقة:12.

[3] ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير،ص45.

[4] رواه مسلم، مقدمة صحيحه،ج1،ص20-21.

- **مآخذ على الوضع في التفسير قبل التدوين**

فمما لا شك فيه أن الوضع على الرسول ﷺ والصحابة والتابعين ﷺ في أي مجال وخاصة في التفسير كان له الآثار قبيحة على الأمة الإسلامية، فيجدر بنا أن نقوم بالتقويم لتفسير قبل التدوين من هذه الناحية، فعندى فيها عدة نقاط مهمة:

1. عند بعض الناس قد يختلط الرواية الصحيحة في التفسير بالسقيم منها، وجعل بعض من ينظر إلى جميع ماروى عن واحدة، فيحكم على الجميع بالصحة، وربما وجد من ذلك روايتين متناقضتين عن مفسر واحد فيهتمه بالتناقض في قوله[1].

2. قد يفسد صروة العدالة والثقة في بعض علماء السلف من الصحابة والتابعين الذين يروون كثير من رواية التفسير بالتهمة من أجل نسبة إلى موضع في التفسير وبوجود نسبة أقوال متعددة متضاربة منسوبة إلى مفسر واحد، كمثل ابن عباس ﷺ وغيره من أئمة التابعين، وهذا كما اتهمهم المستشرق الكبير جولد تسيهر[2].

3. اسعال نار الفتنة والتفرقة بين المسلمين، إذ ظهور الوضع في التفسير وكثير ما يوجد فيه عن التفاسير الموضوعة كانت لدفاع أو لتأييد على مذهب أو فرقة معينة ولإحتقار غيره، فيبلغ الافراط والتعصب بين مذاهب المسلمين.

4. صرف الناس عن الغاية من تفسير القرآن وهو محاولة لعدم معرفة ما أراد الله ﷻ في كتابه العزيز، فبسبب الوضع تقع التفسير كما أراده صاحبه أي الواضع له[3].

- **آثار الوضع في التفسير قبل التدوين**

1. يرى صاحب التفسير والمفسرون أن من الآثار الإيجابية من الناحية الذاتية أن إجتهاد الواضع قد يكون صحيحا فلا يفسد قيمته العلمية، وإنما قيمته السندية[4].

2. هذه الظاهرة زادت من نشاط العلماء لتصفية الروايات.

---

[1] الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1،ص117، وانظر محمد حجازي: التعريف بالتفسير ومنهج رجاله،ج1،ص44.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص117-118، والمصدر نفسه،ج1،ص44، وانظر جولد تسيهر: المذاهب التفسير الإسلامي،ص99-102.

[3] خالد عبد الرحمن العك: أصول التفسير وقواعده، ص227.

[4] أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج2، ص143،وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص119-120.

3. بيان قيمة مقاومة الصحابة والتابعين للوضع وأهله مما حفظ الدين كله.

ومابذله الصحابة والتابعين ﷺ لحفاظ على الدين الإسلامي وعلومه من التفسير والحديث عندى تتمثل في عدة نقاط الآتية:

أ-إلتزام بالإسناد، وكما سبق أن ذكرنا أنه بعد حدوث الفتنة التى تترتب عنها ظهور الوضع في الحديث والتفسير كانوا يشددون في طلب الإسناد من الرواة.

ب- نشاط علمي والدقة في التثبت من الروايات، ومن ذلك كان التابعون يتلقون العلم مباشرة من الصحابةﷺ، وإذا ماسمعو من غيرهم فأسرعوا إلى من عندهم من الصحابة ليتأكدوا ما سمعوا حتى وإن كان لذلك لابد له أن يقوم برحالات تعليمية بمسافة بعيدة، ومن هذا المعنى عقد العلماء منهم الحلقات العلمية لتنبيه الناس إلى حقيقة مايسمعون قبولا وردا[1].

ج-تتبع الكذبة[2]، وكان العلماء في عهد الصحابة والتابعين ﷺ يحاربون الكذابين علانية ويمنعونهم من التحديث، وويحرضون عليهم السلطان، وهذا عامر الشعبى يمر بابى صالح صاحب التفسير، فيأخذه بأذنه ويقول: «ويحك! كيف تفسر القرآن وأنت لا تحسن أن تقرأ».

د- كتابة ما سمعوه وتلقوه من الروايات وتدوينه، كما فعله مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما، وقد سبق التعريف بهذه المبادرة التى تتجلى في عهد التابعين.

ومن ثم تتجلى نتائج عملهم وتحقق وعد الله في حفظ هذه الشريعة، وحمايتها من كل ما أصاب غيرها من الشرائع، من عوامل التحريف والبطلان.

- **حكم روايات التفسير الموضوع**

حكم رواية الموضوع في التفسير كالحكم عليها في الحديث، وقد أجمع العلماء خلفا وسلفا أنه لا يحل رواية الموضوع، ودليلهم قول الرسولﷺ:﴿من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين﴾[3]، وذلك في باب من أبواب إلا مقترنا ببيان وضعه سواء كان

---

[1] انظر المصدر نفسه،ص220-227، محمد نوح و عبد الرزاق خليفة الشايجي : والتابعون وجهودهم في خدمة الحديث النبوى،ص54-57.

[2] محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين،ص230.

[3] رواه مسلم، مقدمة صحيحه، ج1،ص8.

مايتعلق بالحلال والحرام أو الترغيب والترهيب والقصص والتواريخ[1] ونحوها ومن رواه من غير بيان فهو يعد من الكاذبين.

وقد حكم كثير من العلماء على من روي الموضوع سواء ذلك في الحديث أو التفسير من غير تنبيه إلى وضعه وتحذير الناس منه بالتعزير الشديد والتأديب[2].

وأما لمعرفة التفسير الموضوع فننظر إلى:

1. مايرجع إلى الراوى فهو إعتراف من واضعه بوضعه، وذلك صراحة منه أو بالنظر إلى القرائن، والجدير بالذكر، أن هذا ليس بقاطع في كونه موضوعا لجواز أن يكذب في هذا الإقرار بعينه، يقول السيوطى في "التدريب": «كأن يحدث بحديث عن شيخ ويسأل عن مولده فيذكر تاريخيا يعلم وفاة ذلك الشيخ قبله، ولا يعرف ذلك الحديث إلا عنده»[3].

2.وأما مايرجع إلى المروى أو المتن، فهو تتمثل في عنصرين:

-أن يكون الخبر ركيكا في معناه سواء في اللفظ أو المعنى أو فيهما معا.

-أن يكون مخالفا للعقل السليم ، أومخالفا للواقع والمشاهدة الحسية أومخالفا لحقائق التاريخ الثابت أومخالفا للقرآن والسنة المتواترة أو السنة المشهورة مخالفة صريحة أو مخالفا للإجماع الأمة بحيث لا يقبل التأويل[4].

ولتوضيح فيما ذكرنا أضرب بالمثال منها:

عند تفسير قوله ﷻ:﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾[5]، والشجرة الملعونة القرآن هو بنو أمية.

وقال ابن جرير الطبري: حدثت عن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا عن المهيمن ابن عباس بن سهل بن سعد حدثني أبي عن جدى قال: رأى رسول اللهﷺ بني فلان يرون على منبره نزول

---

[1] السيوطي: تدريب الراوى،ج1،ص98، وابن الصلاح: علوم الحديث،ص109.

[2] أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، وانظر نذير حمادو: تيسير مصطلح الحديث،ج2،ص83، وانظر ابراهيم خليفة: الدخيل في التفسير،ج1، ص518-519.

[3] السيوطي: تدريب الراوى،ج1،ص275.

[4] انظر تفصيلا إبراهيم خليفة: الدخيل في التفسير،ج1، ص460-469 بتصرف، ونذير حمادو: تيسير مصطلح الحديث،ج2،ص87-97 بتصرف.

[5] الإسراء:60.

القرود فساء ذلك فما استجمع ضاحكا حتى مات قال وأنزل الله في ذلك:وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[1].

في تعليق على تلك الرواية، يقول ابن كثير في تفسيره:«وهذا السند ضعيف جدا فإن محمد بن الحسن بن زبالة متروك وشيخه أيضا ضعيف بالكلية ولهذا اختار ابن جرير أن المراد بذلك الإسراء وأن الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم، قال الإجماع حجة من أهل التأويل على ذلك»[2].

ولتبيين على أمارة الوضع في تفسير تلك الأية يقول الدكتور إبراهيم خليفة: أنها مخالفة للتاريخ الثابت الذي علمه التاريخ حيث يقضى هو بنزول الآية بالمدينة وبعد إذ كان منبره ﷺ بل في أخريات حياتهﷺ حسبما يستفاد من قوله فما استجمع ضاحكا حتى مات على حين أن الآية الكريمة بل سورتها كلها مكية بلا نزاع، وكذلك نرى هذان القولان في ذم بني أمية ومدح آل العباس والتبشير بدولتهم أي في صراع انسياسى بين بنى الأميو والعباسية[3].

وبعد هذه كلها، فمحصلة القول أن من مظاهر في التفسير قبل التدوين هي ظهور الوضع في التفسير، وبعد تقويم لهذه الظاهرة وجدنا نتائج منها إيجابيا ومنها سلبيا أي أي من مآخذه.

❁❁❁

[1] الإسراء:60.

[2] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم،ج4،ص324.

[3] ابراهيم خليفة: الدخيل في التفسير،ج1،ص542-543.

المبحث الثالث: سقوط وانقطاع مسانيد في التفسير

وأما الظاهرة الثالثة من مظاهر التفسير قبل التدوين هي سقوط وانقطاع مسانيد في التفسير، وهذه من أسباب الضعف في التفسير كما كانت الإسرائيليات و الوضع في التفسير[1].

- **تعريف السند (الإسناد)**

السند لغة المعتمد، وسمي السند لأن المتن يستند إليه ويعتمد عليه.

وأما اصطلاحا فهو «سلسلة الرجال الموصلة للمتن»[2].

والجدير بالذكر، أن السماع والإسماع وهما من ضمن معنى الإسناد مما قد حث رسول الله ﷺ لأمته، وذلك أن يأخذ كل علم عمن فوقه، ويبلغه إلى من دونه أي على السماع والإسماع، لأن من ذلك بقاء العلم وإظهاره، ومعرفة أحكام الدين ونشره[3].

ومما يدل على ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال الرسول ﷺ: ﴿ تسمعون ويسمع منكم، ويسمع ممن يسمع منكم﴾[4].

ويقول ﷺ في حجة الوداع:﴿ليبلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه﴾[5].

وكذلك وجدنا مايؤكد على ذلك أي بأن يبلغ المسلم كل ماعنده —من علم-بأن يُسمع الآخرين، ويُحرص على أن يسمع ماليس عنده في كتاب الله تعالى ومنها قوله عز وجل:﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[6].

---

[1] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص145.

[2] هو ماينتهي إليه السند في الكلام، محمد الطحان: أصول التخريج ودراسة الأسانيد، ط3، مكتبة المعارف: الرياض،1996،ص138-139.

[3] عبد المهدى: السنة النبوية،ص82.

[4] رواه أبو داود، رقم الحديث: 3659، باب فضل نشر العلم، ج3،ص321، أحمد، رقم الحديث: 2947،ج1،ص326.

[5] رواه البخاري عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، فتح الباري، رقم الحديث 67، باب قول النبي ﷺ: ﴿...رب مبلغ أوعى من سامع...﴾، ج1،ص208.

[6] المجادلة:11.

وقوله ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[1].

ومن هنا كان جيل الصحابة ﷺ لا يروون حديثا من رسول الله ﷺ إما عن تفسيره أو غيره إلا إذا تأكدوا من صحته وكذلك فهم يتحرون الصحة فيما يتحملون، وكان ذلك منذ صدر الإسلام أي منذ عهد النبي ﷺ حتى وقعت الفتنة عند مقتل عثمان ﷺ لم يكن المسلمون يكذب بعضهم بعضا، وإنما الثقة والصدق تملأ صدورهم والإيمان يعمر قلوبهم[2]، ولذا لم يعرف أنهم بدأوا في السؤال عن الإسناد، وهذ من باب أنهم عرفوا بعضهم بعضا من العدالة والأمانة، وبفضل قوة إيمانهم وحبهم للرسول ﷺ وكذلك خوفهم من أن يتجرأ واحدا منهم بالكذب على الرسول ﷺ[3]، وذلك أنهم قد سمعوا قوله ﷺ عن ذلك تحذيرا عن الكذب به، كمثل قوله ﷺ: ﴿...من كذب عليا متعمدا فليتبوأ مقعده من النار﴾[4].

وقوله ﷺ: ﴿...لا تكذبوا عليّ، فإنه من كذب عليّ فلْيلج النار﴾[5].

ولكن هذا لا يعني أنهم لم يكونوا لايسندون الأخبار قبل وقوع الفتنة، بل قد يسندون مايروى فيما بينهم[6]، فمن ثم إذا سأل أحد الصحابة ﷺ إلى غيره من الصحابة ﷺ عن أخبار ما الذي حمله، فهذا لا يدل على عدم الثقة بمن يروون عنه، وإنما ذلك زيادة للتأكيد والتثبت، ومما يدل على ذلك ما فعله عمر بن الخطاب ﷺ مع أبي بن كعب ﷺ حين روي له حديثا فقال له عمر لتأتيني ببينة، فخرج فإذا ناس من الأنصار فذكر لهم قالوا قد سمعنا هذا من رسول الله ﷺ، فقال عمر«أما إني لم أتهمك ولكن أحببت أن أتثبت»[7].

---

[1] التوبة:122.

[2] محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين،ص220.

[3] انظر الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص145، وانظر محمد حجازي: التعريف بالتفسير ومنهج رحاله،ج1،ص79.

[4] رواه البخاري عن أبي هريرة، فتح الباري، رقم الحديث 110، باب إثم من كذب على النبي ﷺ،ج1، ص267، ومسلم في مقدمة صحيحه،ج1،ص10.

[5] رواه البخاري عن عن ربعيّ بن حراش، فتح الباري، رقم الحديث 106، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، ج1، ص264.

[6] محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين،ص221.

[7] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص145.

وبجانب ذلك، أن العرب قبل الإسلام قد عرفوا الإسناد، والمتأمل تاريخ العرب لوجد أن الإسناد من عادتهم عند تعامل مع أن الأخبار، ولذا كانوا يسندون القصص والشعار في الجاهلية[1].

وهكذا هذه الظاهرة أي حالة تناقل الأخبار من النبيﷺ بين الصحابةﷺ، فهي ظاهرة الثقة والعدالة والأمانة فيما بينهم، وكذلك هذه الظاهرة الطيبة تعد من مزاياهم وفضلهم على غيرهم من أجيال المسلمين فقد شهد ذلك الله ورسولهﷺ، وذلك كما جاء في عدة آيات ومنها:﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[2].

وهذا الرسول ﷺ يقول عنهم:﴿لا تسبوا أصحابي لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه﴾[3].

وكانت هذه الحالة تستمر في تناقل أو الرواية بين صغار الصحابة وكبار التابعين أي قبل وقوع الفتنة، ولما حدثت الفتنة والتي تأتى بذورها بعد مقتل عثمان ﷺ وكانت بدأت شدتها في عام 41، وذلك لما تولى المعاوية ﷺ الخلافة، وكانت من مظهر الفتنة ومحاذيره –كما قلنا سابقا–ظهور الوضع في التفسير وانتشار الرواية في التفسير والحديث لانتصار أو تأييد فرقة أو مذهب معين، وكان من أمارت-التفسير الموضوع انقطاع السند أي مالم يتصل بين الراوى والذي يليه، ومثال ذلك «أن يحدث بحديث عن شيخ ويسأل الراوى عن مولده فيذكر تاريخيا يعلم قطعا بوفاة ذلك الشيخ قبله»[4]، ولذا من خطورة الوضع في التفسير هي سقوط أو انقطاع المساند أو حذف الإسناد.

وكما أشرت من قبل، لما كان في ذلك الوقت الوضاعون نشروا رواية الحديث والتفسير وينسبون إلى الرسولﷺ والصحابة ﷺ، فأصبح العلماء من الصحابة والتابعين ﷺ يقفون تجاه هذه

[1] محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين،ص221.

[2] الأنفال:74، وانظر الفتح:29، والحشر:9،8، التوبة:100،وغيرها من آيات كثيرة.

[3] رواه مسلم، رقم الحديث:2540، باب تحريم سب الصحابةﷺ،ج4،ص1967.

[4] السيوطي: تدريب الراوى،ج1،ص275، وانظر ابراهيم خليفة:الدخيل في التفسير،ج1،ص 462، وانظر نذير حامدو: تيسير مصطلح الحديث،ج2،ص88،

الحالة فكانوا يشددون في طلب الإسناد من الرواة والتزموه فيما جاء إليهم من الأخبار من الحديث أو التفسير، فلا يقبلون حديثا إلا إذا جاء بإسناده، وثبت لهم عدالة الرواته، وأما إذا سقط أو حذف السند أو ذكر وكان في رواته من لا يوثق بحديثه فلا يقبلونه، لأن عندهم «السند للخبر كالنسب للمرء»[1].

ومما يدل على أن بعد وقوع الفتنة كان الصحابة والتابعون ﷺ يتشددون التزام بالإسناد، من ذلك ما يذكر في مقدمة صحيح مسلم:«جاء بشير بن كعب العدوي إلى إبن عباس فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه، فقال :"يابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي؟ أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع؟" فقال ابن عباس:"إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذانا فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا مانعرفه»[2].

وكان التابعون يسألون عن الإسناد ويلتزمون بضرورته، ومثال ذلك مايرويه ابن عبد البر، قال مالك بن أنس: كنا نجلس إلى الزهرى، وإلى محمد بن المكندر، فيقول الزهرى: قال ان عمر: كذا وكذا، فإذا كان بعد ذلك، جلسنا إليه فقلنا له: الذى كرت عن ابن عمر، من أخبرك به؟ قال: ابنه سليم»[3].

وكذلك صحيح ماقاله محمد بن سيرين –كما ذكرت سابقا-:«لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[4].

وبجانب ذلك كان التابعون يستعنون في الحفاظ على السنة النبوية وتفسير النبيﷺ وأقوال الصحابة بكتابته وتدينه، قد سبق أن ذكرنا فلا داعى لتكرار.

وظل على هذه الحالة في عهد التابعين، «فكان مايروونه من التفسير المأثور عن النبيﷺ أو عن الصحابة فلا يروونه إلا بإسناده»[1]، وفي هذا المعنى يقول الدكتور عجاج الخطيب: أصبح

---

[1] محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين، ص220، الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص145، محمد حجازي: التعريف بالتفسير ومنهج رجاله،ج1،ص80.

[2] قد سبق تخريجه.

[3] عبد البر النمري الأندلسب: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المغرب: الشؤون الدينية ط1، 1967،ج1،ص37.

[4] رواه مسلم، مقدمة صحيحه،ج1،ص15.

في ذلك العصر الإسناد أمرا بديهيا مسلما به عند العامة والخاصة، ويظهر ذلك ماقاله المدائني: «سمع أعرابي رجلا يحدث بأحاديث غير مسندة فقال: لم ترسلها بلا ازمة ولا خطم»[2]

وبعد هذه كلها، فمحصة القول أن في التفسير قبل التدوين قد حدثت ظاهرة حذف الإسناد وسقوطها وذلك بعد وقوع الفتنة، وكان مند ذلك قام العلماء الصحابة والتابعين ﷺ بوضع الشروط الإسناد عند رواية الأخبار فيما بينهم، ومنها الأخبار في التفسير ماجاء عن النبيﷺ أو الصحابة أو التابعين ﷺ،كذلك بكتابتها وتدوينها.

- **مآخذ سقوط الإسناد أوحذفه في التفسير قبل التدوين:**

1. يرى الدكتور محمد أبوشهبة من محاذير حذف الإسناد أنه مما ساعد على كثرة القصص الإسرائيلي في كتب التفسير، وذلك على رواج الرواية الواهية الباطلة والمختلقة المكذوبة، لأن ذكر أسانيد كثيرا ما يدل على موضع العلة، ومكمن الداء ومن هو سبب البلاء[3].

2. يقول الدكتور الذهبي : أن حذف الإسناد من أخطر أسباب الضعف في التفسير بالمأثور وذلك أن حذفه جعل من ينظر في كتب التفسير بالمأثور وروايات عنه يظن صحة كل ماجاء فيها، فربما جعل كثير من المفسرين ينقلون عنها ما فيها من الإسرائيليات والتفسير الموضوع والقصص المخترع على أنه الصحيح كله، مع أن فيها مايخالف النقل ولا يتفق مع النقل الصحيح[4].

3. وعدم التزام بالإسناد عند تناقل الخبر في التفسير وغبره سيكون كثرة من يقول في شيء تباعا لرغبة قائله، ومن ذلك جاء الوضع القول بالإسرائيليات في التفسير، وهنا يقول عبد الله بن مبارك: «الإسناد من الدين، ولو لا الإسناد لقال من شاء ماشاء»[5].

---

[1] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص145.

[2] محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين،ص224.

[3] أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير،ص74.

[4] الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1،ص146.

[5] رواه مسلم، مقدمة صحيحه،ج1،ص15.

4. أن حذف الإسناد من إحدى الوسيلة لأعداء الإسلام من الزنادیق والمتعصبين للفرق ومذهب والمستشرقين بوضع التفسير الموضوع أو التفسير بالإسرائيليات الباطلة وذلك لطعن الإسلام ورسوله والصحابة والتابعين والمسلمي جميعا.

أرى بعض مآخيذ من هذه الظاهرة وتتمثل في نقاط التالية:

1. مبلغ خدمة الصحابة والتابعين ﷺ في الحفاظ على السنة النبوية والتي من تفاسيرهﷺ، وكذلك حفاظ التابعين لأقوال الصحابةﷺ، ومنه تتجلى في إلتزامهم بلإسناد، وحتى لأجل ذلك بكثرة الرحال إلى بلدن أخرى، وهذا أبو العالية يقول: «كنا نسمع الرواة بالبصرة عن أصحاب رسول اللهﷺ بالبصرة، فما رضينا حتى رحلنا إليهم، فسمعناها من أفواههم»[1]، والرحالات لطلب الأخبار من مظهر التابعين عند أخذ الرواية وطلب العلم عند الصحابةﷺ[2].

2. ولقد أبرز التابعون في الإلتزام بالإسناد عند روايتهم ومنها ماجاء في التفسير، وأكد ذلك الدكتور محمد الخضيري، وذلك بعد متابعته لأسانيد الواردة عن التابعين، ويقول: تميز تفسير التابعين بميزة روائية من غيرهم وذلك بكثرة الأسانيد في تفسير الآية عند أحدهم، وكثرة الشواهد والمتابعة للرواية الواحدة، وأضاف الدكتور الخضيري أن الأسانيد الواردة عن التابعين من طريق تابع التابعين «فأغلبها أسانيد مستقيمة وهي أعلى في الجملة من الأسانيد المروية عن غيرهم من الصحابة، بل المروية في التفسير النبوي»[3].

3. أن ما قام به الصحابة والتابعين ﷺ بالتزام الإسناد هو من خاصية هذه الأمة وفاضلتها، وكما علمنا أن هذه الخصيصة ليس عند الأمم السابقة، ولذلك ضاعت وحرفت ماجاء في كتبها السماوية كما ضاعت وحرفت أخبار أنبيائها الصحيحة[4]، فبعناية الله ﷻ وحفظه وفضل جهد الصحابة والتابعين ﷺ لحفظ السنة النبوية الصحيحة وأقوال الصحابة والتابعين ﷺ بما فيها تفاسير للقرآن الكريم وتجريدهم من سقيمها وضعيفها وموضوعها، والحمد لله فنحن الآن نستطيع أن نقرأ ونتابع أقوال وتفاسير النبيﷺ وأقوال سلافنا الصالح، كما ورد ذلك في كتب التفسير وكتب الإسلامية أخرى، والله أعلم.

---

[1] انظر محمد عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين،ص223.

[2] انظر محمد الخضيري: تفسير التابعين؛ عرض ودراسة مقارنة،ج2،ص670-671.

[3] المصدر نفسه،ج2،ص919.

[4] محمود الطحان: أصول التخريج ودراسة الأسانيد،ص139.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخـــاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمدﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

وهكذا انقضى العيش مع أصحاب "خير القرون"، وبعد عشت معهم مـــن خـــلال تفسيرهم تحت سبيل الموضوع "التفسير قبل التدوين؛ خصائصه وقيمته العلمية"، يحـــسن بي في ختام هذا البحث إبراز أهم النتائج، وهي على النحو التالي:

1. إن البحث في التفسير قبل التدوين يتطلب تحديد مفهوم التدوين في التفسير، وذلك حـــتى لا يختلط مع مفهوم الكتابة والجمع أو التصنيف، وما يقصد بتدوين التفسير هو جمـــع مافـــسره المفسر وتنظيمه بحيث يكون مرتبا على سور القرآن، ولكن دون أن يقصد المفسر استيعاب كل جزئيات التفسير، وإذا مفهوم التفسير قبل التدوين هو التفسير قبل تدوينه في الكتاب المـــستقل، أي ورود التفسير أية أية ودونه على التتابع وحسب ترتيب المصحف، وكذلك كان هدف من كتب هذا ليس إلا تفسير آيات القرآن، وهو لا يتصل مع بيان السنة أو الفقه.

2. إن من خصائص التفسير في عهد النبي ﷺ تتمثل في كون النبي ﷺ لا يفسر إلا عند الحاجة إليه وعند وجود السؤال عنه من الصحابةﷺ، أي كان النبي ﷺ لا يفسر معاني القرآن فيما قد فهمه أصحابهﷺ، وكذلك من خصائصه يأتي من طبيعة تفسيره ﷺ، وذلك أنـــهﷺ إلتـــزم أن يكون تفسيره موجزا وواضحا من غير أن يتعرض لاشتقاق الكلمة، أو يحتاج إلى بيان شـــاهد ودليل، وما شاكل ذلك، و لم يتجاوز بضع كلمات في حل مشكل أورفع ابهام مفهوم الأية، أي كان بيانه واف شاف ومع كمال الايـــجـــاز.

3. ومما لاشك فيه أن لمرحلة التفسير في عهد النبيﷺ القيمة العلمية العظمى وليست لغيرها من مراحل التفسير وهي أهمها من حيث انها مرحلة التأسيس في حياة هذا الدين كله هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن كون المفسر في تلك المرحلة هو النبيﷺ فبطبيعة الحال تأتي القيمة العلميـــة المثالية في حياة التفسير كلها.

وأيضا قد وضعت قِيم علمية أخرى وهي من حيث يأتى تفسيره من الوحي أي من عند الله تعالى وهو ﷻ أعلم وأدرى بمأأنزله وبالمقصود الذي يريده، وذلك بدليل قولـــه ﷻ: ﴿إِنَّ

عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[1] وقوله ﷻ:﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[2].

وكذلك من قيمته، أن التفسير في هذه المرحلة المرجع الأساسي لمراحل التفسير بعدها و إلى يومنا هذا، ولذا مما ينبغى للمفسر أن يكون أول مايرجع إليه في تفسيره هو تفسير النبيﷺ.

4. وقع إختياري في خصائص التفسير في عهد الصحابة تتمثل في ثلاث نقاط:

-من حيث كان اختلاف التفسير فيه قليل وإلى جانب ذلك كان اختلافهم غالبا مـــايكون في نوع اختلاف التنوع وليس اختلاف التضاد، وكذلك في هذا الصدد قد حاولـــت أن أوضـــح أسباب خلاف الصحابة في التفسير، وذلك عندى يرجع إلى تفاوتهم في مداركهم وعقـــولهم، وتابع لاختلاف حظهم في الحصول على وسائل المعرفة للقرآن الكريم.

- كان اجتهاد الصحابة في التفسير بعيد كل البعد عن معنى التفسير بالرأي المـــذموم، وكـــانوا يحرصون في تفسيرهم أن يوافق اللهﷻ فيه ويضعون غرضهم للوصول إلى الحق.

- ثبت أن بعض الصحابة يرجعون إلى أهل الكتاب في تفسيرهم وكان ذلك في بعض القـــصص القرآنية التى وردت مفصلة في كتب أهل الكتاب وذلك مع معيار دقيق في أخذها، فمن هنـــا اكدت في بحثى كون خلوص تفسير الصحابة ﷺ من الإسرائيليات الواهية أو الباطلة وهذه من خصائص التفسير في عهدهم.

5. تكلمت عن عدة نقاط قيمة علمية والتى عندى تتجلى فيما يلي:

- الحفاظ على السنة النبوية الصحيحة، وذلك من حيث أنهم كانوا يرجعون ويعتمدون كـــثيرا على سننه ﷺ في تفسيرهم، وبجانب ذلك أنهم أحسن من فطنوا وأدركوا أهمية قيمة السنة النبوية الشريفة، فهم الجيل الذي تمسك بسنته ﷺ طاعة لله ورسوله وامتثلوا بها فى حياتهم، وكذلك أنهم كانوا يروون روايات عن النبيﷺ بعضهم عن بعض وإلى التابعين، ومن هنا تظهر قيمته العلمية من حيث حفاظهم على السنة النبوية الصحيحة.

- ومن القيمة العلمية لتفسير الصحابة أن جمهور العلماء اتفقوا على حكم المرفوع ماجاء مـــن

[1] القيامة: 19.

[2] النجم: 3 4.

تفسيرهم وذلك إذا كان من المأثور عن النبي ﷺ أو من أسباب النزول او مما ليس لـــرأي فيـــه مجال، وكذلك ما يكون من الموقوف وقع الرأي مع العلماء القائلين بالأخذ به والرجوع إليه.

-إن من قيمة التفسير في عهد الصحابة ﷺ استنباط الأحكام الفقهية، وذلك لأن الصحابة قد برزوا في فهم واستنباط الأحكام الفقهية من خلال القرآن، ولذا اتفق العلماء على الرجـــوع فى حكم من الأحكام بقاعدة: إذا لم نجد فى القرآن ولا فى السنة الأحاديث عن النبي ﷺ، رجعنا فى ذلك إلى ماصح وثبت عن الصحابة ﷺ، فإنهم أدرى منا بتفسير القرآن الكريم.

6.وكان بداية تدوين التفسير في هذا العهد، وأول كتاب ظهر فيه كان لمجاهد، وهناك نـــسخة وحيدة لهذا التفسير وهو مصورة بدار الكتب المصرية، وأن تفسير مجاهد المطبوع الآن قد يروي فيه عن غيره من التابعين، مثل سعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة وأبى العالية، ونسبة الروايـــات لمجاهد 80% من غيره من التابعين.

7. ومن خصائص التفسير في عهد التابعين هو توسعهم في التفسير، ومن نتائجـــه فقـــد زاد التابعون تفسير ماحتاج الناس إلى تفسيره، فأتموا التفسير وشمل القرآن كله، وكذلك فقد تعرض التابعون لمختلف أبعاد التفسير وخاضوا معاني القرآن من مختلف الجهات والمجـــالات وخطـــوا خطوات أوسع ,وفي جوانب وميادين أكثر.

8. ومن خصائص التفسير في عهد التابعين هو ظهور الخلاف المذهبي والفرق الـــسياسة فيـــه، وهذا مما جعل التفسير يتلون في هذا العهد، فظهرت تفاسير منحرفة لتأييد مـــذهب معـــين أو إنتصار لفرقة معينة.

9. ومن الظواهر التى حدثت في التفسير قبل التدوين ظهور الوضع في التفسير، ودخول كثـــرة الإسرائيليات و سقوط وانقطاع المسانيد في التفسير، ولكل هذه الظواهر محاذير ومآخيذ متعددة تخصها.

10. ومن توصيات هذا البحث، أرى أن هذا الموضوع جدير بالمزيد من البحث والتوسع فيـــه أكثر، لأن غالب مواضيعه مبثوثة في ثنايا الكتب الأمهات منها والمراجع، ويستحسن افراده في دراسة واعية وشاملة لكل جوانبه كي يعم النفع لأنه يعتبر من أوائل المباحث التي تطرق في علم التفسير.

كما ينجلي بالمزيد من البحث والتوسع في مواضيعه بوادر نشوء مدارس التفسير ومزاياها وخصائصها وأهم أعلام هذا العلم ومميزات كل عهد.

وينكشف لنا خلال الخوض في مراحل تطور عملية التدوين مكانة العلماء الذين قاموا بهذا العمل الجبار ومرتبتهم العلمية.

فأقترح افراد مجهودات كل حبر في مؤلف خاص أو جمعها كلها في كتاب يبين فضلهم في هذا العلم على من خلفهم، وعمق البحث في المراحل يدحض شبهات المستشرقين وأفراخهم في أن ماورد إلينا من التفسير مدخول غير منخول، حيث يظهر جهد العلماء في تصفية الروايات من السقيم.

وأخيرا، أعرف أنني لم أصل إلى الكمال و لم أقاربه، فهذا شأن البشر، لأن الكمال لله وحده لاشريك له، وقد قال القائل : "أنه لا يكتب إنسان كتابا أو بحثا في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهذا هو الدليل علي استيلاء النقص علي جميع البشر"، وإنما أرجو بهذا البحث المتواضع قد أضفت إلى العلم شيئا جديدا، وقدمت إلى مكتبة التفسير وعلوم القرآن بحثا جادا، فإن كنت قد أصبت في بحثي هذا فذلك من فضل الله ﷻ وعظيم توفيقه، وإن كنت قد أخطأت في شيء، فذلك مني ومن الشيطان، عسى الله ﷻ أن يغفرلي وأن يهديني إلى سبيل الإسلام.

اللهمّ تقبل مني هذا الجهد المتواضع، واجعله خالصا لوجهك الكريم، وانفع به لعبادك، وادخره لي عدّة ليوم لقائك، إنك نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا	البقرة	12-11	18
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا	البقرة	26	125
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ	البقرة	37	58،120
يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ	البقرة	49	4
مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ	الفاتحة	51	4
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ	البقرة	65	160
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ	البقرة	65	131
فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا	البقرة	66	156
فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ	البقرة	88	135
مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَٰطِينُ	البقرة	102	127،135
قُولُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا	البقرة	136	159
وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا	البقرة	143	33
وَلَا تَتَّخِذُوٓا ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا	البقرة	148	122
فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ	البقرة	163	134
حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ	البقرة	187	31
فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ	البقرة	196	30

نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ	البقرة	223	159
وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ	البقرة	238	28
أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ الْجَنَّةٌ	البقرة	266	66
مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً	آل عمران	97	148
وَلا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ	آل عمران	169	42
لا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ	آل عمران	188	63
وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً	النساء	12	67
وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا	النساء	93	80
إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ	النساء	101	61
يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ	المائدة	67	36
لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ	المائدة	78	81
الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ	المائدة	90	64
لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ	المائدة	93	64
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ	المائدة	105	60
قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ	المائدة	115	196
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ	الأنعام	82	7,25
رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا	الأعراف	23	58،122
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ	الأعراف	172	60
وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ	الأنفال	39	80

جمعية إحياء عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ	الأنفال	60	34،135
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ	الأنفال	74	178
رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ	التوبة	43	45
وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً	التوبة	122	176
لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا	يونس	64	90
لَّعَلَّكُم تَعْقِلُونَ	يوسف	2	6،26
وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ	يوسف	23	4
وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ	ابراهيم	4	6،13
وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ	النحل	44	7,13,26,34,41
وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ	النحل	68-67	21
تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ	النحل	89	32
وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا	الاسراء	60	174
أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ	الاسراء	78	29
وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا	مريم	71	133
لا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ	مريم	87	122
يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ	طه	109	129
وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ	الفرقان	33	04
وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ	النمل	87	73

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَإِذ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ	لقمان	13	7،25
ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا	فاطر	32	73
وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ	الزمر	67	160
وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ	فصلت	42-41	22
إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ	الشورى	48	36
وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟	الحجرات	9	80
وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ	النجم	4-3	13,38,185
يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ	المجادلة	11	175
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ	الحشر	9	67
كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا	الجمعة	5	133
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ	الجمعة	9	67
وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ	الحاقة	46-44	18
ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ	القيامة	19-17	13,37,185
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ	القيامة	23-22	143
﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝	القيامة	11	51
وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا	عبس	31	79
وَٱلْفَجْرِ	الفجر	2-1	73
كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب	العلق	19	40
إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ	النصر	1	48,71

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث الشريفة

الحديث	الصفحة
أرواحهم في جوف طير خضر...	42
ألا إن القوة الرمي...	34
ألا إني أوتيت الكتاب...	37
أَمُتَهَوِكُوْنَ فيها يابن الخطاب...	84
إن وسادك لعريض طويل...	31
إنك لغلام معلم...	50
إنه ليس الذي تعنون...	25
بلغوا عني ولو آية...	159
تسمعون ويسمع منكم...	172
جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله...	158
خذوا القرآن من أربعة...	51،52
خير القرون قرني...	153
صلوا كما رأيتموني أصلي	28
صوم ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين...	30
ضعوا هذه الآيات في السورة...	14
فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين...	87
في قوله ﷻ :﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ فقال: ﴿عدلا﴾	33
لا تسألوا أهل الكتاب عن شئ...	159
لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم...	68،84,85,159
لا تكتبوا عني ومن كتب غير القرآن...	54
...لا، يابنت الصديق، ولكنهم يصومون ويتصدقون...	26
اللهم علمه الحكمة	46

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل	57
ليبلغ الشاهد الغائب...	209
ليس هو كما تظنون...	77
ماسألني عنها أحد منذ سألت...	107
مامن الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله...	32،47
مامن الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله...	33،47
من أحب أن يقرأ القرآن غضا...	61
من حدث عني بحديث...	205
من سرّه أن يقرأ القرآن...	60
من قال في القرآن بغير علم...	78
من كذب عليّ متعمدا...	173
نضر الله امرءا سمع مقالتي...	91
هي صلاة العصر	28

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآثار

الأثر	القائل	الصفحة
ليس ذلك الشح الذى ذكره الله تعالى في القرآن...	ابن مسعود ﷺ	67
يامعشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب...	ابن عباس ﷺ	160
أما إني لم أتهمك...	عمر بن الخطاب ﷺ	173
إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول قال رسول الله...	ابن عباس ﷺ	175
إني لأعلم حيث أنزلت، وأي يوم أنزلت...	عمر بن الخطاب ﷺ	90
أي سماء تظلني وأي أرض تقلني...	أبو بكر الصديق ﷺ	190
فذا تأويل هذه الآية، وكذب، كانت في إخوة يوسف عليه السلام...	جابر بن عبد الله ﷺ	167
قد فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام...	عبد الله بن عمر ﷺ	80
كانوا أمة واحدة حين عرضوا على آدم...	أبي بن كعب ﷺ	52
لنعم ترجمان القرآن ابن عباس...	ابن مسعود ﷺ	49
لا، إلاّ كتاب الله...	علي بن أبي طالب ﷺ	15
هؤلاء الآيات نزلت عذراً للماضين، وحجّة على الباقين...	ابن عباس ﷺ	64
هما يومان ذكرهما في كتابه، الله أعلم بهما...	ابن عباس ﷺ	79
هو أجل رسول الله ﷺ، أعلمه الله له...	ابن عباس ﷺ	48،71

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والذي لا اله غيره ما أنزلت سورة...	ابن مسعود ﷺ	62
والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت ...	ابن مسعود ﷺ	51،92
ولكن القرآن حمال ذو وجوه...	علي بن أبي طالب ﷺ	74

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ابن تيمية	24,32,72,74,79,99,105,106,109,117,130,150,151
ابن حجر العسقلاني	15,94,159
ابن حزم	100
ابن خلدون	7,83,127,137,160
ابن خيرون	100
ابن سيرين	117
ابن عاشور	146
ابن عباس	4,14,19,47,48,49,50,51,54,57,58,59,63,64,66,70,71, 72,73,74,79,83,106,107,110,115,116,123,127,128, 134,139,144,146,160,167,169,170,172,175
ابن عبد البر	175
ابن عطية	109
ابن عقيل	148
ابن عمر	80,110,140,144,175
ابن فارس	2
ابن كثير	37,51,98,120,150,151,167,171
ابن مبارك	177
ابن مسعود	7,25,42,50,51,54,58,62,63,67,72,83,92,106,110,112, 144,146,158

أبو الدرداء	89
أبو العالية	109,110,111,123,125,128
أبو بكر الصديق	78
أبو جعفر الرازى	111
أبو داود	111
أبو شهبة	22,58,94,161,176
أبو عبد الرحمن الجهني	90
أبو عبيد	62
أبو موسى الأشعري	50
أبو هريرة	27,29,38,83,140
أبي الشعثاء	67,106
أبى الفضل الألوسى البغدادى	154
أبي بن كعب	15,46,,51,52,53,54,72,109,110,111,145,174,182
أبى حيان الأندلسي	154
اجنتس جولد تسيهر	132,141,168
أحمد بن حنبل	27,113
أحمد عيسى المصراوي	58
الإمام البخارى	15,19,27,38,48,51,66,71,80,108,158,160
الإمام البيضاوى	37
الإمام الحاكم	19,53,93,112
الإمام مسلم	16,40,167,175
الأمير الصنعاني	10,120.
أنس بن مالك	53,79,140
بدرالدين الزكشي	2,5,20,24,26,41,77,98,124,150

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

1. إبراهيم عبد الرحمن خليفة: **دراسات في مناهج المفسرين**، د.ط،د.ن، د.ت.
2. ----------: **الدخيل في التفسير**،ج ا ،د.ط،د.ن،د.ت.
3. إبراهيم أنيس، وعبد الحليم منتصر، وعطية الصوالحي، ومحمد خلف الله أحمد: **المعجم الوسيط**، يروت: دار الفكر، ط3، د.ت.
4. ابن النديم: **الفهرست**، تعليق إبراهيم رمضان، بيروت : دار المعرفة، 1994
5. ابن عبد البر: **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق سعيد أحمد إعراب، المغرب : الشؤون الدينية، 1981.
6. ابن قيم الجوزية : **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001.
7. ابن منظور: **لسان العرب**، بيروت: دار الصادر، د.ط، د.ت.
8. أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي: **كتاب الموضوعات**، بيروت:دار الكتب العلمية، ط1، 1995.
9. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، بيروت :دار الصادر، د.ط، 1977.
10. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، بيروت: دار الفكر، د.ط، 1978.
11. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي: **صحيح البخاري**، بشرح الكرماني، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت.
12. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، الرياض: دار السلام، ودمشق :دار الفحياء، ط3، 2001.
13. ----------: **الإصابة في تمييز الصحابة**، بيروت دار الكتاب العربي، د.ط،د.ت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

14. علاء الدين علي بن بلبان الفارسي: **الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان**، بيروت: دار الفكر، ط1، 1987

15. أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا : **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة : مكتبة الخانجي، ط3،د.ت.

16. أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي : **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، بيروت: دار الآفاق الجديدة، د.ط، د.ت.

17. أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة، د.ط، د.ت.

18. اجنتس جولد تسيهر: **المذاهب التفسير الإسلامي**، بيروت: دار إقرأ، ط3، 1985.

19. أحمد بن محمد بن حنبل : **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت.

20. أحمد إسماعيل نوفل: **مجاهد؛ المفسر والفسير**، دار الصفوة:د.م، ط1،1990.

21. أحمد الشنتناوي: **دائرة المعارف الإسلامية**، بيروت: دار المعرفة، د.ط، د.ت.

22. أحمد أمين : **فجر الإسلام**، بيروت: دار الكتاب العربي، ط11، 1975.

23. -------**ضحى الإسلام**، بيروت :دار الكتاب العربي،د.ط، 1933

24. أحمد رضا: **معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة**، بيروت: دار مكتبة الحياة،د.ط، 1958.

25. أحمد عيسى المعصراوي: **القراءات الواردة في السنة**، القاهرة :دار السلام:،ط1،2006.

26. أرثر جيفري :**مقدمتان فى علوم القرآن؛ مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية**، تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2،1972.

27. إسماعيل ابن كثير : **الباعث الحثيث في إختصار علوم الحديث**، بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت.

28. ----------: **تفسير القرآن العظيم**، بيروت: دار الأندلس، د.ط، د.ت.

29. أنس حسيب حسن السامرائي : **مدرسة ابن مسعود التفسيرية في العراق**، مذكرة الماجستير، المعهد الوطني للتعليم العالي للعلوم الاسلامية، باتنة-الجزائر، 1988.

30. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: **البرهان فى علوم القرآن**، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار الفكر، ط3،1980.

31. تقي الدين ابن تيمية: **مقدمة في أصول التفسير**، الجزائر: دار الفجر، ط1، 2001.

32. ----------: **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، الرباط-المغرب: مكتبة المعارف، د.ط، د.ت.

33. جاد الله محمود بن عمر الزمخشرى: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي: بيروت، د.ط،د.ن

34. جلال الدين السيوطي: **الدر المنثور في التفسير المأثور**، بيروت: دار الفكر، د.ط، 1983.

35. ----------: **تدريب الراوي في شرح تقريب النووي**، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، د.ط، مصر: دار الفكر، د.ط، د.ت.

36. ----------: **الإتقان في علوم القرآن**، بيروت: دار إحياء العلوم، ط1،1987.

37. ----------: **طبقات المفسرين**، بيروت: دار الكتب العلمية،د.ط،د.ت.

38. جمال البنا : **تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين**، القاهرة: دار الفكر الإسلامى، د.ط، د.ت.

39. خالد عبد الرحمن العك : **أصول التفسير وقواعده**، دار النفائس: بيروت، ط2، د.ت.

40. رمضان علي السيد الشرنباصى :**المدخل لدراسة الفقهى الإسلامي**، بيروت: الدار الجامعية،د.ط، 2000.

41. سعود بن عبد الله الفنيسان: **اختلاف المفسرين؛ أسبابه وآثاره**، ط1، دار إشبيليا،1418هـ.

42. سفيان بن الشيخ الحسين : **القرآن الكريم بين علومه وإعجازه**، د.م، د.ط، د.ت.

43. سليمان معرفي: **في علوم القرآن**، الكويت :مجلس النشر العلم جامعة الكويت، د.ط، 2003.

44. السيد محمد نوح و عبد الرزاق خليفة الشايجي: **التابعون وجهودهم في خدمة الحديث النبوي**، دار اليقين:مصر،د.ط، د.ت.

45. الشاطبي: **الموافقات في أصول الشريعة**، بيروت:دار الكتب العلمية، ط3، 2003.

46. الشحات السيد زغلول: **من مناهج التفسير**، الإسكندرية-مصر: دار المعرفة الجامعية،د.ط، 1996.

47. شرف الدين علي الراجحى : **مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوى عند العرب**، بيروت : دار النهظة العربية، ط1، 1983.

48. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ط، 1985.

49. صبحي الصالح: **مباحث في علوم القرآن**، بيروت: دار الملايين، ط14، 2000.

50. صبري المتولي : **منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم دراسة موضوعية لجهود إبن القيم التفسيرية**، الفجالة: دار الثقافة، 1986.

51. --------**منهج ابن تيمية في تفسير القرآن الكريم**، القاهرة: عالم الكتب، 1980.

52. عادل نويهض: **معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**،د.ن: مؤسسة نوهض، د.ط،1983

53. عبد الحميد متولي : **مناهج التفسير في الفقه الإسلامي**؛ جدة-السعودية: عكاظ، د.ط،1983.

54. عبد الرحمن بن أبي حاتم : **تفسير القرآن الكريم؛ مسندا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين**،تحقيق أسعد محمد الطيب، إعداد الفهارس كامل عويضة، بيروت: المكتبة العصرية، ط.2، 1999.

55. عبد الرحمن ابن خلدون : **المقدمة**، ط1، القاهرة: دار الكتب العلمية،1993.

56. عبد الرزاق إسماعيل هرماس: **لمحات عن المدونات الأولى في التفسير خلال النصف الثاني من القرن الهجرى**، الكويت: مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة العاسرة، العدد السابع والعشرون، شعبان 1416-ديسمبر 1990.

57. عبد العزيز بن عبد الله الحميدى: **تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة**، السعودية: جامعة أم القرى، د.ط، د.ت.

58. عبد القادر محمد صالح : **التفسير والمفسرون في العصر الحديث**، بيروت: دار المعرفة، د.ط، 2003.

59. عبد الله بن أحمد المنصور:**مشكل القرآن الكريم**، السعودية: دار ابن الجوزى، 1426،1هـ.

60. عبد الله دراز : النبأ العظيم؛ **نظرات جديدة في القرآن**، الكويت: دار القلم، ط4،1977.

61. -------: **مدخل إلى القرآن**؛ عرض تاريخي وتحليل مقارن، الكويت: دار القلم،د.ط، 1986

62. عبد الله شحاته: **التفسير بين الماضي والحاضر**، تونس: دار بوسلامة، د.ط،1981.

63. عبد المنعم النمر : **علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى إنتهى إلى عصرنا الحاضر**، بيروت: دار الكتاب اللبناني، د.ط، 1985.

64. عبد المهدى بن عبد القادر عبد الهادى : **السنة النبوية؛ مكانتها وعوامل بقائها وتدوينها**، القاهرة: دار الاعتصام، د.ط، د.ت.

65. عثمان بن عبد الرحمان النصري الشهرزوري بن الصلاح : **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث**،خرج أحاديثه وعلق عليه مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين ميلة-الجزائر، د.ط، د.ت.

66. عدنان محمد زرزور:**مدخل إلى القرآن والحديث**، بيروت: المكتب الإسلامى، ط1، 1999.

67. عزيز لعواش : **خصائص المنهج اللغوي في التفسير حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، رسالة ماجستير، قسنطينة: جامعة الأمير عبد القادر،1999-2000.

68. علي بن حزم الأندلسي الظاهري : **الأحكام في أصول الأحكام**، تحقيق لجنة من العلماء، بيروت: دار الجيل،1987.

69. علي جمعة : **قول الصحابي عند الأصوليين**، القاهرة: دار الرسالة ط1، 2004.

70. عمر رضا كحالة : **معجم المؤلفين؛ تراجم مصنفي الكتب العربية**، بيروت: دار احياء التراث، د.ط، د.ت.

71. عمر سليمان الأشقر: **التأويل خطورته وآثاره**، عمان: دار النفائس، 1992.

72. فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي : **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3،1997.

73. ----------:بحوث في أصول التفسير ورجاله، د.ن:السعودية، ط7، 1424هـ.

74. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي: **القاموس المحيط**، دار الكتاب العربي: بيروت،د.ط، 1983.

75. محمد إبراهيم عبد الرحمن : **التفسير النبوي للقرآن الكريم وموقف المفسرين منه**، مكتبة الثقافة الدينية: مصر، د.ط، 1995.

76. محمد أديب صالح: **لمحات في أصول الحديث**، بيروت: المكتب الاسلامي، ط5، 1988،

77. محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي : **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، خرج آياته وأحاديثه محمد عبد العزيز الخالدي، الرياض: مكتبة المعارف، د.ط، د.ت.

78. محمد الأنصاري القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**،د.ط،د.ن،د.ت،

79. محمد الزحيلي: **مرجع العلوم الإسلامية**، القاهرة: دار المعرفة، ط3،1992.

80. محمد الطاهر بن عاشور: **التحرير والتنوير**، تونس: دار التونسية، د.ط، 1984.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

81. محمد الطحان: **أصول التخريج ودراسة الأسانيد**، الرياض: مكتبة المعارف، ط3، 1996.

82. محمد بن عبد الله بن علي الخضيري: **تفسير التابعين؛عرض ودراسة مقارنة**، السعودية: دار الوطن،ط1،1999.

83. محمد بن لطفي الصباغ: **لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير**، مكتبة الإسلامي، ط3،1990.

84. محمد بن محمد أبو شهبة: **الإسرائليات والموضعات فى كتب التفسير**، بيروت: دار الجيل،ط1،1992.

85. محمد بن مطر الزهراني : **تدوين السنة النبوية؛ نشأته و تطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري**، الرياض: دار الهجرة ، د.ط، 1996.

86. محمد حسين الذهبي : **الإسرائيليات في التفسير والحديث**، القاهرة: مكتبة وهبة، ط4، 1990.

87. ----------: **التفسير والمفسرون**، د.ن: مكتبة مصعب بن عمير الإسلامية، ط2،2004.

88. ----------: **الوحي والقرآن الكريم**، القاهرة: مكتبة وهبة، ط1،1986.

89. محمد حسين علي الصغير: **المبادء العامة لتفسير القرآن الكريم**، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1993.

90. محمد عبد الرحيم: **تفسير الصحابة**، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامى، د.ط، د.ت.

91. محمد عبد العظيم الزرقاني: **مناهل العرفان**، بيروت: دار الفكر، ط1، 2004.

92. محمد بن عيسى بن سورة الترمذي :**سنن الترمذي**، تحقيق عبد الرحمان محمد عثمان، بيروت: دار الفكر، د.ط، 1983.

93. محمد عجاج الخطيب : **السنة قبل التدوين**، لبنان: دار الفكر، ط3،1980.

94. محمد علي الحسن : **المنار في علوم القرآن**، عمان: دار الأرقم، ط1،1983.

95. محمد علي الصابوني: **التبيان في علوم القرآن**، بيروت: مكتبة الغزالي ومؤسسة مناهل العرفان، ط2، 1981.

96. محمد كمال الدين إمام : **أصول الفقه الإسلامي**، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوجيع، ط1، 1996.

97. محمد محمود حوّا: **التفسير ورجاله**، جدة-السعودية: دار نور المكتبات، ط1، 2003.

98. محمد محيي الدين عبد الحميد، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي :**سنن أبي داود**، د.ن:دار الفكر، د.ط، د.ت.

99. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج **العروس من جواهر القاموس**، تحقيق علي شيري، بيروت: دار الفكر، د.ط، 1994.

100. محي الدين بلتاجي: **دراسات في التفسير وأصوله**، الدوحة: دار الثقافة، ط1، 1987.

101. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: **الجامع الصحيح (صحيح مسلم)**، بيروت : دار الفكر، د.ط، د.ت

102. مصطفى أكرور: **التفسير الفقهي نشأته وتطوره**، الجزائر: دار المعرفة،د.ط،2004

103. مصطفى صادق الرافعي: **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، بيروت: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.

104. مصطفى محمد الحديدى الطير : **اتجاهات التفسير في العصر الحديث**، بيروت:منشورات المكتبة العربية، د.ط، د.ت.

105. محمد عبد القادر حجازي : **التعريف بالتفسير ومنهج رجاله**، د.م، د.ن،د.ط،1987.

106. مناع القطان: **مباحث في علوم القرآن**، بيروت: مؤسسة الرسالة،1985.

107. موسى إبراهيم الإبراهيم : **تأملات قرآنية؛ بحث منهجي في علوم القرآن الكريم**، الجزائر: شركة الشهاب، د.ط، 1987.

108. موسى شاهين لا شين : **اللآ لئ الحسان فى علوم القرآن**، مصر: دار الشروق، ط1، 2002.

109. شهاب الدين أحمد الخفاجي: **حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي عل تفسير البيضاوي**: بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997.

110. نذير حمادو: **تيسير مصطلح الحديث**،د.م، د.ن،د.ط،د.ت.

111. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: **الجامع الصحيح**، بيروت: دار الفكر،د.ط، د.ت.

112. ومحمد عبد القادر حجازى: **التعريف بالتفسير ومنهج رجاله**، د.ن،د.م،د.ط،د.ت.

113. يوسف خليف: **دراسات في القرآن والحديث**، القاهرة: مكتبة الغريب، د.ط، د.ت.

114. يوسف عمر مبيض: **صحيح التفسير النبوي**، دمشق: منار للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	–
شكر وتقدير	–
المقدمة	أ–ط
الفصل التمهيدي	01
–مفهوم التفسير	02
_التفسير لغة	02
_التفسير في الاصطلاح	04
–نشأة التفسير	05
–مفهوم التفسير قبل التدوين	08
الفصل الأول: التفسير في عهد النبي ﷺ	12
التمهيد	13
المبحث الأول : التفسير المكتوب في عهد النبي ﷺ	14
المبحث الثاني : التفسير المأثور من النبي ﷺ	17
المطلب الأول : حجم المأثور من تفسير النبي ﷺ	17
المطلب الثاني :الأسباب الداعية لعدم تفسير النبي ﷺ للقرآن كله	19
المبحث الثالث : مصادر التفسير في عهد النبي ﷺ	24
المطلب الأول : القرآن الكريم	24
المطلب الثاني: النبي ﷺ	26
المبحث الرابع : خصائص التفسير في عهد النبي ﷺ	29
المطلب الأول :التفسير عند الحاجة والسؤال عنه	29

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: الايجاز والوضوح	33
المبحث الخامس : القيمة العلمية للتفسير فى هذه المرحلة	36
المطلب الأول: التفسير بالوحي من عند الله ﷻ	36
المطلب الثاني: المرجع الأساسي في التفسير	40
الفصل الثاني: التفسير في عهد الصحابة ﷺ	44
التمهيد	45
المبحث الأول: المفسرون من الصحابة	46
المطلب الأول: عبد الله بن عباس ﷺ ومكانته في التفسير	46
المطلب الثاني: عبد الله بن مسعود ﷺ ومكانته في التفسير	50
المطلب الثالث: أبي بن كعب ﷺ ومكانته في التفسير	52
المبحث الثاني: هل دون التفسير في هذه المرحلة؟	54
المبحث الثالث : مصادر التفسير فى عهد الصحابة ﷺ	57
المطلب الأول: القرآن الكريم	57
المطلب الثاني: السنة النبوية الشريفة	59
المطلب الثالث: أسباب النزول	61
المطلب الرابع: الاجتهاد	64
المبحث الرابع : خصائص التفسير فى هذه المرحلة	69
المطلب الأول: قلة الاختلاف في تفسير الصحابة	69
المطلب الثاني: خلوصه من التفسير بالرأي المذموم	74
المطلب الثالث: خلوصه من الإسرائيليات الواهية	81
المبحث الخامس: القيمة العلمية للتفسير في هذه المرحلة	87
المطلب الأول : الحفاظ على السنة النبوية الصحيحة	87
المطلب الثانى : التفسير المأثور عن الصحابة له حكم بالمرفوع	92

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث: قيمته في استنباط الأحكام الفقهية	99
الفصل الثالث: التفسير في عهد التابعين ﷺ	104
التمهيد	105
المبحث الأول: مدارس التفسير في عهد التابعين وأشهر المفسرين فيها	106
المطلب الأول: مدرسة التفسير بمكة وأشهر المفسرين فيها	106
المطلب الثاني: مدرسة التفسير بالمدينة وأشهر المفسرين فيها	109
المطلب الثالث: مدرسة التفسير بالكوفة وأشهر المفسرين فيها	112
المبحث الثاني: هل دون التفسير في هذه المرحلة؟	115
المبحث الثالث : مصادر التفسير في عهد التابعين	119
المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن	119
المطلب الثاني: السنة النبوية	121
المطلب الثالث: أقوال الصحابة	123
المطلب الرابع: الرأي كمصدر من مصادر التفسير	124
المطلب الخامس : أهل الكتاب من اليهود والنصارى	126
المطلب السادس : مراجعة اللغة في صميمها	127
المبحث الرابع: خصائص التفسير في هذه المرحلة	130
المطلب الأول : التوسع في التفسير	130
المطلب الثاني: دخول كثير من الإسرائيليات في تفسير التابعين	136
المطلب الثالث: ظهور نواة الخلاف المذهبي	140
المبحث الخامس: القيمة العلمية لتفسير في هذه المرحلة	143
المطلب الأول: الحفاظ على أقوال الصحابة	143
المطلب الثاني: حكم التفسير المأثور عن التابعين	148
المطلب الثالث: أثره القيم لمرحلة التفسير بعد التدوين	152

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع: تقويم التفسير قبل التدوين	156
التمهيد	157
المبحث الأول: دخول الإسرائيليات	158
المبحث الثاني: الوضع في التفسير	165
المبحث الثالث: سقوط وانقطاع مسانيد في التفسير	172
الخاتمة	178
الفهارس	183
فهرس الآيات القرآنية	184
فهرس الآحاديث	188
فهرس الآثار	190
فهرس الأعلام	192
قائمة المصادر والمراجع	197
فهرس الموضوعات	206

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص باللغة الإندونيسية

Abstraksi Tesis Pascasarjana

Tafsir Prakodifikasi; Studi Karakteristik dan Sumbangsih Ilmiahnya

Tesis ini menggambarkan perjalanan awal tafsir al-Qur'an. Tepatnya kajian tafsir prakodifikasi. Dalam hal ini saya sepakat dengan para ulama yang menyatakan, bahwa tafsir prakodifikasi adalah tafsir di masa Nabi, sahabat dan masa tabi'in. Mengingat –walaupun masih kontroversi- pendapat mayoritas ulama menyatakan Mujahid bin Jabar adalah orang yang pertama mengkodifikasi tafsir.

Tesis ini menguraikan gambaran umum tafsir di tiga priode tersebut. Dengan menjelaskan pada tiap periode berkaitan para mufasir, kedudukan mereka di bidang tafsir, dan sumber penafsirannya.

Selanjutnya tesis ini mencoba secara spesifik mengkaji karakteristik tafsir pada 3 periode tersebut. Dengan mengambil *sample* beberapa hal yang khusus dan tidak terjadi di periode lain. Bab selanjutnya berisikan kajian tentang sumbangsih atau nilai-nilai ilmiah tafsir pada periode prakodifikasi.

Pada bab akhir, tesis ini menjelaskan fenomena yang terjadi pada tafsir prakodifikasi. Dimana fenomena ini banyak berimplikasi pada karakteristik dan metode penafsiran di era ini. Saya pilih dalam tiga aspek: munculnya israiliyat pada tafsir, adanya keterputusan sanad dalam riwayat tafsir, dan munculnya tafsir-tafsir palsu (maudhu'). Selanjutnya diikat dengan penjelasan sisi positif dan negatif dari tiga fenomena ini.

Tentu tesis ini masih membutuhkan kajian agar lebih sempurna. Khususnya kajian pada titik karakteristik dan sumbangsih ilmiahnya. Mengingat sebenarnya masih banyak poin-poin yang belum dikaji untuk studi ini. Semoga ada diantara para akademisi yang berminat untuk melanjutkan sisi-sisi yang belum dikaji atau melengkapi yang sudah ada.

Demikian sedikit abstraksi untuk tesis ini. Tesis ini telah disidangkan pada hari Ahad, 2 juli 2006 di universitas Amer Abdel Kader, Constantine-Aljazair.